

دار السلام

العلامة الشيخ
أحمد محمد حيدر

التكوين و النجلي

الأعمال الكاملة ١

دار السلام

الأعمال الكاملة
١

التكوير . ولا يخفى

تأليف
العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر

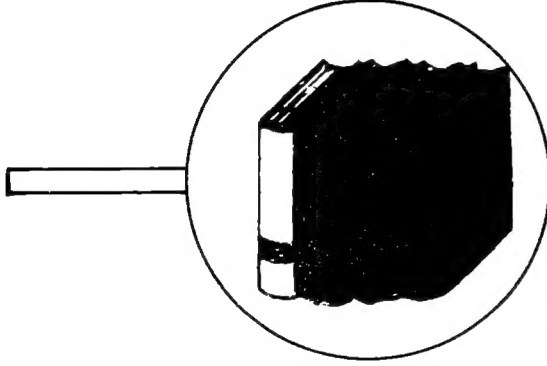
قام بكتابة المقدمة واستخراج شواهد الكتاب وتصميم الغلاف
لجنة إحياء تراث العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر

دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع
طرابلس لبنان : ص ٧٥ - تلفون ٦٢١٩٥٢



وَالْأَسْمَاءُ

لِلطَّبَاعَةِ وَالنَشْرِ وَالتَّوْزِيعِ



طَرَابُلُس لِبْنَان
ص ٥٧ - تَلْفُون ٦٣١٢٨٢ / ٦٣١٩٥٢
تَلَكْسُ Issam ٢٣٧٧٨ LE



جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ لِلجَنَةِ
الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ - ١٤٠٧ هـ - / ١٩٨٧ م

الإهداء

إلى محبي الحقيقة،

وأتباعها،

إلى رجال العلم،

وأنصاره،

وطالبيه،

إلى الثائرين على الجمود،

والتقوقع،

والجهل،

وإلى روح مؤلف هذا الكتاب،

نقدم

التكوين والتجلي

الساحل السوري، تشرين الأول ١٩٨٦م

لجنة إحياء تراث العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر

المفُورُله
للملّامة الشيخة أحمد محمد حيدر



بعد موتي هذا البقاء الفاني
عجّلا بي للعالم الروحاني
لم إلا تعلّة الديدان

هذه صورتي وما كنت أهوى
بما جناحي من ولاّ وحنين
تلك أمنيّتي وما خدعة العا

العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر

مؤلف كتاب: «التكوين والتجلي» هو العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر -
أعلى الله مقامه - وهو الإمام العالم النابغة، صاحب القلم الجري، البارِع في
شتى العلوم السلفية والعصرية، وحيد عصره، الذي ليس له نِدٌّ في علم
التصوف.

ولد العالم الحقاني والحكيم الرباني أحمد محمد حيدر في قرية «حلة عارا»
من منطقة جبلة في محافظة اللاذقية عام ١٣٠٨ هـ الموافق ١٨٨٨ م.

نشأ وترعرع في بيت تقى وعلم فورث عن والده - رحمه الله - الورع
والتقى وعلو الهمة وشيئاً من ثروة حاول في البداية تنميتها ثم المحافظة عليها
فلم يوفق فكان ذلك عنده «أعظم التوفيق»^(١) إذ بدأت كفة ميله إلى العلم
ترجح. فدرس التركية في صباه حتى أجادها، كما أجاد العربية، نحوها وصرفها
من خلال الكتب التي كانت شائعة في عصره «كالأجرومية وغيرها». وقد ولع
علامتنا الجليل في فجر حياته بالأدب أي ولع، فقرأ روائعه ودرس سير أعلامه.
وبفضل ذكائه الثاقب وحافظته القوية فقد تمكّن من حفظ الكثير من عيون
الشعر وبديع الخطب. وبخاصة خطب نهج البلاغة، كما وعى أخبار الأعلام من

(١) كان العلامة الشيخ - رحمه الله - يردد هذه العبارة كثيراً في أحاديثه الخاصة. وفي الواقع كان هذا
«أعظم التوفيق» ليس له وحده بل لنا جميعاً ولل البشرية.

رؤاد الأدب العربي والعالمي، إذ لم يعزل نفسه عن الأدب العالمي فقرأه مترجماً. لكن ولعه بالأدب لم يقلل من رغبته في الفهم والعرفان، ولم يخفف من شوقه إلى البحث والتحري، ففي كل كتاب يقرأه ومع كل عالم يلتقيه كان يتطلع إلى معنى وراء الكلمات يشبع لهُفته ويروي ظمأه إلى المعرفة لكأن لعلامتنا موعداً مع الغيب ينتظره. وهكذا راح الفتى ينجذب رويداً رويداً إلى ميدان العلوم الإلهية رغبة في معرفة بواطنها، ووصولاً إلى فهم خفايا الأسرار. ولم يطل بعلامتنا الزمن حتى غدا في طليعة العارفين الإلهيين، وشهد له بالتقدم معاصروه من العلماء الأفاضل، وقد آنس من نفسه - رحمه الله - هذه المعرفة الواسعة . . . فتصدى لواحد^(١) من أجل الكتب الصوفية المخطوطة فشرحه وحلله وقربه بذلك إلى أفهام الناس وسهّل عليهم تناوله. وأفاد الشيخ مما في الكتاب من عرفان فاتحة إلى نفسه يفتش في خباياها ليدركها ويبحث في جسده ليعلم ما هو؟ وكيف وُجد؟ وأخذ يتساءل عن العلاقة القائمة بين نفسه وجسده، كيف التقيا؟ وما مصيرهما إذا افرقا؟ وهل يصيران إلى الفناء؟ أم إلى الخلود؟ ثم أجال بصره فيما حوله فتساءل عن الموجودات كيف وجدت؟ ومن أوجدها وهل تعرف موجدتها؟ وكيف تعرّفت إليه؟ ثم ما علاقة هذه الموجودات به؟ هذه الأسئلة وغيرها طرحها علامتنا الشيخ على نفسه في رحلته للكشف عن أسرار الحياة والروح والخلق والخالق. وكان يجد في طرحها والسعي لإيجاد الإجابة عنها لذة تفوق عنده كل لذة، وسعادة لا تدانيها في نظره سعادة. وقد اهتدى علامتنا الشيخ إلى مكان وجود الإجابة عن أسئلته فيمّم شطرها مستسهلاً في سبيل ذلك كل أنواع الصعاب، فتوجه إليها والجا إلى حماها من بابها المشرع في رسالات الأنبياء، تلك الرسالات السماوية التي جاؤوا بها وأذاعوها على الناس جهاراً أو التي كتموها مكتفين بالإشارة إليها، كما وجد شيئاً من الإجابة عن أسئلته عند الأئمة

(١) الكتاب هو كتاب التنبيه، لمؤلفه الصوفي الشهير حسن بن حمزة الشيرازي.

المصومين (عليهم السلام) الذين لهم وحدهم تأويل القرآن - إذ هم ثقله الثاني - وقد أتاهاهم الله ملكة الكشف وألهمهم معرفته فأعلنوا بعضها دون تحفظ واكتفوا بالتلميح إلى بعضها الآخر صوناً للحكمة أن تعطى لغير مستحقيها، ووجد بعض الأجابة عن أسئلته عند العلماء الإلهيين والفلاسفة الروحانيين فأخذ عنهم أيضاً. ولم يعر سمعاً لأقوال الجاهلين فقد كانت الحكمة ضالته وشعاره الدائم:

إن المذاهب كلها نور الهدى كاشعة الشمس افترقن إلى مدى
ولقاؤها في مصدر الأنوار

وهكذا فإن علامتنا الشيخ في بحثه الدائب عن المعرفة قرأ القرآن الكريم وتفسيره المتعددة، وقرأ الإنجيل والتوراة وأطلع على الفكر اليوناني وعقائد المصريين القدماء وأساطير الهند والعلوم العصرية، ثم حطّ الرحال في حديقة الأمير حسن بن مكزون السنجاري ومزج بين ما وجد لديه وما هو عند الصوفي الجليل حسن بن حمزة الشيرازي والشيخ الأكبر محي الدين بن عربي حيث تمكن في نهاية الأمر من الوصول «إلى نظرية في وحدة الوجود، من خلال صياغة شملت كل النظريات السابقة، محققاً ضرباً من التوافق بين نظرية الفيض أو الصدور ونظرية نور الأنوار والتجلي الإلهي. معتمداً بنفس الوقت على معطيات العلم الحديث، وهنا تبرز عظمته كمفكر عربي إسلامي من الدرجة الأولى في العصر الحديث»^(١).

قرأ علامتنا الشيخ في رحلة عرفانه التنبيه وفصوص الحكم ومفتاح الغيب والوجود ورسائل إخوان الصفا والجامعة ومفتاح الغيب لصدر الدين القونوي ومشكاة الأنوار للغزالي، وبيان السعادة لسلطان محمد الجنايذي وعلوم الفلك

(١) وحدة الوجود في الفكر العربي تأليف: محمد الراشد منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ١٩٨٥ ص ٢٢٨.

والفيزياء. قرأ كل ما وصلت إليه يده قراءة المتعمق المتبصر فحصل من المعرفة أطايبها. ولما امتلأت نفسه بكنوز المعارف طلع على الناس مؤلفاً في العلوم اللاهوتية فأغنى الفكر الإنساني بأعمق المعارف وأجلها ورفد الحضارة البشرية بأسمى المفاهيم اللاهوتية وأرفعها، فكان ذلك صورة لعقله النير وفكره الثائر ونظيره الثاقب. ففي الوقت الذي كان فيه العالم يقف متسائلاً في حيرة ودهشة حول صعود السفينة إلى القمر كان يردد بمتهى الثقة واليقين: «من زعم أن العلم يتنافى مع الدين فقد بلغ من العلم مبلغ الرعاع ونال حصة الأعمى من الشعاع».

لقد كان علامتنا الشيخ رجلاً مؤمناً - إيمانه مشيد على قاعدة الفهم الحقيقي الراسخ لأبعاد العلوم العصرية وربطها بما يشير إليها من حقائق أصول الدين الاسلامي، وكان يثق ثقة مطلقة بأن ما يكذبه بعض رجال الدين اليوم جهلاً به، سيغدو بديهته لدى شباب الغد الذين لهم كتب وإياهم خاطب وعنى ولأجلهم ضحى، وذلك إيماناً منه بسنة التطور التي هي سنة الحياة، وانتصاراً للحق والحقيقة رفض البدع والانغلاق والتقوقع وأصم سمعه عن السفساف، متحلياً بأخلاق العلماء، مترفعاً عن صغائر الأمور التي أثارها الجهلة من مدعي التدين المتسمين ظلماً رجال الدين وكان يعلم أنهم عن مكاسبهم لا عن الدين يدافعون، وكثيراً ما عاب على رجال الدين (من مختلف الملل) المفاضلات التي يعقدونها بين مذاهبهم معلناً أن الدين لله وأن هذه المفاضلات تدل على ضحالة الفهم وقلة المعرفة وكان يقول: على أنني اجتهدت أن أرى بدعة كُوتت إلا عن تحريف أصل فلم أجذ، وجميع من تكلم عن الأديان القديمة سواء أراد المتكلم فهم التعرف على الدين فقط، أم أراد إدانته أو مدحه، كلهم نعرف (من تتبعهم) أن جوهر الأديان واحد مهما اختلف مظهرها وتباينت مشاربها. على أن مما لا شك فيه أن الأصل الذي لا يسمح مترمتمو

رجال الدين أن يمسّ ولو بدّلوا في سبيله كلّ أصل، إنّما هو عوائدهم
اللاأصولية والتي وقفَ علامتنا الشيخ حياته لتهديمها، موطناً نفسه لكل ما يلقي
أمثاله من أمثالهم، فكان بين محص لفهومٍ أو موضحٍ لمعضلةٍ. مُدافعاً عن رأي
أو نابذاً لمعتقدٍ فاسد بلغة الأديب المتمكن ولهجة العالم المطمئن وسكينة العظيم
المترفع عن السفاسف في القول والعمل. وقد ظلّت هذه سيرته طيلة حياته حتى
وافاه الأجل، ولبى داعي ربه في السابع من شهر آذار عام ١٩٧٥م تغمده الله
بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنّته.

مؤلفاته

خلف العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر عدداً من المؤلفات بعضها كتب طوال، وبعضها رسائل صغاراً. منها ما يتناول صلب عقيدة التوحيد، كما جاءت على لسان الشارع العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وآل البيت المعصومين عليهم السلام، وفي القرآن الكريم وبالنقل عن المحدثين الثقة. ومنها ما يبسط فيه المؤلف المشكلات الفلسفية الدقيقة كما يراها العقل والفلسفة، محاولاً أن يمزج بين العلوم الإلهية والعلوم المادية والشرعية. إضافة إلى ديوان شعر صوفي رفيع المستوى، وهذه المؤلفات كلها تدل على علو همة علامتنا الشيخ ورسوخ قدمه في المعارف الإلهية وتعمقه في استنباط الحقائق الدينية ومعرفة دقائقها. . يضاف إلى ذلك ما تشير إليه من مهارة فائقة على التأليف وصبر على أعباء جمع المعلومات وتقصي الحقائق وتدقيقها. وقدرة على جمع هذه المتفرقات لتغدو كلاً منسجماً موحداً في غايته وأهدافه كما سنيين عند الحديث عن كتاب (التكوين والتجلي) ويكفي أن نشير إشارة سريعة إلى مؤلفات علامتنا الشيخ، سواء ما كان منها موجوداً أم ما لا يزال مفقوداً.

أ - الآثار المطبوعة:

١ - ما بعد القمر: وهو يعالج مادية الروح وروحانية المادة، فالمادة لها روح هي وجودها، والروح لها مادة هي شكلها. وكل شيء غني بذاته عن أن يصير غيره. ويستعير العلامة بعضاً مما توصل إليه العلم فيزوده بأجنحة الوحي والخيال ليقدمه للناس شراباً يستلذه الوردون - وقد طبع هذا

- الكتاب القيم مرتين الأولى عام ١٩٧٢م والثانية عام ١٩٨٤م .
- ٢ - النغم القدسي: وهو ديوان شعر صوفي رفيع المستوى. وقد طبع مرتين الأولى عام ١٩٧٢م والثانية عام ١٩٨٦م .

ب - الآثار المخطوطة:

- ١ - كتاب الهبطة: وفيه يعالج المؤلف قضية الإنسان من غيب الوجود إلى وجود الشهادة.
- ٢ - كتاب الحيرات: وفيه يبين علامتنا الشيخ منزلة أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده.
- ٣ - كتاب النفحات واللفحات: ويشرح مسألة الخلاف بين علامتنا ورجال الدين في عصره.
- ٤ - تناثر الأوهام: وفيه يحاول العلامة - نصر الله وجهه - تبديد الأوهام المتعلقة بقدرية الكواكب وخاصة القمر.
- ٥ - الدامغ: ويشرح فيه علامتنا الشيخ موضوع النور والظلمة وما أثير حولهما من جدال بين علماء الدين في كل زمان.
- ٦ - شرح التنبيه: وهو دراسة وتحليل للكتاب النفيس المعروف «بالتنبيه» لمؤلفه الصوفي الشهير حسن بن حمزة الشيرازي، من أبرز متصوفي القرن السابع الهجري. ويذكر مريدو علامتنا الجليل أن له أثراً آخر هو «فلسفة العلويين» (وهو مفقود).

هذه جملة الكتب التي ألفها العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر، يُضاف إليها العديد من الرسائل الإخوانية التي تعالج موضوعاً معيناً أو عدة موضوعات عرضت أيام المؤلف رحمه الله. هذا إلى جانب كتاب التكوين والتجلي الذي نحن بصددده.

كتاب التكوين والتجلي

كتاب التكوين والتجلي بين كتب علامتنا الشيخ ككتاب «فصوص الحكم» بين مؤلفات الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، فقد جمع فيه خلاصة فكره وما فرقه في سائر مصنفاته، فَلَمَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ مِنَ الْحِكْمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْعَارِفِينَ - رضي الله عنهم - فضلُ السبق والإشارة وله - رحمه الله - فضلُ الإغناء والتفصيل والشرح والتعليل، مقتبساً من أنوار محمد وآله صلوات الله وسلامه عليهم فَهُمْ معلمو العلماء وسادة الحكماء في كل زمان ومكان.

وقد قسم كتابه إلى أربعة عشر باباً جعلَ أوَّلها للحديث عن التكوين، فأكدَ أنَّ جُلَّ العلماء الذين كتبوا في هذا الموضوع يفتشون كلامهم - على اختلاف مليلهم ونحلهم بما يشيرُ إلى الحديث القدسي «كنتُ كترًا خفياً فأحييتُ أن أُعرفَ فخلقتُ الخلقَ في عرفوني» فكان بدءُ التكوين فيضُ الحقيقة المحمدية من الذات كفيض العلم من العالم بلا نقص ولا تجزؤ، ولا يجوزُ السؤال عن ذلك بآين ولا بمتى ولا بيلم وإن كان لا بد من بداية. وعن الفيض الأول بالتسلسل كان التكوين بلا نهاية، وبه تقوم المكونات لأنه السر الساري فيها جميعها.

وإلى ذلك يشيرُ في الباب الثاني (الحركة والسكون) فيقول «الموجود الأول هو المحرك الذي لا يتحرك، وتحريكه للغير على نحو ما تكون حركة المحب للمحبوب. والأمر في ذلك أن المحرك المتحرك الأول غاية المنبعثين عنه وهو الكمال الثاني» والحقيقة المحمدية هي موقع أسماء الله تعالى وصفاته، وهي مشيئته وقدرته وفعله الذي فعل به المكونات، كما يؤكدُ في الباب الثالث (الأسماء

والصفات) يقول رفعَ الله درجته (فالذاتُ لا اسم لها ولا صفة، ولا بدُّ من اسم وصفة، اسم لندعوها به ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾^(١)) وصفة لتعرّف عليه بها لأنَّ كلَّ شيءٍ يُعرّف بصفته ولكنَّ صفته واسمه شخصٌ قائمٌ بذاته وهو الحقيقة المحمدية).

وفي الباب الرابع (الصورة) يشرح الحديث «خلقَ الله آدمَ على مثال صورته» فيقول: (وإذا نظرتَ رأيتَ أن ليس بهذه الصور صورة محسوسة تراها العين، والصورة الإنسانية البدنية تراها العين، إذاً يقصد حقيقة الصورة وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة التي خلقه الله بها على مثال صورة الله) وقد كان قال: (فالصورة المحسوسة تقوم بالصورة المجردة لا بذاتها، والصورة المجردة حقيقة الشيء وماهيته التي يقوم بها وجوده وليست هي شكله البادي للعين الملموس باليد) ثم يسوق من أمثال هذا وأشباهه ما يؤكد أن الله لا يُعرّف حتى يتجلّى بصورة كصور المتجلّى لهم، ثم يستدل على ربوبيته بأفعاله التي يعجز عنها المربوبون، وهو مجلٌّ عما يرون ويعلمون ويتوهمون. فإذا وصل الحديث إلى التنزيه أتاك بالعجب العجاب كقوله: «فالتنزيه هو سلب كل صفات الذات عنها والتنزيه عن التنزيه هو إرجاع صفاتها السلبية إليها» ولكي لا يدعك في حيرة وقلقي يرسم لك سمت النجاة بقوله «فلذلك كان الطريق الجدُّ هو الوقوف دون التنزيه المحدّد والتجسيم المكبّل». ويبدأ حديثه عن عالم الغيب في الباب الخامس باستغراب شديد لزعم الزاعمين، أنَّ عالم الغيب هو ما يرى من كواكب ونجوم متشوّرة في هذا الفضاء، ثم يلامس في آخر هذا الباب الباب السابق ويمهد للأحق بقوله: «فإنَّ الشيء غير المنظور إذا عبّر عنه بصورة كانت أقرب للعيان والفهم من إخباره عنه نفسه» وهذا معنى قولهم الحسيات معابر للعقليات وعالم الشهادة صورة لعالم الغيب، وما غاب عنا لانعرفه إلا بما حضر لدينا، وهذا معنى

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٠.

التشخيص الذي جعله مدارٌ حديثه في الباب السادس الذي يقول في آخره «الخلاصة لم يبقَ شيءٌ من الأشياء إلا شُخِّصَ بمحمود أو مذموم أو مهمل». وفي الباب السابع يستعرض معاني الرحم وأنواعها، الروحانية الإلهية، والروحانية الشيطانية، والطبيعية الإنسانية، وكلُّها ولود. ثم يبيِّن معاني التذكير والتأنيث محلاً قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الكذبُ حيض الرجال» تحليلاً لا يكاد يخطر لك على بال. وقد خصَّص الباب الثامن للحديث عن المستفذرات دفعاً لزعم من يقول أنها تقوم وتدارُ بغير الله، فيشرك من حيث يريد أن ينزه إذ يجعلُ قيوماً مدبراً مع الله والله بكلِّ شيءٍ محيط وبكلِّ شيءٍ عليم، وليس بينه وبين معلومه علمٌ غيره. بآيِن الأشياء بينونة صفة لا بينونة عزلة، ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج ولا تدنُّس الروح بإدارة البدن. ويعودُ للحديث عن الصدق والكذب بشيء من التفصيل، فقد يكونُ الكذب محموداً والصدق مذموماً، وأشنعُ الكذب ما لبسَ لباسَ الصدق في القول والعمل والأخلاق وهذا مدارٌ حديثه في الباب التاسع وقد تكون كلمته الخالدة أصدق عنوان لهذا الباب: «والذي أراه أن الاقتران بالعظمة سفاحاً بدون شروطها الشرعية أعظم وزراً من تلك التي يقام عليها الحد، وجمع أموال الأمة بالطرق الملتوية أقبحُ جريمة من تلك التي يعاقب عليها القانون» وفي الباب العاشر يتحدث عن كتابي الله سبحانه، ويعني كتابه التكويني وهو كلُّ ما تراه العين ويثبتُه العقل، والتدويني وهو القرآن الكريم الذي (وصل إلينا للمشاكلَة بلباس الحروف والأصوات والعبارة) فيأتيك رحمه الله - من خلال ذلك - عن التكوين بالغريب العجيب.

وعن الأيام في الباب الحادي عشر يحدثك عن اليوم الجسماني واليوم الروحاني ثم يقول: (وكما يُفهم أنَّ اليومَ من الطول بحيث يكاد أن يكونَ بلا نهاية كذلك يضمه قصرٌ حتى يكونَ أقلَّ من الثانية مثل ما بقوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ ويستعرض في الباب الثاني عشر قصَّة الشمس والقمر عند الأقوام.

القديمة مروراً بالصابئة، ويؤكد اتفاق جميع المفسرين على نفي سيدنا إبراهيم الخليل لعبادتهما ويرى في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: واللّه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي... الخ... إشارة صريحة إلى تحدي قريش في معبوديها: الشمس والقمر المرموز لهما بأصنام منحوتة. ويجعل الباب الثالث عشر للحديث عن وحدة الوجود، القضية الفلسفية الإلهية الكبرى التي قبلت باستنكار الجهلة خلال تاريخها الطويل. وهل هي - لو علموا - إلا إثبات الوجدانية لواجب الوجود سبحانه، وهو وجود كل موجود وهو وحده الوجود المحض الحي القيوم القائم بذاته البريء من شوائب العدم والإمكان، وكل ما يرى ويعلم مظاهراً وجوده وتجليات صفاته التي لا تعدده بتعدداه، فعبارة وحدة الوجود مرادفة لعبارة وجدانية الله، فكيف تُنكر وتُعارض؟! . . .

أما الباب الرابع عشر فيفرده للحديث عن الباطن والظاهر فيورد من كلامه وكلام الصوفيين ما ملخصه:

المفترضات الشرعية صوراً للأسرار الباطنة وظلالاً لها... والمعقول لا يُعرف إلا بواسطة المحسوس، ونهاية الحقيقة الجمع بين الشريعة والطريقة، ولا باطن ولا ظاهر إلا بالنسبة وبحسب الاستعداد، فالباطن والظواهر - تبعاً لذلك متعددة فما هو ظاهر لك باطن عن غيرك وما هو باطن عنك اليوم ظاهر لك غداً. ولأن الأسرار الإلهية من المدارك كالأطعمة من المعد كان يعطي الحكماء والفلاسفة والدعاة الإلهيون الخاصة ما يمنعون منه العامة رعاية لهم لا بغضاً بهم، فكان الباطن والظاهر.

وبهذا الباب يختم العلامة الحكيم (قدّس الله لطيفه) كتابه النفيس الذي ربما قرأه جاهل فرماه معذوراً، وطالعه عالم عارف فبات جذلان مسروراً.

لجنة إحياء تراث العلامة

الشيخ أحمد محمد حيدر

تحقيق الكتاب ونشره

بعد أن قدمنا ما قدمنا أصبحت أهمية هذا الكتاب واضحة للقارئ المتعمّن الباحث عن الحقائق الإلهية المتطلع إلى بلوغ ملكوت الله الأعلى، وغداً مفهوماً مقدّاراً ما لنشر هذا الكتاب من قيمة خاصة وهو على ما هو عليه من أهمية سواء أكانت من الناحية الفلسفية أم الدينية، وذلك ليكون بين أيدي المهتمين بقضايا الكون المحيط بهم وما فيه من موجودات من جهة، والراغبين بتخليص أنفسهم من الضياع في مجاهل هذا العصر المادي الذي يضغط بثقله على النفوس الإنسانية من كلّ سبيل من جهة ثانية. لقد ظلّ هذا الكتاب طويلاً حبيس المخطوطات الخاصة لا يتيسر الاطلاع عليه إلا لنفر قليل من الناس شأن باقي كتب علامتنا الشيخ - رفع الله مقامه - وكانت لجنة إحياء تراث العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر قد تنادت إلى الاهتمام بآثاره والقيام بتحقيقها ونشرها على الناس، وفي هذا الوقت تناهى إلى سمعنا أن كتاباً قد نُشر في باريس يحمل عنوان : «التكوين والتجلي» بتحقيق... الدكتور صالح عزيمة. فاستقبلت اللجنة هذا النبأ بالفرح الشديد خاصة وأن الدكتور صالح عزيمة هو واحد من تلامذة العلامة الشيخ ومن محبيه. لكن هذا الفرح تبدد حالما تم الاطلاع على الكتاب المذكور، فقد تبين أن الدكتور صالح عزيمة لم يتمكن من الحصول على نسخة صحيحة للكتاب وبالتالي جاء الكتاب ناقصاً في بعض فصوله... مضطرباً في بعضها الآخر. كما لاحظت اللجنة أن المحقق الدكتور صالح عزيمة لم يتمكن - بسبب ضيق الوقت أو قلة المراجع المتيسرة لديه في مهجره - من تتبع نصوص الكتاب وتحري مَظَانّه.

ولهذه الأسباب فقد قررت اللجنة أن تبدأ بتحقيق هذا الكتاب بالذات رغبةً منها في وضع الكتاب الصحيح بين أيدي القراء الكرام . أما عن تحقيق الكتاب فمن نافلة القول أن نقول أنه كان عملاً شاقاً احتاج إلى وقتٍ طويل وجهدٍ مضمّن . ومردُّ ذلك إلى أن شيخنا العلامة - قدس الله العليُّ روحه - لم يشر في كتابه إلى المصادر التي رجَّع إليها إلا نادراً، ولم يكن السبب في ذلك إلا أنه قدسه الله كان يكتب من حفظه عند قيامه بتأليف كتبه ولا يتحرى شواهد في مصادرهما، وهذا هو السبب الذي أدى إلى اختلاف في اللفظ - أحياناً - بين رواية شيخنا العلامة وبين ألفاظ المؤلفين الذين أخذ عنهم - لكن الجوهر كان محافظاً عليه بعناية بالغة .

وقد قامت اللجنة بقراءة الكتاب قراءةً متمعنةً وأرجعت فيه كلَّ حديثٍ أو فكرةٍ أو جملةٍ إلى صاحبها، هادفةً من وراء ذلك إلى جعل الكتاب مرجعاً قيماً لا غنى عنه لكل قارئٍ أريب، كما عمدت اللجنة إلى جمع العديد من النسخ الخطية لهذا الكتاب النفيس فرأت أنها على كثرتها ترجع إلى نسختين اثنتين نقلت عنهما، وهاتان النسختان هما اللتان اعتمدتهما اللجنة في عملها، وقد رمزنا إلى إحداهما بالحرف (أ) وإلى الأخرى بالحرف (ب) .

فأما النسخة الخطية التي رمزنا إليها بالحرف (أ) فهي بخط العارف بالله الشيخ حامد يوسف - وتقع ضمن مجلدٍ عددُ صفحاته ٣٤٠ صفحة في كل صفحة ٣١ سطراً ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد ١٣ كلمة، ويقع كتاب التكوين في الصفحات من ٢١٤ - ٢٨٩ .

وأما النسخة الخطية الثانية فتقع ضمن مجلدٍ . . عددُ صفحاته ٤٣٢ صفحة في كل صفحة قرابة ستّة عشر سطراً، وفي كل سطرٍ قرابة عشر كلمات . ويضم المجلد مجموعةً من الرسائل الإخوانية للعلامة الشيخ أحمد محمد حيدر إضافة إلى كتاب التكوين والتجلي الذي يقع في الصفحات من ١٢١ - ٤٣٠

وهي بخط الشيخ الجليل محمد علي بدور وضمن مكتبته، فلهذين الشيخين شكر اللجنة وتقديرها وإكبارها.

هاتان هما النسختان اللتان اعتمدتهما اللجنة في تحقيق هذا الكتاب وقد تمت المقابلة بينهما واستخلصت منهما أكثر القراءات دقة وملاءمة للعقل، ثم تناولت اللجنة النص بالتعليق عليه وردّه إلى أصوله واستخراج ما تضمنه من الأحاديث المنسوبة إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وإلى الأئمة المعصومين عليهم السلام. وقامت بتدقيق ما يحويه من آيات قرآنية كريمة لتسهيل مطالعتها على الراغبين، ثم اعتمدت له عنوان «التكوين والتجلي».

ولا نريد أن نطيل على القارئ الكريم بل نريد أن نتركه لمطالعة الكتاب ثم نترك له الحكم على هذا العمل بعد الاطلاع عليه. ولا يسعنا إلا توجيه الشكر إلى كل أولئك الجنود المجهولين الذين بذلوا كل ما في وسعهم من جهود في سبيل إخراج هذا السفر الجليل.

والله نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه، إنه سميع مجيب.

الساحل السوري / تشرين الأول ١٩٨٦م

لجنة إحياء تراث العلامة الشيخ

أحمد محمد حيدر

الباب الأول

بدء التكوين

أكثرنا بكتبنا السابقة، من^(١) ذكر التكوين^(٢) والتحدث عنه كما في التنبيه والهبط^(٣) وغيرهما، على أنه لا بدّ من ابتداء كتابنا هذا به لأننا نستعرض به الكيان^(٤) والتكوين وتعلّق عالم الغيب بعالم الشهادة^(٥) وتمثّل كلا العالمين بأخيه .

إن أكثر العلماء الذين كتبوا عن التكوين على اختلاف الملل والنحل يفتتحون كلامهم بألفاظ متقاربة وأفكار متلاحمة بأن الله سبحانه كان ولا كون^(٦) معه ولا خبر عنه ولا اسم ولا رسم^(٧)، كما في الحديث القدسي: «كنتُ

(١) من سقطت من (١)

(٢) التكوين: إيجاد شيء مسبق بالمادة - كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني - مكتبة لبنان - ١٩٧٨ ص ٦٨ .

(٣) شرح التنبيه وكتاب الهبطه مخطوطان للمؤلف .

(٤) إن لكل كائن كياناً وكيان كل شيء ما يعينه ويميزه عن غيره فيجعله هذا لا ذاك، فكيان الإنسان مثلاً غير الحيوان وقد اصطلح فلاسفة العرب على تسمية الكيان ماهية وهوية وذاتاً. «اللجنة» .

(٥) الغيب: كل ما ستره الحق منك لا منه وعالم الغيب هو الملكوت المختص بالأرواح والنفوس. وعالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية كالعرش والكرسي وكل جسم متميز بتصرف الخيال المنفصل من مجموع الحرارة والرطوبة واليبوسة والتنزيه والعنصرية وهي كل جسم مركب من الإستقصات. كتاب التعريفات مصدر سابق ص ٢٤٦

(٦) الكون هو كل ما تكوّن في الوجود من عالم الغيب وعالم الشهادة والباري تعالى ليس بكون ولا يتكوّن، وفي القاموس: الكون عالم الوجود. مأخوذاً من التكوين الذي هو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود. «اللجنة» .

(٧) الرسم في المنطق تعريف الشيء بخصائصه وأعراضه وهو قسم الحدّ. وعن ابن سينا هو قول يُعرّف الشيء تعريفاً غير ذاتي ولكنه خاص أو قولٌ يميّز للشيء عما سواه لا بالذات. عن: المصطلحات العلمية والفنية - إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي - ملحق لسان العرب - إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي دار لسان العرب - بيروت ص (٢٦٢) - (٢٦٣) .

كنزاً^(١) مخفياً فأحييتُ أن أُعرَف، فخلقتُ الخلقَ لكي أُعرَف في عرفوني» المطابق
أتم المطابقة لما^(٢) ورد في القرآن الكريم ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاَّ
ليعبدون﴾^(٣). كَوْنُ اللَّهِ سبحانه الكونَ^(٤) ليكونَ كنزاً يغنى به ولئلاَّ يبقى كنزاً
مخفياً لا نفعَ منه^(٥).

ولكن بدء التكوين لا يُحدِّد ولا يجورُ السؤالُ عنه بمعنى ولا بآين ولا بلم،
غير أنه لا بدَّ من ابتداء والابتداء يتناقض مع الأزليَّة^(٦) والأزليَّة والأبدية^(٧) هما لله
سبحانه لا غير، لأنه قبل كلِّ أولٍ ولا بداية، وبعد كلِّ آخرٍ ولا نهاية، فقدم الله
سبحانه ليس^(٨) بتناولِ زمان^(٩).

(١) الكنزُ الخفيُّ هو الهويةُ الأحديَّةُ المكنونةُ في الغيبِ وهو أبطنُ كلِّ باطنٍ. عن كتاب التعريفات -
مصدر سابق ص (١٩٧) وفي المعجم الصوفي: الكنزُ الخفيُّ هو البطونُ وهو ذاتُ الحقِّ الأزليَّةِ
القديمةِ المرأةُ عن النسبِ والإضافاتِ، فالحقُّ لا يُعرَفُ من حيثِ ذاته فهو دائماً الكنزُ الخفيُّ
ولكن يعرفُ من حيثِ صفاته وأسماؤه المتجلية في الوجود - المعجم الصوفي تأليف الدكتور سعاد
الحكيم. دار ندره - بيروت - لبنان ط ١٩٨١ م - ١٤٠١ هـ - ص ٩٨٣ - ٩٨٤

(٢) سقطت من «ب»

(٣) سورة الذاريات آية (٥٦)

(٤) سقطت من (ب)

(٥) في ب فيه

(٦) الأزليَّة هي استمرارُ الوجود في أزمنةٍ متعددة غير متناهية في جانب الماضي. كتاب التعريفات
مصدر سابق ص - ١٦.

(٧) الأبدية هي استمرارُ الوجود في أزمنةٍ مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل. كتاب التعريفات -
مصدر سابق ص (٥ - ١٦) الأزل لا يتسمَّى به شيء غير الله جل جلاله - اللمع لأبي نصر
السراج الطوسي، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور. ١٣٨٠ هـ ص
(٢٤١).

(٨) في أ (لا)

(٩) الزمانُ هو متجددٌ معلوم يُقدَّرُ به متجددٌ آخرٌ موهومٌ كما يقالُ آتيكَ عند طلوعِ الشمسِ، فإن
طلوعَ الشمسِ معلومٌ وبجيئه موهومٌ فإذا قُرِنَ ذلك الموهومُ بذلك المعلوم زال الإيهامُ. كتاب
التعريفات - مصدر سابق ص (١١٩) والزمانُ عند أرسطو هو: «مقدارُ الحركة من جهةِ المتقدمِ
والتأخُّرِ، المتقدِّمُ هو الماضي والتأخُّرُ هو المستقبل. الزمان الوجودي تأليف عبد الرحمن بدوي -
الطبعة الثانية - مكتبة النهضة المصرية - مطبعة جرينبرغ بالقاهرة ص - ٦١ وص ٨٨.

ولا امتدادٍ دهرٍ^(١) وجوب^(٢) محضٌ وأزليةٌ صرفةٌ، ووجودُ المكوناتِ
إمكان^(٣) صرفٌ وعدمٌ إضافي. والقول بأن قَدَمَ الأشياءِ مساوٍ^(٤) لقدمِ الله لأنها
كانت بعلمه قبل أن تكون، يُعطينا فرضَ افتقارِ الأشياءِ الممكنةِ لموجدٍ أوجدها
صوراً وذواتاً والمعلومُ ليس هو ذاتُ العالمِ به^(٥).

وهذا الذي دعا للقولِ الصادقِ الرائعِ: «بأن الماهياتِ^(٦) غيرُ مجعولة»
ونسبة الله سبحانه إلى مخلوقاته فعليةٌ لا نسبةٌ معية^(٧) عادية من قوةٍ إلى فعل^(٨)
وهذا يماثل القول: «إن البدايةَ ما بالقوة والغايةَ ما بالفعل، وما بالفعل يدل على
ما بالقوة ولا ينعكس^(٩)».

(١) الدهرُ هو: الآن الدائم الذي هو امتدادُ الحضرة الإلهية وهو باطنُ الزمان وبه يتجددُ الأزلُ
والأبدُ. كتاب التعريفات - مصدر سابق ص (١١١) وفي الحديث قال صلى الله عليه وآله
وسلم: «لا تسبوا الدهرَ فإنَّ الدهرَ هو الله».

(٢) الوجوبُ هو: ضرورةُ اقتضاءِ الذاتِ عينيها وتحقيقها في الخارج، كتاب التعريفات. مصدر سابق
ص ٢٧٠.

(٣) الإمكانُ هو: عدمُ اقتضاءِ الذاتِ الوجودَ والعدمَ. كتاب التعريفات مصدر سابق ص ٣٧.
والوجوب هو عالمُ النور المجردُ ويقابله عالمُ الإمكان وهو ما يجوزُ أن يكونَ ويجوزُ أن لا يكونَ
كالحرركاتِ والألوانِ والطعومِ. كلُّ شيءٍ ممكنٌ في ذاته واجبٌ بغيره عدا حضرة الحق.
«اللجنة».

(٤) في ١ - «مساوق» والمساوقة: المتابعة، تساوقتِ الأبلُ تابعت. لسان العرب مادة سوق.

(٥) سقطت من «١».

(٦) في (١): الخقائق، والحقائق عند ابن عربي لا تقلُّ ولا تبدل ولا تتفاضلُ فيها بينها وهي أصلُ
ومبدأ التمييز. والحقيقة هي ما يشير إليه الفلاسفة بكلمة ماهية (ذات).

المعجم الصوفي - د سعاد الحكيم - ط ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ص ٣٥٣.

(٧) في (١) معينة.

(٨) الشيء الذي هو بالقوة هو الذي يمكنُ أن يكون وجوده في الزمان الآتي المستقبل كقيامِ القاعدِ
وقعودِ القائم. والشيء الذي بالفعل هو الموجودُ في الزمان الحاضر من سائرِ الأفعال الكائنةِ

كقعودِ القاعدِ وقيامِ القائم. الزمان الوجودي - مصدر سابق - ص ٩١.

(٩) من تقويم الأسماء (جلال الدين بن معمار الصوفي). مخطوط خاص.

ومثل ذلك قول المتعجب^(١):

صهبا كانت ونون الكاف ما برزت والشيء مندمج في علم باريه

إن هذا وأمثاله مخاطبة^(٢) لنا بشكل ما يكون الإيجاد عندنا، وكثير من هذا في القرآن والحديث وغيرهما. ولا بد^(٣) من حمل ذلك على فعلية الفيض^(٤) كفيض الحرارة من النار ونور الشمس من الشمس والعلم من العالم وهكذا بدون أن ينقص من الذات شيء.

وعن هذا الفيض الأول بالتسلسل كان التكوين بلا نهاية، وبهذا الفيض تقوم الكائنات، لأنه سر الله الساري بها^(٥) ولو انقطع هذا المدد عنها لفنيت حال انقطاعه كفاء نور الشمس الداخل من نافذة إذا ما جيل بينه وبين النافذة، وبانقطاع هذا المدد تهافت الأملاك وتبدد الأفلاك، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٦)

(١) المتعجب هو أبو الفضل محمد بن الحسن المتعجب العاني الخديجي المضي. شاعر مجيد عاش في القرن الرابع الهجري توفي عام (٤٠٠) هـ. انظر تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ترجمة عبد الحليم النجار - دار المعارف بمصر ط ٢ ١٩٦٩م ص ٣٥٨. وانظر فن المتعجب العاني وعرفانه تأليف د. أسعد أحمد علي. بيروت - دار الرائد العربي - الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

(٢) في (أ) مخاطبة.

(٣) سقطت من «ب»

(٤) الفيض: لغة جريان الشيء بسهولة، وأول موجود فاض عن الحق الأول تعالى هو الحقيقة المحمدية، ومنها وعنهما كانت المكونات بلا نهاية. «اللجنة».

وللتوسع راجع: المعجم الصوفي - مصدر سابق من ص ٨٨٨ - ٨٩١.

(٥) السر هو: العمل الذي يزداد عمقا كلما ازداد الإنسان معرفة وحكمة. المدخل إلى المبدأ الكلي - ندرة اليازجي - منشورات دار الغربال - دمشق المنشورات الجامعية طرابلس ط ١٩٨٤م هامش ص (١٤) - والسر: خفاء بين العدم والوجود، موجود في معناه. وسر السر ما لا يحس به السر فإن أحس به فلا يقال له سر.

اللمع - مصدر سابق ص (٤٣٠) والسر الساري بالأشياء هو الحقيقة المحمدية، وقد استخدم العلامة (المؤلف) تعبير السر الساري والفيض والمدد بمعنى واحد. «اللجنة».

(٦) سورة فاطر آية (٣٥).

وهذا الفيض التكويني إشراف صفات الله المؤثرة به، وهذه الصفات إبداعاً^(١) تجتمع بصفة، ويستمر هذا التكوين بهذا الإبداع بلا نهاية كما تقدم.

الصفات الإبداعية

إن الصفات الإبداعية هي مظاهر أفعال الله التي هي الدليل وعليها الدليل ومنها الدليل ولها الدليل وعنها الدليل ولا قوام لها إلا بموجدتها قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾^(٢). ولا قوام لسلطانها إلا بالقولي مشفوعاً بالوجودي وكل ذلك في قبضته، ويقول جابر بن حيان تلميذ الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنه لا مندوحة لنا من افتراض وجود جوهر^(٣) يكون نواة للتكوين ويكون بمثابة طبيعة خاصة تُضاف إلى الطبائع الأربع^(٤) وهذا الجوهر هو القابل لكل شيء، وهو الذي في كل شيء، وكما خلقه بارئته جعله في كل والكل راجع إليه^(٥).

(١) الإبداع هو إيجاد شيء من لا شيء وهو أعم من الخلق، أو هو إيجاد شيء غير مسبوق بمادة ولا زمان كالعقول. راجع كتاب التعريفات مصدر سابق ص (٥). والإبداع هو أن لا يتوقف صدور المعلول عن العلة على توسط الآلة والزمان والمادة. شرح الإشارات للخواجة نصر الطوسي وللإمام فخر الدين الرازي - ط ١ - بالمطبعة الخيرية مصر ١٣٢٥ هـ ص ٢٣٤. يقول أحمد بن جابر الغساني الفيلسوف الصوفي المعروف بالشيخ أحمد قرفيص في مسائله المخطوطة: الإبداع نور كامل وخير شامل تام لا نقص يعتريه، وعلة للعالم بما فيه. وذلك المعلول واجب بوجود علته، قابل لإفاضة نوره ورحمته، غير متبدل ولا متغير لأن علته لا تتبدل ولا تتغير، والإبداع هو نوره، ونوره لا ينقطع.

(٢) سورة الروم (٢٥).

(٣) جوهر كل شيء خالصه، والجواهر الأصول والحقائق، ويراد به هنا الحقيقة المحمدية «اللجنة».

(٤) الطبائع الأربع يراد بها (الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة).

(٥) يورد دارسو جابر بن حيان نصوصاً كثيرة له بهذا المعنى، وهذا النص قد أورده العلامة في كتابه ما بعد القمر الطبعة الثانية ص (٨١) بتصرف في اللفظ.

الحقيقة المحمدية واللوح والقلم

جاء في كتاب الدين والإسلام^(١): إن الإشارة إليه^(٢) غيرُ مجدية البيان للأغلب ولا ينتفعُ بها العامةُ بل ولا يليقُ إلقاؤها إليهم، ولكن عسى أن تصادفَ لها أهلاً يرتاحون إليها ويصلُّونَ إلى لُبِّ معانيها وهو إشارةٌ إلى الحقيقة المصطفوية^(٣) المتحققة بتلك المرتبة التي تقاعسَ عنها جبريلُ الروح الأمين وقال: «لو دنوت قدر أغملة لاحتَرقت» ولا ينقص هذا الجوهر عن الذات في الكمالات إلّا بالنقص الإمكانى والتأخير العلوي اللازم لذات المتعين بالله، وهو اسم الله الأعظم والحق المخلوق به، ولا فرق بينه وبين مسماه إلّا أن هذا عبد وهذا رب، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا أصغر من ربي بستين): هما الحدوث والإمكان فالاسم الإلهي سواءً أكان في مرتبة الخلق أم مرتبة الربوبية المطلقة ليس ما هو في الأوهام العامة من الحروف والكلمات، بل الحروف والكلمات أسماء لهذا الاسم لأنها موجودات كونية كسائر المكونات، ومن هنا ظهر أن الأسماء الإلهية التي هي عبارة عن الذات المتعينة بتعينات كونية خلقية حادثة بالحدوث الاسمي بمعنى تأخر التعيين عن الذات المطلقة بل هذا جارٍ في مطلق الأسماء ثم قال «ارخ الستر فقد أوشك أن ينكشف السر»^(٤).

(١) كتاب الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية - تأليف محمد الحسین كاشف الغطاء النجفي - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

(٢) الضمير يرجع إلى الجوهر الذي افترضه ابن حيان والذي هو الحقيقة المحمدية.

(٣) الحقيقة المصطفوية: هي الحقيقة المحمدية وهي الذات مع التعيين الأول وهو الاسم الأعظم. كتاب التعريفات مصدر سابق ص ٩٥ - الحقيقة المحمدية هي أكمل مجلٍ خلقي ظهر فيه الحق وهي مبدأ خلق العالم وأصله، وهي أول موجود ظهر في الكون ومن تجليه ظهر العالم وهي الوجود كله. المعجم الصوفي مصدر سابق - ص ٣٤٨ - ٣٤٩ - انظر الحقيقة المحمدية في كتاب النصوص في مصطلحات التصوف - محمد غازي عرابي دار قتيبة دمشق ١٩٨٥ م ص ٩٩ - ١٠٠ - وانظر مشارق أنوار اليقين - الحافظ رجب البرسي منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت. ط ١٠ - ص (٣٤) «لم يذكر تاريخ النشر».

(٤) ما نقله المؤلف من كتاب الدين والإسلام بتصرف. راجع الكتاب مصدر سابق ص ٢٣١.

وبعبارة أدق وأوضح وألصق بالفهم عن الحقيقة المحمدية: إنها أصل امتداد الحقائق ومظهر الدقائق^(١) قبله كل متوجّه ورائد كل قاصد، روح صور المباني جامع مختلف المعاني، مظهر تجلي الله الذاتي ومجلّى الأسماء والصفات وكلّ الكمالات، وبه تجلّى علّم الله في الوجود، وبه كتب الله الكائنات باللوح المحفوظ^(٢) فهو إجمال الجميع واللوح تفصيلها لا بل هو تفصيل العلم الإلهي وإجماله واللوح محلّ التعيّن فالعقل والقلم واحد لكن بنسبته للعبد يسمّى العقل الأول وبنسبته إلى الحق يسمّى القلم الأعلى. وفي مقدمة الإنسان الكامل للجيلي: «إن السيد محمد صلى الله عليه وآله وسلم منتهى الأسماء والصفات مهبط أنوار الجبروت ومنزل أسرار الملكوت مجمع حقائق اللاهوت منبع دقائق الناسوت، النافخ بروح الجبرلة والمانح بسر الميكلة والسابع بقهر العزلة والجائح بجمع السرفلة»^(٣) وفي هذا الكتاب نفسه: «لما خلق الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعله مظهرًا. لجلاله^(٤) وجماله^(٥) وخلق كل حقيقة من حقائق أسمائه^(٦) وصفاته^(٧) وخلق نفسه من نفسه، وليست النفس إلّا ذات الشيء. وأنشد من

(١) الدقائق جمع دقيقة، والدقيقة هي الحقيقة التي تدقّ على الفهم. وذلك لتسرّتها وخفائها فلا ينتبه إليها إلا أكابر العلماء. المعجم الصوفي مصدر سابق ص ٤٧٠. وفي اللغة: الأمور الدقيقة هي الأمور الغامضة.

(٢) اللوح المحفوظ: هو مرتبة وجودية تنتمي القلم الأعلى فتكون بذلك أول مخلوق انبعائي يتبوأ مرتبة الانفعال في مقابل القلم (فاعل) - والأنوثة في مقابل القلم (الذكورة) ومحلّ التفصيل في مقابل القلم (محلّ إجمال). واللوح المحفوظ محلّ حصر ما في العالم من العلوم إلى يوم القيامة وهو موضع تنزيل الكتب بعد الألواح (ألواح المحو والإثبات) التي تنزل منها الشرائع والصحف. واللوح المحفوظ هو النفس الكلية - المعجم الصوفي - مصدر سابق ص ٩٩٦.

(٣) للتوسع انظر الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، تأليف سيدي عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني - مطبعة حجازي - مصر ١٩٤٩م - ١٣٦٨هـ خطبة الكتاب الجزء الأول صفحة ٣٠.

(٤ - ٥) الجمال والجلال عند الصوفية وصفان ذاتيان لله، إلّا أنّ الجمال على العموم أوصافه وأسمائه الحسنى، وأما على الخصوص فنحو صفات الرحمة واللطف والجود. وأما الجلال فعبارة عن صفات العظمة والكبرياء والمجد. الخ - شعر ابن الفارض - دراسة في فن الشعر الصوفي - الدكتور عاطف جودة نصر. دار الأندلس طبعة أولى ١٩٨٢م - صفحة ١٨٧. =

الكلُّ فيه وعنه كانَ وعندهُ تفنى الدهورُ ولم تزلْ أزمانه
فالخلقُ تحتَ سماءِ علاه كخردلٍ والأمرُ يبرمه هناك لسانه
والكونُ أجمعه لديه كخاتمٍ في إصبعٍ منه أجلُّ، أكوانه
والملكُ والملوكُ في تياره كالقطرِ بل من فوقِ ذاك مكانه
وتطيعه الأملاكُ من فوقِ السما واللوحُ يُنفذُ ما قضاه بنائه

وَيَجْمَعُ هَذِهِ الْآيَاتِ وَغَيْرَهَا قَوْلُ الْبوصيري^(٢) فِي بَرْدَتِهِ:

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ واحكم بما شئتَ فضلاً فيه واحتكم
وَيَخَاطَبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيقول:

فإنَّ منْ جودِكَ الدُّنْيَا وضرتها ومنْ علومِكَ علمُ اللوحِ والقلمِ

(٦-٧) تنقل الصفة إلى اسم: إذا بلغ الكمال في الصفة مبلغاً بحيث إذا أطلق انصرفت إلى الله، فإذا قلت فلاناً الغني، ورأيت زيدا الغني فالعبارتان صحيحتان، لكن إذا أفردت كلمة الغني فقط تنصرفت إلى الكمال المطلق في الغني، وحين تنصرفت كلمة الوصف في إطلاقها إلى الكمال المطلق يصبح مدلولها (الله) وتكون: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها». ما معنى الأسماء؟ الصفات. ولكن من الجائز أن تصف إنساناً بغنى وأن تصف إنساناً بحية، وأن تصفه بقدرة. أما إذا أطلق اللفظ فإنه عند ذلك تصبح الصفة اسماً.

المنتخب من تفسير القرآن - تأليف الشيخ محمد متولي شعراوي - دار العودة - بيروت - الجزء الثالث ١٩٨١م - صفحة ١٨١.

(١) انظر الإنسان الكامل - مصدر سابق - الجزء الثاني صفحة ٤٥.

(٢) هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري - ولد بذلاص ونشأ ببوصير ثم انتقل إلى القاهرة، وتعلّم العربية والأدب، فقال الشعرُ البليغ في جدّه وهزله وكان متصوفاً، وأشهر شعره البردة وقد نظمها في مدح الرسول صل الله عليه وآله وسلم ومطلعها:

أمن تذكر جيرانٍ بذى سلّم مزجت دمعاً جرى من مقلّة بدم
توفي البوصيري بالإسكندرية سنة ٦٩٥هـ وقيل ٦٩٦، وقبره فيها مشهور يزار. عارض البردة شعراء كثيرون أشهرهم أمير الشعراء أحمد شوقي ومطلع قصيدته:

ريم على القاع بين البان والعلم أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم

وفي كتاب شرح الزيارة ^(١): «إن الله سبحانه فاعلٌ بالسبب، وهو أقرب إلى المسبب من نفسه ومن سببه، لأنه جاعلُ السبب سبباً. فإذا هداك الله بالقرآن أو بنبيه فقد بينَّ جهةَ السبب وهو الفاعلُ لا السبب، وهو المسبب بلا سبب». وهذا الكلام عن هذا الجوهر الأول هو كلام أكثر العلماء قبل بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعدها كما في كتاب الخير المحض لأرسطو ^(٢) «بأن العقل ^(٣) مدبرٌ لجميع الأشياء التي تحتَه بالقوة الإلهية التي فيها هو يمسك الأشياء لأنه بها كانَ علة ^(٤) الأشياء وهو يمسكُ جميع الأشياء التي تحتَه ويحيطُ بها» ^(٥) ويتوسط هذا العقل «أبدعت العلة الأولى آنية ^(٦) النفس الكلية

(١) شرح الزيارة من كتب الشيخ أحمد الإحساني زعيمُ فرقة إسلامية صوفية حملت اسم الشيخية، ومن كتبه كتابُ (الفوائد) وفيه يتقدُّ بحذِّه الفيلسوف صدر الدين الشيرازي.

(٢) الخير المحض هو كتابٌ يُنسبُ لأرسطو ولكنه في الواقع لأبرقلس.

انظر الأفلاطونية المحدثة عند العرب (١) تحقيق عبد الرحمن بدوي - مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ضمن سلسلة دراسات إسلامية ١٩٥٨ سنة ١٩٥٥ م ص ١١-١٢.

(٣) العقل قوة إلهية أو أكثر ما فينا الوهية له المحلُّ الأول من بين قوانا، يتعلَّق الأمور الجميلة الإلهية وتعلُّقه هو السعادة القصوى. والعقل في اللغة مصدر عقل الشيء فهمه وتدبره، وهو نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه الحواس. ويراد به هنا الحقيقة المحمدية. العقل والوجود تأليف يوسف كرم - دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤ م صفحة (٥).

(٤) العلة هي ما عنه يحدث شيء أو ما من أجله ينتج، وهذه تسمى العلة الفاعلية، والعللُ أربع مادية وصورية وفاعلية وغائية. فاعلية كالتجار الذي يصنع الكرسي، ومادية وهي الخشب والحديد الذي يصنع منه، وصورية وهي الهيئة التي يتم عليها شكله، وغائية وهي الجلوس عليه. ملحق لسان العرب - مصدر سابق - صفحة ١٧٤. ومسانل الغساني - رسالة مخطوطة - ولكن الغساني يسمي العلة المادية (بالعلة الهيولانية) والمادية الفاعلية (إضافية). وفي القاموس: علة الشيء سببه انظر أيضاً: فلسفتنا، لمحمد باقر الصدر.

(٥) انظر الأفلاطونية المحدثة عند العرب - مصدر سابق - ص ١١-١٢.

(٦) الأنية: إن هذه الكلمة تعريبٌ دقيقٌ لمصدرٍ فعلٍ الكينونة باليونانية. يقول أبو البقاء في كلياته «طبع بولاق مصر سنة ١٢٨١ هـ ط ٢ ص ٧٦ تحت لفظ (إن) بالكسر والتشديد هي في لغة العرب تفيد التأكيد والقوة في الوجود ولهذا أطلقت الفلاسفة لفظ الأنية على واجب الوجود لذاته لكونه أكمل الموجودات في تأكيد الوجود وهذا لفظٌ محدثٌ ليس من كلام العرب» تقرأ الكلمة

فصارت النفسُ لذلك تفعلُ فعلاً إلهياً، ولكن العلة الأولى الحق الأول أشدُّ علةً للشيء من علته القريبة، لأنها لا تفارقه مفارقةً علته القريبة» (١)

العرش (٢) والكرسي (٣)

إنَّ كلامَ أرسطو هذا هو نفسه التكلمُ عن العرش مع ما لكلمة العرش من أهمية بنظر القرآن الكريم والحديث الشريف وعند الجميع، فالكلامُ عنه مجموعٌ بتقديم الاسم (٤) مفرقٌ فيما بين الله وبين اسمه. قال الله سبحانه: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (٥) فهذه الآيةُ تعرّفُ عن النسبة الخاصة التي للعرش عند الله بأنه يدبّرُ الأمرَ بواسطته (يدبّرُ الخلقَ والأمر) (٦)، فليس لكائنٍ

= إنَّية بالكسر للهمزة والتشديد للنون مع أنَّ الكلمة تُكتبُ غالباً بالمدَّة والنون الخفيفة (أنيَّة) وهذا هو الرسمُ الأقربُ إلى الأصلِ اليوناني - الزمان الوجودي - مصدر سابق ص (٥).

(١) انظر الأفلاطونية المحدثه عند العرب - مصدر سابق ص (٤، ٥) والعبارة بتصرف.
(٢-٣) العرشُ والكرسيُّ: الكرسي في اللغة الشيء الذي يُعتمدُ عليه، والكرسيُّ العلمُ والكرسيُّ القدرة. - انظر لسان العرب مادة كرس - العرش: سرير الملك. والعرش مجلس الرحمن - والعرش لا يقدر قدرُهُ. انظر لسان العرب - مادة عرش - والعرش والكرسي بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان وهما في الغيب مقرونان لأن الكرسي هو البابُ الظاهرُ من الغيب، منه الأشياءُ كلها والعرش هو الباطن. الميزان في تفسير القرآن - تأليف العلامة محمد حسين الطباطبائي - منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة - المجلد الثامن ص ١٦٥. يقول المكزون السنجاري:

عرش علا كرسية لما علا صورته معناه بالذات استقر

(٤) قديم الاسم: يراد به الحقيقة المحمدية التي هي التعيين الأول للذات الأحدية.

(٥) سورة طه «٥».

(٦) الخلقُ والأمرُ يعبرُ بهما عن عالم الغيب والشهادة والملكُ والملكوتُ والعقلُ والنفسُ. فعالمُ الخلق ما كان من المادة وعالمُ الأمر ما كان مجرداً عنها. ويشارُ بهما إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ سورة الأعراف آية «٥٤» شرح ديوان المكزون للشيخ سليمان الأحمد (مخطوط خاص) وقال المكزون في هذا المعنى:

عرفت الخلق والأمر ومعنى الكل في الكل =

كياناً إلا بالعرش، فالعرش هو الحقيقة المحمدية. وعلى التحقيق هو مظهر العظمة الإلهية ومكان التجلي وخصوصية الذات، وهو جسم الحضرة الإلهية ومكانها المنزه عن الجهات الشامل بقدرته أنواع الموجودات، وكلمة الكرسي دائماً مرادفة لكلمة العرش، فالكرسي عبارة عن تجلي جملة الصفات الفعلية. فهو مظهر الاقتدار الإلهي ومحل نفوذ الأمر والنهي.

وأول توجه الرقائق ^(١) الحقيقة في إبراز الحقائق الخلقية هو في الكرسي، وهو محل الإيجاد والإعدام ومنشأ التفصيل ومركز النفع والضر والفرق والجمع ^(٢)، فيه ظهور آثار الصفات المتضادة على التفصيل وهو محل القضاء، والقلم محل التفصيل واللوح محل التدوين ^(٣). وكل هذا التفصيل عن حقيقة

= فجمعت بلا وصل وفرقت بلا فصل
فوحدت ولا توحيد إلا لفتى مثلي
معرفة الله والمكزون السنجاري د - أسعد علي - دار الراشد العربي بيروت - ط ١ ١٩٧٢ ص
«١٨٨».

(١) الرقائق: هي هذه الصلات الممتدة بين الحقائق أو الذوات، تشبه في رقتها أشعة الشمس في امتدادها إلى البصر، فكل حقيقة يشع منها رقائق تربطها بالحقائق الأعلى والأدنى - المعجم الصوفي - مصدر سابق - ص «٥٣٥». وفي نفس المصدر ص ٥٣٦ نقلاً من كتاب الفتوحات المكية ج ١ ص «٥٤» ما يلي: «فالخلق له تسعة أفلاك للإلقاء، والإنسان له تسعة أفلاك للتلقي فتمتد من كل حقيقة من التسعة الحقيقة رقائق إلى التسعة الخلقية... (للنزول، للإلقاء) وتنعطف من التسعة الخلقية رقائق على التسعة الحقيقة (للعروج، للتلقي)».

(٢) الفرق إثبات الخلق والجمع، إثبات الحق ولا بد للإنسان منها - الفرق مقام يشهد فيه صاحبه الكثرة، أما الجمع فهو شهود الوحدة في عين الكثرة بخلاف الفرق الذي هو شهود الكثرة في عين الوحدة. انظر شعر ابن الفارض - مصدر سابق - ص ١٧٨ و ص ١٧٩. ولا تنس قول المكزون:

فجمعت بلا وصل وفرقت بلا فصل
(٣) يقول ابن عربي: اللوح هو محل التدوين والتسطير، واللوح هو الكتاب المبين والنفس الكلية، والألواح أربعة:

لوح القضاء: السابق على المحو والإثبات وهو لوح العقل الأول.
لوح القدر: أي لوح النفس الناطقة الكلية التي يفصل فيها كليات اللوح الأول ويتعلق بأسبابها =

التكوين لم يغب عن بال علمائنا فقد ذكروه وأوضحوه في كتبهم مراراً، وحيث علمت الآن - علمك الله الخير وأرشدك - أن علماء المسلمين قد اتفقوا على تباين مذاهبهم أن الحقيقة المحمدية أول التكوين وأنها مفاضة عن الله وأنها العاملة بكل منوع الأكوان لكن بقوة مكوّنها فحيث وجب أن نكتب ما يحقق أنها كلمة الله الأمرية «كن» (١) كما في قوله سبحانه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢) فكلمة كن هذه على معنى شروح الشراح الإلهيين فاعل يقول، أي إذا أراد الله سبحانه تكوين شيء كونه هذه الكلمة الأمرية وهي الاسم الأعظم، وليس كلام الله سبحانه صوتاً يقرع لأذن تسمع بل كلامه إذنه للشيء أن يكون فيكون، وبالحقيقة أن الله لا يفعل أفعاله بتوسط آلة فيكون لفعله مقدمات كفعل الإنسان يحدث بعد أن لم يكن وتنفى بعد ما تحدث، بل يفعل بذاته لا من واسطة فلذلك كان فعله بغاية الإحكام وتديره غاية التدبير لأنه يدبر ما يفعل فمشيئة الله سبحانه وإرادته وقدرته وقضاؤه وإمضاؤه أزلية بلا بداية وأبدية بلا نهاية، والمحدثات بالنسبة له سبحانه كنور الشمس بالنسبة

= وهو المسمى باللوح المحفوظ.

لوح النفس الجزئية السامية: التي ينقئ فيها كل ما في العالم بشكله وهيته ومقداره وهو بمثابة القلب.

لوح الهيولي: وهو القابل للصور في عالم الشهادة. انظر كتاب التعريفات - مصدر سابق - ص ٢٠٤.

- (١) كن: هي لفظة أمر وجودي لا يكون عنها إلا الوجود، وهي واحدة تتعدد بأشخاصها. يقول ابن عربي في الفتوحات المكية الجزء الثاني ص ٢٨٠ - ٢٨١ «وكن حرف وجودي فلا يكون عنه إلا الوجود، ما يكون عنه عدم لأن عدم لا يكون لأن الكون وجود» انظر المعجم الصوفي - مصدر سابق ص ٩٨٩ - والكلمة عند محي الدين بن عربي وغيره لها معانٍ اصطلاحية كثيرة ومن معانيها: أ: الكلمة: عيسى . قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمَتْهُ النَّسَاءُ ١٧١-٢: الكلمات الموجودة قال تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الكهف ١٠٩ - «فالموجودات كلها كلمات الله التي لا تنفذ فإنها عن (كن) وكن كلمة الله، فصوص الحكم ج ١ ص ١٤٢ - للتوسع انظر المعجم الصوفي مصدر سابق من ص ٩٧٥ - ٩٨٠.
- (٢) سورة يس آية (٨٢).

للشمس. فإذا جِيلَ بين نور الشمس والشمس في النور ولا يبقى آنين، وهذا نفس القول بأن الاسم العظيم هو الفاعل كل مفعول ولكن بمكونه لا بذاته، ويتفق هذا وقول القائل: «القدرة ذاتية في الله، وفي غيره مستعارة» فالحرارة أينما كانت، مصدرها النار، ويشرح جميع ما سبق القول الآتي: «إذا أراد الله إحداث أمر على يد ولي من أوليائه أنحلّه»^(١). شيئاً من قدرته وكان هو الفاعل على يد ذلك الولي». وبهذا كان عزرائيل ملك الموت يقبض الأرواح كما في قوله سبحانه ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾^(٢) ولا تتناقض هذه الآية مع قوله سبحانه: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾^(٣) فعلى هذا تكون أفعال الملائكة التي رتبها الله للمفاعيل كلها كالقوى البدنية والنفس كما هو في رسالة الشيخ^(٤). ورد في شرح الزيارة: «إنه^(٥) تحت المرتب الأزلي والآخذ عنه بغير وسيط والمفيد ما دونه الشرف والنور والحياة، وذلك لأن الملائكة مختلفة في الجهات والأفعال والمفعولات اختلاف عدد الذرات في الوجود، كل ملك يحمل بحسب قابليته وما يناسبه وما هو من جنسه ونوعه وشخصه، وكل ذلك الاختلاف والتمايز والتباين منحصر في جهة الموالي^(٦) عليهم السلام فلذلك كانوا مختلف الملائكة والوحي^(٧) في أحكام الذوات والأفعال والأعمال.

(١) أنحلّه في «أ» أحل فيه.

(٢) السجدة آية «١١».

(٣) الزمر آية «٤٢».

(٤) الشيخ هو: أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي وهو صوفي من أشهر متصوفي القرن الثالث الهجري - انظر تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان - مصدر سابق الجزء الثالث ص «٣٥٧»

(٥) إنه أي (الاسم العظيم) أو (الحقيقة المحمدية).

(٦) يقصد بالموالي الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. «اللجنة»

(٧) الوحي: إشعاع الحق وهو فلسفة وحكم وفن وجمال، والوحي نور أبوي حنون علّم الإنسان وأنجب الأنبياء وأنزل الأديان رفقا بالناس وهدياً لهم ورحمة بهم، فرحم الله امرأ اصطفاه الوحي فكان المصطفى. انظر كتاب النصوص مصدر سابق ص ٣٤٤ - ٣٤٥

والأحوال هبطَ عليهم وإذا أريدَ الإلهام ^(١) وسماعُ الصوتِ ونطقُ الجهاداتِ والنباتاتِ والحيواناتِ وما نطقَ من أحوالِ الكلامِ والألفاظِ والأغراضِ فهم محلُّ ذلك، وهذا الهبوطُ هو ظهورُهُ على حقائقهم والملائكةُ يأخذون عن أمثلتهم النورية منهم إليهم».

روى الشيرازي ^(٢) مرفوعاً إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إن التفاضلَ بين الخلقِ إنما هو بأمرِ الحق المعبرِ عنه بكن، فشخصُ كن أمران: أمرُ رباني لتحقيقِهِ يكونُ عنه ما شاء، وآخرُ غيرُ متحقِّقٍ ليس له ذلك ^(٣)» وهذا يتفقُ وما جاء في الجامعة ^(٤): «إنَّ كن مبنيةٌ على حرفين الأول: الكاف وهو الوجه المتصلُّ بالعلو، والثاني النونُ وهي منحنىةٌ إلى أسفل ويستمدُّ دائماً من الوجه الأول ويمدُّ من دونه، وهذان الحرفانِ هما العقلُ والنفْسُ الكلية ^(٥)» ولقد علمتُ مما تقدم هنا ومن منوعِ المطالعِ عن هذين الحرفين اللذين هما الأمرانِ بكلام الإمام جعفر عليه السلام واللذان هما العقلُ الفعالُ والكلمةُ الإنفعاليةُ أنهما

(١) الإلهام: هو مرتبةُ الرشيد الروحي التي يصلُّها الوحي عند تمامه - المصدر السابق ص (٣٤٥) - والإلهام في القاموس: مصدر ألهم الله فلاناً كذا: أوحى إليه به ولقنه إياه ووقفه له.

(٢) الشيرازي هو حسن بن حمزة الصوفي الشيرازي عاش في القرن السابع للهجرة صاحب كتاب التنبيه، له رسالة تسمى (تحفة الروح والأنس في معرفة الروح والنفْس) وهي محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق، وله رسالة أخرى اسمها (رسالة الأذكار الموصلة لحضرة نور الأنوار) وهي محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس، ويُفهمُ أنه من أصلٍ مصريٍ رحلَ على عادةِ الصوفيين إلى زيارة الأماكن المقدسة، ثم طاف في البلدان حتى استقر مقامه في شيراز.

(٣) انظر كتاب التنبيه (مخطوط خاص).

(٤) الرسالة الجامعة: هي للحكيم المجريطي وهو مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي الأندلسي. ولد في مجريط. توفي عام ٣٩٨هـ قال عنه القاضي (صاعد) في كتاب التعريف بطبقات الأمم ص ٦٩١: «إمام الرياضيين في الأندلس في وقته وأعلم من كان قبله في علم الأفلاك وحركات النجوم، وكانت له عنايةٌ بإرصاد الكواكب». طبع مجمع اللغة العربية بدمشق هذا الكتاب بجزأين سنة ١٩٤٩م بتحقيق الدكتور جميل صليبا.

(٥) النفس الكلية: هي باطن المخلوقات والعالم، شفاقة كالماء صافية كالبلور وكل محاولة لتبيين ماهيتها عقيمة. لمزيد من الاطلاع راجع النصوص - مصدر سابق ص ٣٣٥.

شيء^(١) واحد أو هما جهتان يجمعهما شيء واحد وليس بينهما إلا هما . . .

وهذه المعاني كلما تكررَت أفادت أنَّ العقلَ الأولَ^(٢) الذي هو (كن) تقومُ به كلُّ الكلماتِ التي يُكنَى بها عن كلِّ واحدٍ من الماهياتِ والأعيانِ والحقائقِ والموجوداتِ الخارجيةِ، وبالجملةِ هو عينُ كلِّ متعينٍ، وقد تُخصَّصُ المعقولاتُ من الماهياتِ والحقائقِ والأعيانِ بالكلمةِ المعنويةِ أو الغيبيةِ، والخارجياتُ بالكلمةِ الوجديةِ، والمجرداتُ المفارقاتُ بالكلمةِ التامةِ: وصورةُ تعلقِ هذا الأمرِ الإيجادي بالحقائقِ الإلهيةِ التي أفاضها الله على المكنوناتِ جميعها وهذه الحقائقُ هي: أركانُ البَيْتِ الإلهيِّ (الحياةُ والعلمُ والإرادةُ والقدرةُ) وهذه الأركانُ لها شروطٌ ولوازمٌ وهي القولُ والوجودُ والأقساطُ فإنَّ التأثيرَ إنما يصدرُ عن عالمٍ - في نفسه صورة يريد إظهارها - هو قادر على إظهار ما يتصوره في نفسه إلى حيز الوجود، وحينئذ يكون كالأمرِ نفسه بأمرٍ بأنَّ يظهره فأظهره فيكون القولُ صورةَ الأمرِ لشيء يعلمُ فيرادُ إيجاده^(٣) فهذا القول الذي هو كن الأمرية يكون وجودُ الموجوداتِ النورانيةِ المجردةِ التي تبادر^(٤) لقبولِ هذا الأمرِ فيكون من حركاتِها بالتسبيحِ والتهلِيلِ، حظيرةُ القدسِ، يسكنون بها ثمَّ كانتِ الكائناتُ بتكثُرٍ

(١) في ب شق.

(٢) العقلُ صورةٌ لمعقولٍ أولٍ هو الله، وهو إشرافٌ يفيضُ على الصورةِ فهو نورٌ من نورٍ والعقلُ جوهرٌ مجردٌ عن المادةِ في ذاتهٍ مقارنٌ لها في فعلِهِ. والعقلُ مفارقٌ بنورانيتهِ ظلمةُ الجسمِ ولذلك يُدعى الدرَّةُ البيضاء. انظر كتاب التعريفات - مصدر سابق ص (١٥٧) وانظر النصوص مصدر سابق ص (٢٣٠) وانظر (الكافي) كتاب العقل والجهل ج ١ ص (٢١) وفي الأحياء للغزالي - دار المعرفة ج ١ ص (٨٣): «أول ما خلق الله العقلَ فقال له أقبلْ فأقبلَ ثم قال له أدبرْ فادبرَ فقال الله عزَّ وجلَّ: وعزِّي وجلالي ما خلقتُ خلقاً أكرمَ عليَّ منك بك آخذٌ وبك أعطي وبك أثيبُ وبك أعاقبُ». راجع بهذا الخصوص (نهج البلاغة - تحف العقول - مشارق أنوار اليقين - المعجم الصوفي للدكتور سعاد الحكيم).

(٣) انظر التنبيه (كتاب مخطوط خاص) للصوفي حسن بن حمزة الشيرازي - انظر شرح التنبيه.

(٤) في «ا» متبادر وفي ب فتبادر.

الأنوار. تكثفت بالقدرة وتسترَّت بالحكمة، فصارت هذه الكشائف أماكن وأجساداً واللطائف ممكناتٍ وأرواحاً ناطقة بتوحيد الله. وهذا مما يُثبت لنا أنَّ لا وجودَ إلا للنور ولا موجودَ إلا بالنور وبالتالي لا موجودَ إلا النور. والكونُ والفسادُ^(١) الدائبانِ بهذه الكشائف التي قال عنها بعضهم: إِنَّ النونَ يأخذُ من الكافِ حتى يمتلئ فيُلقي على مَنْ دُونَهُ ويرجعُ ليأخذَ فيضاً آخره ويتواترُ هذا الأخذُ والإعطاءُ بتواترِ الكونِ والفسادِ. وهذا الرأي على جماله وروعته أرى أنه محاطٌ بالخطأ لأنَّ الاستمدادَ والإمدادَ دائمان متصلان لا ينقطعان وليس من مدةٍ زمنيةٍ بينهما ولكن هذا المشكلُ يتضحُ لك بما في مؤخرَةِ التقويم^(٢) وبما في التنبيه، ونُوجِزُ لك ما في مؤخرَةِ التقويم: «إِنَّ الأزلَ القديمَ أبدعَ شخصاً كلامياً^(٣) روحانياً لإظهارِ آياته، وأبدعَ من نورِ ذلك الشخصِ شخصاً علمياً، وجعلهُ مستقرَّ أسمائه وصفاته، وأجرى من هاتين الصورتين مصادراً أحكامه ومواردها وجعلَ أحدهما للدلالة والإشارة والآخرَ لتقييدِ العبارة وهو تعالى يتجلى بأيهما شاء إذا شاء فيما شاء، وصيرَ أحدهما لإظهارِ العجزِ والآخرَ لإظهارِ المعجزِ وتقَدَّسَ الله أن يكونَ في ذاته اختلافٌ لأنه لا يُطلقُ عليه أحكامُ المحدثين ولا يصحُّ أن يكونَ قادراً من وجهٍ بإظهارِ العجزِ مقدوراً عليه من وجهٍ بإظهارِ المعجزِ ولكنَّ الشخصَ الكلاميَّ والشخصَ العلميَّ هما محلُّ الصفاتِ والنعوتِ والاستقرارِ والثبوتِ، فالشخصُ الكلاميُّ صفةُ العلمِ والشخصُ العلميُّ صفةُ القدرة لأنَّ العلمَ بالأشياء سابقٌ وجودها، والقدرةُ هي العاملةُ بالإيجادِ فيكونُ أمرُ الله وإرادته جاريتين بالعلمِ والقدرة في سائرِ الأشياء الكونية فصار العلمُ هو الواحدُ

(١) يقصد به ما تكون من العناصر المادية، فهو دائم التجديد والتغير لا يستقرُّ على حالٍ. «اللجنة»

(٢) التقويم: كتاب مخطوط خاص.

(٣) الشخصُ الكلاميُّ الروحانيُّ هو الكائنُ الأولُ الصادرُ عن الحقي الأولِ تعالى وهو العقلُ الأولُ، والشخصُ العلميُّ هو النفسُ الكلية. «اللجنة».

والقدرة هي الوجدانية والغاية العليا الأحد^(١) فكملت دائرة حقائق الأشياء بإظهار أحكام الأحد عن صفة الواحد على يد قدرته (الوجدانية) كالماء المتوجح ينجر عن ثلاث أحوال: الماء والموج والحركة وهو في ذاته ماء لم تحدث فيه الحركة زيادة ولا نقصاناً، واختلاف فلاسفة الإسلام وحكمائهم كثيراً على كيان هذا الجوهر الأول هل هو بدن طبيعي؟ أم جسم نوري؟. غير أن هناك إجماعاً على تجلي جبريل بصورة دحية الكلبي^(٢) وهذا هو تجلي الجنس للجنس^(٣) كالناظر

(١) الأحد: اسم لمقام الغيب الذي لا اسم له ولا رسم ولا صفة له ولا خبر عنه، والواحد اسم لمقام ظهوره تعالى بأسمائه وصفاته في مقام الواحدية هو متكرر بكثرة الأسماء والصفات بحيث لا تتلئم وحدته بهاء في مقام الأحدية لا كثرة فيه لا في الواقع ولا في العقل ولا في الاعتبار - بيان السعادة - تأليف الحاج سلطان محمد الجنازدي المجلد الرابع - الطبعة الثانية - مطبعة دانكاه طهران ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٢) ذكر ابن حجر أنه (دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي - صحابي مشهور وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبرائيل عليه السلام عندما يأتي بالوحي ينزل على صورته، جاء ذلك من حديث أم سلمة ومن حديث عائشة وكثيرون رَوَوْا مثل هذا . انظر الاستيعاب ص ٤٧٣ - ٤٧٤ وانظر هامش الإنسان الكامل ج ٢ - ص ٦٢ - ويذكر ابن الفارض قصة دحية في تائيته المشهورة فيقول:

وها دحية وافى الأمين نبينا	بصورته في بدء وحي النبوة
أجبريل قل لي: كان دحية إذ بدا	لمهدي الهدى في هيئة بشرية
وفي علمه عن حاضريه مزية	بماهية المرثي من غير مزية
يرى ملكاً يوحى إليه، وغيره	رأى رجلاً يُرعى لديه لصحية

(٣) قال الله تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... الآية». سورة النور آية (٣٥) فالله في صريح القرآن: نور، لكنه نور مجرد ورؤيته لا تكون إلا بحسب مدارك الرائي وشكله وجنبيه، ولذلك فإن الملائكة يرون الله نوراً لأنّ جنسهم النور، أما إذا تجل للبشر فيتجل لهم بصورة بشرية لأنّ جنسهم بشر، وتجليه نوراً كان أو بشراً لم يحله عن كيانه، بل يبقى كما هو منزهاً عن الصورة والتصوير وغير ما رُئي به لأنّ رؤيته غيره وهو غير رؤيته وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث مرفوع رواه ابن عباس ما نصّه: «رأيت ربي في هيئة شاب...» وقد رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. انظر الحديث في (شرح جوهره التوحيد) لمؤلفها الشيخ إبراهيم الباجوري مراجعة وتقديم: عبد الكريم الرفاعي - مكتبة الغزالي - حماه ١٩٧٢ ص (٢٦٨) وانظر التوحيد للشيخ ابن بابويه القمي - دار المعرفة - بيروت ط ٤ ١٣٨٧ هـ ص (١١٣) «رؤية الله هنا تعني رؤية مظهره». (اللجنة)

في المرأة، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا^(١)﴾

تنزيه النبي عن الصورة

قال أبو حامد الغزالي في كتابه المضمون به على غير أهله: «النبي صلى الله عليه وآله وسلم منزّه عن الشكل والصورة واللون ولكن تنتهي تعريفاته إلى الأمة بواسطة مثال صادق ذي شكل ولون وصورة، والذي نراه مثال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا النبي وكذلك تنزيه الله سبحانه، وتنتهي تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره من الصور الجميلة التي تصلح لأن تكون مثلاً للجمال المعنوي الحقيقي الذي لا صورة له ولا لون^(٢)» فالله قد كَوَّنَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم امرأةً لذاته فلا يظهر الله بذاته إلا به، فهو قطب^(٣) العالم الدنيوي والأخروي، وقطب أهل الجنة والنار الخ . . .

(١) سورة مريم آية (١٧).

(٢) انظر هامش الإنسان الكامل - مصدر سابق ج ٢ من ص (٥٧ - ٥٩)

(٣) القطب في اصطلاحات الصوفيين: هو رأس العارفين وهو صاحب الوقت ومحل المظاهر الإلهية. للتوسع انظر شعر عمر بن الفارض. دراسة في فن الشعر الصوفي - مصدر سابق - من ص (١٩٠ - ٢٢٠).

الباب الثاني

الحركة والسكون



لما كانت الحركة^(١) * موجودة (كان لا بد لها^(٢)) من موجدٍ مبدئٍ لها، وهذا المبدئ هو محركٌ ومتحركٌ أولٌ مثل الحياة السارية في عالم الجسم من عالم الوحدة والكمال (الذي هو عالم العقل) ولا بد لها من مبدئ^(٣) وهو متحركٌ ثانٍ، مثل الكمال الثاني من^(٤) عالم العقل الذي هو المحرك لنوع الإنسان، والموجود الأول^(٥) هو المحرك الذي لا يتحرك وتحريكه لغيره^(٦) على نحو ما تكون حركة المحب^(٧) إلى محبوبه. والأمر في ذلك أن المحرك الأول هو غاية

* موضوع الحركة موضوعٌ شائكٌ ودقيقٌ وقد تناوله العلماء الإلهيون في أبحاثهم منذ أقدم العصور وقالوا فيه الكثير لذلك فلا غرابة في وجود تشابه بين ما كتبه علامتنا وما كتبه الآخرون فقد رجع في بحثه إلى العديد من الكتب النفيسة. للمزيد من الاطلاع - انظر مثلاً - راحة العقل - للداعي أحمد حميد الدين الكرمانلي - تحقيق - الدكتور محمد مصطفى حلمي والدكتور محمد كامل حسين. منشورات دار الفكر - القاهرة - ١٩٥٢م ط ١ من ص (٨٩) إلى (٩٤).

(١) الحركة: يُقصدُ بها الخروجُ من القوة إلى الفعل، أو هي شغلٌ حيزٌ بعد أن كانَ في حيزٍ آخر أو هي كونانٍ في آئينٍ في مكانين بينما يعد السكون كونين في آئينٍ في مكانٍ واحدٍ. ويقولُ صاحبُ النصوص، ولا مجالَ لإنكارِ الحركة ولا تثبتِها أيضاً وأربابُ الحقائق حاثرون في تبيانِ حقيقة هذا التنقلِ المعدومِ بحكمِ هويتهِ الموجودِ بحكمِ ظهوره والحقُّ أنَّ التداخلَ بين العينِ والعيانِ والظهورِ والخفاءِ قد اقتضى هذه الخلخلة - المعبرُ عنها بالحركة، لمزيد من الاطلاع راجع النصوص في مصطلحات التصوف مصدر سابق ص «٩٤».

(٢) العبارة سقطت من ا

(٣) في ا مبدئ

(٤) في ب في

(٥) الموجود الأول: المحرك الذي لا يتحرك يُرادُ به الحقيقةُ المحمديةُ. «اللجنة»

(٦) في ا و ب للغير.

(٧) حركة المحب إلى المحبوب تُسمَّى الحركة الشوقية وهي لا تقاسُ بالامتار أو غيرها من المقاييس فهي موجودة بالرغم من عدم وجود المسافة، ولما كانت الحركات المعروفة تتم لتقصير مسافة فإن

المنبعثُ عنه وهو الكمال الثاني وقيامه^(١) متعلقٌ بالتقديسِ والتمجيدِ، وفي التسبيحِ والتحميدِ سرُّه وبقاؤه وبهجته، والعلّةُ في حركةِ المتحركِ هي صورته المعقولةُ عن المبدعِ الذي هو الموجودُ، وهذه الصورةُ كماله وهي مصدرُ الفيضِ الإلهيِّ الساري في جميعِ الموجوداتِ. ووجودُ الموجوداتِ وبقاؤها به، وبهذه الصورةِ صارَ المتحركُ الأولُ محركاً أوّلاً بغيره والمحركُ متحركاً أوّلاً بذاته فإذا توهمنا فيه حركةً فهي إحاطةُ ذاته بذاته^(٢) عظمةً وجلالةً وقيامه بمعرفته وإقراره بالعجزِ عن إدراكِ ما وجد عنه. وهذا المبدعُ الأولُ عقلٌ وعاقِلٌ ومعقولٌ فهو عقلٌ لأنَّ كونه محضُ العقلِ الكائنِ عن الحقِّ الأولِ، وهو عاقلٌ فهو من جهةِ إحاطتهِ بذاتهِ وعقله إياها ولأنَّه لا يحتاجُ في^(٣) أن يكونَ إلى شيءٍ غيره بل ذاته معقولةٌ لذاته. فالعاقلُ هو المعقولُ والمعقولُ هو العاقلُ ذاتٌ واحدةٌ مثل ما عليه عقولنا البشريةُ وجلُّ هو وعلا فإنَّ عقولنا تحيطُ بجوهرها وتعرفُ ذاتها بأنَّه جوهرٌ حيٌّ ضابطٌ ما تقدم عليه في الوجودِ، وليس ما تقدّمَ عليها من الجواهرِ شيءٌ غيرها بل هي هو جنساً ونوعاً وهو هي لا مغايرةً بينهما عالمةٌ بذاتها معلومةٌ لذاتها والمعلومُ هو العالمُ ذاتٌ واحدةٌ لأنَّ الموجودَ عن الله المتعالِي جلَّ جلاله تعالى أن يكونَ معه علّةٌ لكلِّ ما سواه، فاتضحَ أنَّ المحركَ الأولَ هو الله بذاته فلا بدَّ لهذه المتحركاتِ من محركٍ آخر متقدّمٍ عليها.

وهكذا حتى ينتهي العقلُ إلى محركٍ بذاته أو محركٍ لا يتحركُ لأنَّ العقلَ لا

= الحركةُ الشوقيةُ لا تقاس، وذلك لأنَّ الشوقَ هو امتدادُ النفسِ إلى المحبوبِ وفي ذلك يقول الأمير حسن بن مكرزون السنجاري:

الشوقُ أكبرُ مِنْ أنْ يحويه مِنِّي كتابُ
والحبُّ أكبرُ مِنْ أنْ يخفيه عني حجابُ

البيتان: من رباعية في الشوق. انظر معرفة الله والمكرزون السنجاري - مصدر سابق ج ٢ ص

٣٥٠

(١) في أو كماله

(٢) في ا وب ذاتية

(٣) سقطت في ا وب.

يقبل التسلسل إلى غير نهاية، وهذا المحرك الذي لا يتحرك لا بد أن يكون سرمدياً^(١) وأن يكون كاملاً منزهاً عن النقص والتركيب والتعدد، وهو سابق للعالم سبق علة لا سبق زمان كما تسبق المقدمات^(٢) نتائجها في العقل ولكنها لا تسبقها في الترتيب الزمني لأن الزمان^(٣) حركة العالم فهو لا يسبقه، أو كما قيل لا يخلق في زمان حركتان، والتغير الجبلي الذاتي في المتحركات لا من الحركة لأن الحركة عبارة عن الخروج من القوة إلى الفعل فلا بد من تقوية بذات من الذات لتخرج من القوة إلى الفعل. والزمان مقدار الحركة تابع لها^(٤). والحركة هذه والزمان هذا من آثار الطبيعة، فالطبيعة متحركة أبداً. والطبيعة إذا أمر سيال الذات متجدد الحقيقة ولو لم تكن سيالة لم تصدر الحركة عنها لاستحالة صدور المتجدد عن الثابت، اللهم إلا بتوارد أحوال عليها تصلح لأن تكون مع أصل الحركة معدات لأجزائها لسبقها عليها بالزمان، وليس في الطبيعة متغير فالتغير الذاتي إنما هو الطبيعة^(٥) من غير تحلل جعل بينه وبينها وبهذا يصح ارتباط الحادث بالقديم وذلك لأن تجدّد^(٦) الطبيعة عين ثباتها كما أن القوة في المادة عين فعليتها، فالطبيعة بما هي ثابتة مرتبطة بالحق تعالى وبما هي متجددة يرتبط^(٧) بها تجدّد المتجددات وحدوث الحادثات، فالتحرك ليس إلا الطبيعة السارية في العالم الجسماني بأمر الله سبحانه، بل هو الوجود الساري في العالم الإمكانى^(٨) بإذن الله جلّ جلاله وما سوى ذلك فإتما يتحرك بالعرض والتبع،

(١) السرمدي: ما لا أول له ولا آخر - كتاب التعريفات مصدر سابق ص ١٢٣

(٢) في ب المقدمات

(٣) في ب - للزمان.

(٤) سقطت في ا

(٥) في اللطبيعة

(٦) في ا تجد

(٧) في ا وب إليها.

(٨) الإمكان: عدم اقتضاء الذات الوجود والعدم - كتاب التعريفات مصدر سابق ص ٣٧ والعالم الإمكانى - هو عالمنا، عالم الوجود بأسره «اللجنة».

فالحق سبحانه أحدي^(١) الإبداع والصنع أحدي الأمر والتكوين والعالم تدريجي الوجود وإنما كان بأمركن فالله سبحانه ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾^(٢) فالأشياء بطبيعتها ليست كما تحسها إن هي إلا تيار من الحركة المختلفة السرعة، فالنور الظاهر الخفي ترى حواسنا ويدرك إحساسنا الذهني صورة عنها ثم تصير صورة هذه المدركات مدركات عقلية فالفكر كائن إدراكي وله نشاط معنوي محض ثبت أنه نور لا يرى بالعين وعرفنا أن الفكر شعاع^(٣) من العقل، وهناك نور آخر كوني متشبي^(٤) منظور بالعين وبينهما رتبة هي التي تعمل بصورة خفية^(٥) بين النور الفكري المجرد وبين النور الكوني المنظور أو لعله المسمى بالخيال الذي يرد ذكره في مسائل العماد^(٦) وكل معنوي لا ينقسم ولا يتحيز ولا يتعدد وإن اختلفت مفاهيمه، وكل محسوس متعدد مختلف الصور، والاختلاف شديد بين الحكماء^(٨) والفلاسفة^(٩) في هل الله سبحانه ساكن أم متحرك. فمنهم من يقول: «إن الباري تكلم بنوع حركة وسكون»^(١٠) يعني متحرك بنوع سكون وهو علة كل متحرك وساكن. ومنهم من يقول: «إنه ساكن لا يتحرك لأن الحركة لا تكون إلا محدثة إلا أن تكون

(١) سقطت في (١) و (ب).

(٢) الآية ١٧ سورة البقرة.

(٣) شعاع سقطت في (١) و (ب).

(٤) في ب متشبي.

(٥) خفية: مصدر صناعي من خفاء ويعني ضد الظهور.

(٦) العماد: هو العماد الغساني (الشيخ أحمد بن جابر) وقد سبق الحديث عنه.

(٧) في (١) و (ب): محس.

(٨) الحكماء: جمع مفرد حكيم: وهو صاحب الحكمة أي الكلام الموافق للحق، أي العالم

(٩) الفلاسفة: جمع مفرد فيلسوف: والكلمة يونانية تعني المشتغلين في المسائل العلمية المتفننين في ذلك، الذين يشتغلون بعلم الأشياء من خلال مبادئها وعليها الأولى.

(١٠) هذا قول أرباب الحقائق الذين حاروا في تبيان حقيقة هذا التنقل المعلوم بحكم هويته الموجود بحكم ظهوره. النصوص في مصطلحات التصوف - مصدر سابق ص ٩٤.

حركة فوق هذه الحركة : كما أن ذلك السكون فوق هذا السكون»^(١) ولكن^(٢) أحداً منهم لم يعن بالحركة والسكون اللبث^(٣) في مكان دون مكان ولا بالحركة التغير والاستحالة وبالسكون الجوهر والدوام ، وإنما عنوا^(٤) بالحركة والسكون في العقل والنفس - الفعل والأنفعال - وذلك أن العقل لما كان واحداً كاملاً بالفعل قالوا «هو ساكن واحد مستغن عن حركة يصير بها فاعلاً» والنفس لما كانت ناقصة متوجهة إلى الكمال قالوا : «هي متحركة طالبة درجة العقل» ثم قالوا عن العقل : «هو ساكن بنوع حركة» أي هو بذاته كامل بالفعل فاعل مخرج نفسه من القوة إلى الفعل والفعل نوع حركة في سكون ، والكمال نوع سكون في حركة . أي هو كامل ومكمل لغيره .

(١) من هؤلاء زينون الأيلي «حوالي ٤٩٠ - ٤٣٠ ق.م» الذي قال بالطبيعة الجدلية للحركة وكان يعتقد بأن الوجود غير متناقض ومن ثم فإن الوجود المتناقض وجود ظاهري وأشهر المعارضين عليه في قوله هذا الفيلسوف الألماني هيغل . الموسوعة الفلسفية - ترجمة سمير كرم - دار الطليعة بيروت ط ٤ ١٩٨١ م ص ٢٣٧ .

(٢) سقطت في أوهي في ب ولكم .

(٣) اللبث في المكان الإقامة فيه لغة - القاموس .

(٤) سقطت في أوب .

الباب الثالث

الاسم

الاسمُ هو ما دلَّ على مسماه سواء أكانَ باللفظِ الصوتي أم بالكتابة أم بالمفهومِ الذهني أم الموجودِ الذاتي تحتَ نظيرِ العينِ أو نظيرِ العقلِ . وأدُلُّ أنواعِ هذه الأسماءِ الموجودِ العيني الدالُّ على غيره، ومن تقيَّدَ نظرُهُ بالمحسوسِ لا يعرفُ من الاسمِ إلَّا اللفظُ والنقشُ كأكثرِ الناسِ لاحتجاجهم عن دلالةِ الأشياءِ على غيرها وعن كونها مجلًى لمفاعيلِ قدرةِ اللَّهِ . وأسماءُ اللَّهِ الحسنى لا جهةَ لها إلَّا أنها مرأى أفعالِ اللَّهِ لأنها مختصةٌ بِاللَّهِ ليس لها دلالةٌ على غيره وإن رُئي بها فهي اسمٌ لمسمًى واحدٍ هو نفسه اسمُ اللَّهِ لأنَّه دالٌّ عليه ففي كلِّ شيءٍ اسمٌ من حضرته^(١) تعالى، واسمٌ كلُّ شيءٍ حسنٍ هو من أسمائه الحسنى فالجميلُ فيضُ جماله واللطيفُ في الكلِّ لمفاعيلُ لطفِهِ وفيضِهِ، والقهارُ مجلًى اسمه القاهرُ وهكذا فكلُّ ما في التكوينِ من إفاضاتِ أسمائه . فأنت دائماً بين أسمائه وصفاته وأفعاليه، ظهرَ بقدرته وبطنَ بحكمته وحجبَ الذاتَ بالصفاتِ وحجبَ الصفاتِ بالأفعالِ وكشفَ العلمَ بالإرادة والإرادة بالحركاتِ وأخفى الصنعَ بالذواتِ فكانتِ المكنوناتُ . ولكنَّ الأسماءَ تختلفُ بحسبِ الاعتباراتِ، فالفيضُ الأولُ

(١) الحضرةُ الألهيةُ هي الذاتُ الإلهيةُ مع صفاتها وأفعالها، وكلُّ حقيقةٍ من الحقائقِ الإلهيةِ أو الكونيةِ مع جميعِ مظاهرها في كلِّ العوالمِ تشكلُ حضرةً فيقالُ حضرةُ الغيبِ المطلقِ، وحضرةُ الشهادةِ المطلقةِ، وحضرةُ القدرةِ، وحضرةُ الخيالِ . . . الخ . . . فالحضراتُ الإلهيةُ لا تنحصرُ لأنها نسبٌ، وكلُّ اسمٍ إلهيٍّ هو حضرةٌ، ومن أسمائه ما نعلمُ ومنها ما لا نعلمُ موكلٌ ما يفتقرُ إليه هو اسمٌ من أسمائه تعالى، والحضرةُ الجامعةُ وعالمها الإنسانُ الجامعُ بجميعِ العوالمِ (الملكُ والملكوتُ والجبروتُ) الملكُ عالمُ الشهادةِ، والملكوتُ عالمُ المثالِ المطلقِ، والجبروتُ عالمُ المجرّداتِ . وكلُّ عالمٍ مظهرٌ لما فوقه وعالمُ الجبروتِ هو مظهرُ الأعيانِ الثابتةِ وهو مظهرُ الأسماءِ الإلهيةِ والحضرةِ الواحديَّةِ، وهي مظهرُ الحضرةِ الأحديَّةِ، انظر المعجم الصوفي - مصدر سابق ص ٣٢٣ - ٣٢٧ وانظر كتاب التعريفات مصدر سابق ص (٩٣) .

يسمى العقل لتعقله كما يسمى بعقل الكل لأنه مد جميع العوالم الجزئية
 المفرقة بالمخلوقات. وبالعقل الكلي لأنه هو الكل أي قائم بالكل، وبالقلم
 لنقشه المعلومات في قوالب ألواح النفوس، ويسمى كلمة الله العليا. خلق
 الله العالم بالكلمة وكلمته ألقاها إلى مريم^(١) وما الكتابة سوى تصوير الحقائق
 على أية صورة كانت وما اللوح سوى الجوهر القابل لذلك سواء أكان محسوساً
 أو معقولاً، وكُم ورد عن المعصومين عليهم السلام: ^(٢) «نحن الأسماء الحسنی»^(٣)
 وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا اسم أعظم مني»^(٤) «أنا اسم الله
 الأعظم»^(٥) وقد ورد في دعاء أمير المؤمنين عليه السلام «بأسمائك التي ملأت
 أركان كل شيء»^(٦) وله أيضاً: بالاسم الذي خلقت به العرش.. بالاسم الذي
 خلقت به الكرسي.. وبمفاعيل هذه الأسماء التي يجمعها الاسم العظيم كانت
 الأخبار الدالة على أن عبد الاسم والمعنى مشرك، وعابد المعنى - بإيقاع الأسماء
 عليه بصفاته التي وصف بها نفسه ناظرة إلى الأسماء العينية بأنها دلالة على
 المسمى - موحّد.

(١) سورة النساء آية (١٧١).

(٢) المعصوم هو الذي لا ينوي الشر ولا يفعله، ويراد بالمعصومين محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 وآله الطاهرون عليهم السلام.

(٣) الحديث يورده صاحب بيان السعادة دون نسبته لأحد.

انظر بيان السعادة. مصدر سابق ط ٢ مجلد ١ صفحة (٧٥).

- وفي شرح دعاء السحر نسب الحديث إلى أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام.

انظر شرح دعاء السحر: الأمام آية الله الخميني - مؤسسة الوفاء - بيروت ط ٢ ١٩٨٤ م صفحة
 (٨٤).

(٤) الحديث يرد في بيان السعادة دون نسبته لأحد.

انظر بيان السعادة - مصدر سابق - مجلد أول ص (٧٥).

(٥) الاسم الأعظم: هو ما يُجاب به الدعاء (وهو الحقيقة المحمدية)

انظر مشارق أنوار اليقين - مصدر سابق ص (١٥٧).

(٦) من دعاء متداول مشهور لأمير المؤمنين عليه السلام رواه تلميذه كميل بن زياد النخعي.

انظر مثلاً: دعاء وابتهاال لأمير المؤمنين عليه السلام توزيع دار التعارف - بيروت ص (٣).

ومن جملة أدعية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك... الخ»^(١) وفي تقويم الأسماء^(٢) ما يشرح هذا كله بكلمات موجزة وهو قوله: «لا تكون المعرفة تامة إلا بمعرفة الاسم واسم الاسم واسم اسم الاسم»^(٣) وكل واحد منها اسم لما فوقه لأنه يعبر عنه. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾^(٤) فالاسم الحسن الذي ليس بإطلاقه على الحق سبحانه ولا في دلاليته عليه نقص أو عدم، وتقدير اللام في (الله)، أي تقديم لفظة الجلالة على لفظ الأسماء يدل على حصر الأسماء فيه وذلك لحصر الصفات العليا فيه وهذا يفيد عدم جواز إطلاق الأسماء السوءاء عليه لأنها تستلزم الحد والنقص قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمِيَتْهَا أُنْتَمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾^(٥) والأسماء التي علمها الله سبحانه لأدم إذا أريد آدم المسجود له من قبل الملائكة فهي علم الموجودات جميعها مجرداً ومحسوسها ومن حيث إنها دالات على مسميات فالأشياء كلها دقائق للحقائق التي أودعها الله

(١) الفتوحات المكية - محي الدين بن عربي - تحقيق دكتور عثمان مجنى ج ٤ من ص ١٧٦ - ١٧٨

(٢) تقويم الأسماء (مخطوط)

(٣) إن الاسم هو اللفظة الموضوعية للتعريف عن ذات الشخص أو أي شيء كان ليدعى به. وللصوفيين اصطلاحاتهم الخاصة بهذه الأسماء: إن اسم الاسم هو اللفظ الموضوع للدلالة على الاسم، ويلاحظ أن الاسم هنا يقوم مقام المسمى «واسم الاسم» هو اللفظ كما تفهم اللغة معنى الاسم يقول ابن عربي: «هذه الأسماء اللفظية والمرقومة التي عندنا أسماء تلك الأشياء (الإلهية) انظر المعجم الصوفي - مصدر سابق - ص ٦٠٧ - يُراد بالاسم رتبة الأحيد، واسم الاسم الواحد، واسم اسم الاسم الوجدانية. فالواحد صفة الأحيد والوجدانية صفة الواحد وإذا نزه الله عن الاسم والصفة كان الاسم (الحقيقة المحمدية) واسم الاسم النفس الكلية - واسم اسم الاسم الطبيعية الكلية أو الهيولى التي كان منها عالم النور المجرد واللجنة».

(٤) الأعراف آية (١٨٠).

(٥) سورة يوسف آية (٤٠).

آدمَ، ولذا كانت هذه الأسماءُ بمجموعِها، مشتقةً أسماؤها من أسماءِ اسمِ الله وهم محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين. وإذا أُريدَ آدمُ النوع أو آدمُ الجنسِ عالمُ الإنسانِ المركَّبِ فالمرادُ بالأسماءِ ما أودَعَ اللهُ به بحيث لا يشذ عن حيطة وجوده شيءٌ، ونسبَ إلى أمير المؤمنين^(١) عليه السلام:

دواؤُكَ فيكَ وما تشعُرُ وداءُكَ منك وما تُبصِرُ
وأنتَ الكتابُ المبين الذي بأحرفه يظهرُ المضمَرُ...
وتزعمُ أنَّك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ

الاسمُ الجامعُ «اللهُ»

وحيثُ علمتَ - زادك اللهُ علماً - أنَّ الأشياءَ جميعها أسماءُ الله لأنها جميعها دالةٌ على الله وتختلفُ باختلافِ دلالاتِها، فلفظةُ الجلالةِ «اللهُ» دلتُ على الله الحقِّ الأولِ وهي غيره، قال اللهُ سبحانه: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرضَ ليقولنَّ اللهُ قل الحمدُ لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾^(٢). فلفظةُ الجلالةِ «اللهُ» تكتب ويشار بها إليه تعالى، والله أعلى من هذا الاسمِ المقيد بهذه الحروف، غير أنَّ هذا الاسمَ فيه معنى الألوهية ومعنى التصرفِ بل فيه جميعُ الإضافاتِ الممكنةِ من الخالقِ بالنسبةِ للمخلوقِ، فهو الاسمُ الجامعُ وإمامُ أئمةِ الأسماءِ الذي لا اسمَ أعظمُ منه، وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال: «لا اسمَ أعظمُ مني» وليس من اسمٍ لله سبحانه إلا وهو ظلُّ لهذا الاسمِ، ولله أسماءٌ مخصوصةٌ لا تشتركُ بالخلقِ والتكوينِ كلفظةِ (هو) مثلاً فإنه ضميرٌ يُشارُ به إلى مقامِ الغيبِ مجرداً من جميعِ الاعتباراتِ حتى اعتبارِ التعيينِ بخلافِ لفظةِ الجلالةِ فإنها اسمٌ للذاتِ باعتبارِ جميعِ الصفاتِ. «فالهاءُ تنبيهٌ على معنى ثابتٍ والواو

(١) نُسبتِ الأبياتُ إلى الإمامِ علي عليه السلام، انظر مقدمة مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية -

تأليف سباحة آية الله العظمى - الإمام الخميني - تقديم السيد أحمد الفهري مؤسسة الوفاء -

بيروت - ط ١٩٨٣ م - ١٤٠٣ هـ وقد أوردَ البيتين الثاني والثالث بتقديم وتأخير.

(٢) سورة لقمان آية (٢٥).

إشارةً إلى الغائبِ عن الحواسِ»^(١) ولقد أبدعَ العمادُ^(٢) بتعريفه وجوب وقوع الأسماءِ بأنّها تقعُ على الصورة، والصورة^(٣) من لوازمِ الهيولى. فالهيولى لا تبدلُ والصورةُ تبدلُ بالهيولى كالشمعِ قابلُ التصورِ تارةً بصورة إنسانٍ وتارةً بصورة حيوانٍ وتارةً بصورة نباتٍ وغير ذلك، فكلما تنوعتْ وقعَ عليها اسمُ ذلك النوعِ من غير أن تبدلَ ذاتُ الشمعِ، وكما يحدث اسمُ البيت عند بنائه والثوب عند تمامه.

الاسم الأحد

إنَّ الله سبحانه لا يُشاركُ باسمِ الأحدِ شيئاً ويُرادُّ به - من تسمية الله به - ما هو واحدٌ من جميعِ الوجوه^(٤)، لأنَّ الأحديّةَ هي البساطةُ الصرفُ الممتنعُ عن التعدّدِ والتركيبِ والتحليلِ إلى استهلاكِ الكثرة النسبية الوجودية في أحديّة الذاتِ، ولذا رجحَ الأحدُ على الواحدِ في مقامِ التنزيه، فالواحدُ انتفاءُ التعدّدِ^(٥) والكثرة العينية وإن تعلّقت فيه الكثرة النسبية، والواحدية عبارة عن مجلّى ظهورٍ إلهيٍّ، الذاتُ فيه صفةٌ والصفةُ فيه ذاتٌ فهذا الاعتبارُ ظهرَ. كلٌّ مِنْ الأوصافِ عَيْنُ الآخرِ فالمتنقّمُ فيها عَيْنُ الله واللهُ عَيْنُ المتنقّمِ وهكذا... وهذا باعتبارِ الذاتِ بالصفاتِ وفي آثارها وفي كلّ شيءٍ مما ظهرتْ فيه الذاتُ بحكمِ الواحدية عَيْنُ الآخرِ، ولكلٌّ من الأسماءِ غير^(٦) المتناهية مظهرٌ في الخارجِ يظهرُ

(١) انظر التوحيد للشيخ الصدوق القمي المتوفى ٣٨١هـ - تصحيح وتعليق السيد هاشم الحسني الطهراني - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان - ص «٨٨».

(٢) العمادُ هو العمادُ الغساني صاحب الرسالة المعروفة بمسائل الخرقى الجبلاوي هو العماد هذا هو الشيخ أحمد بن جابر له مقامٌ يُزارُ في قرية قرفيص من أعمال جبلة - سورية وقد عاش في القرنين السادس والسابع الهجري وقد ألف رسالته عام ٥٩٨ هـ وهي مخطوط «خاص»

(٣) سقطت من ب.

(٤) في ب الوجود.

(٥) في ب التعدد.

(٦) في ب الغير.

فيها أثر ذلك الاسم ومعناه في كل نوع من الأنواع لكل اسم منوع بها، فإذا نظرنا متعلقين ^(١) في مفاعيل الاسم «الله» وجدنا أن جميع الأسماء منضوية ^(٢) تحته من محسوس ومعقول. فهذا الاسم شخص قائم بذاته مظهر لجميع أفعال الله وهو الحقيقة المحمدية كما تقدم، ولأن الاسم العظيم مظهر مفاعيل الله بالله قال أمير المؤمنين عليه السلام: الاسمان الأعليان اللذان إذا جمعا اجتماعاً لا يكونان إلا معاً، يُسميان فيفترقان ويوصفان فيجتمعان، تمامهما في تمام أحدهما، لهما نجومٌ وعلى نجومهما نجومٌ. قال بعض العلماء هما محمدٌ وعلي. وقال أهل الفضل خاصة هما الله. وفي كتاب الخير المحض ^(٣) لأرسطو: إنَّ العلة الأولى فوق الأشياء كلها لأنها علة لها ولذلك صارت لا تقع تحت الحس والوهم والفكر والعقل والمنطق، فليست إذاً بموصوفة يُستدل عليها من العلة الثانية وهي العقل وإنما تسمى باسم معلولها بنوعٍ أرفع وأفضل لأن الذي للمعلول هو للعلّة أيضاً إلا أنه بنوعٍ أفضل وأكرم، فأنواع الأسماء الكثيرة الدالة على الكمالات الكثيرة لا تعطينا أن أنواع كمالات كثيرة متنوعة ينقسم إليها ويتجوهر بجميعها، بل هي دالة على جوهر واحدٍ وجودٍ واحدٍ غير منقسم أصلاً ^(٤).

الاسم (الفعل) ^(٥)

إنَّ الذات لا اسم لها ولا صفة، ولكن لا بد لنا نحن من اسم للذات وصفة وأسمائها متعددة وصفاتها متباينة متنوعة، فقد سُمي الخالق لأنه خلق،

(١) في ب متعلقين.

(٢) في (ا وب) منظوية

(٣) كتاب الخير المحض - سبق الحديث عنه .

(٤) انظر الأفلاطونية المحدثة عند العرب من ص (١-٣٤) .

(٥) الفعل هو إيجاد شيء يمكن إيجاده، أما العمل هو إيجاد الأثر في الشيء الموجود بالفعل لا إيجاده هو ذاته . مبادئ الفلسفة - مشكلة العمل - الثالث الثانوي الأدبي تأليف تيسير شيخ الأرض . مطابع دار البعث - ١٤٠٤م - ١٩٨٤ م ص ٣ .

والرازق لأنه رزق وهكذا... وفعلُ الله سبحانه هو الجوهرُ (الحقيقةُ المحمديةُ) فعلُ الله سبحانه هذا الاسمُ ^(١) وفعلُ به الأشياءُ كُلُّها فُسِّمِيَ حضرةُ الحقِّ الفاعلُ وُسِّمِيَ الاسمُ الفعلُ وما دونه مفعولاتٌ ولكنَّ هذا الفعلُ فاعلُ بياريه لا بذاته، وليس من فاعلٍ إلا هذا الفعلُ قال الأمير: ^(٢)
وتُنسَبُ الأفعالُ للفعلِ الذي عنه صدرَ.

وُسِّمِيَ هذا الجوهرُ الذي هو الفعلُ بأسماءٍ مختلفةٍ لاعدادٍ لها فهو مشيئةُ الله وإرادةُ الله وقدرةُ الله، ^(٣) ومن هذا القبيلِ أسماءُوه الأخرى يدُ الله الباسطةُ العليا وأذنه السَّامعةُ للنجوى وكرسيه الشامخُ الذرا وعرشه الذي لا يبلغُ له مدى، وقد سُمِّيَ صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الأعضاءِ لأنه من الله سبحانه بنسبةِ هذه الأعضاءِ للنفسِ فهي تعملُ بقوى النفسِ لا بذاتها، ويبلغُ اللسانُ عن النفسِ بقوةِ النفسِ ^(٤) وما نراه في الآياتِ القرآنيةِ في مثل قوله سبحانه:

-
- (١) يقصد بالاسم هنا ذاتُ السيد محمد عليه السلام الكائنُ الأولُ الصادرُ عن الله عزَّ وجلَّ (اللجنة).
- (٢) الأمير هو المكزونُ السنجاري الشاعرُ الصوفي المعروف - عاشَ في القرنين السادسِ والسابعِ الهجري (اللجنة) لمزيد من المعرفة عن المكزون انظر - معرفة الله والمكزون السنجاري - تأليف: أسعد علي - دار الرائد العربي - بيروت - لبنان ١٩٧٢م وانظر المكزون السنجاري تأليف - حامد حسن - منشورات دار مجلة الثقافة بدمشق ج ١ - ١٩٧٠م.
- (٣) القدرة لها اعتباران اعتباران تكونُ به ذاتُ القادرِ واعتبار تكونُ به صادرة عن القادر والحقيقةُ المحمديةُ أولُ نورٍ صدرَ عن باريه فهو قدرته المضافة إليه «اللجنة».
- (٤) النفسُ والقلبُ والروحُ والعقلُ والسرُّ عند الصوفيين شيءٌ واحد وما هي إلا أرواحٌ تتطورُ بحسبِ التصفية والترقية فما دامت مشغولةً بشهواتها الجسمية فهي نفسٌ، فإذا انزجرت وعقلت بعقالِ الشرعِ إلا أنها تعصي مرةً وتوبُ أخرى فهي عقلٌ لأنها معقولةٌ بالدليلِ والبرهانِ محبوسةٌ في سجنِ الأكوانِ، فإذا سكنتُ عن المعاصي إلا أنها تتقلبُ بين الغفلةِ وبين الاهتمامِ بالطاعةِ والمعصيةِ سُمِّيَتْ قلباً، وهو أولُ مطالعِ الأنوارِ فتشرقُ عليه أنوارُ التوجهِ فلا تزالُ تترادفُ عليه الوارداتُ حتى يسكنَ إلى الله ويطمئنُ بذكرِ الله فحينئذٍ تُسَمَّى روحاً، وهو أولُ مطالعِ أنوارِ المواجهةِ فهذه الأنوارُ ينكشفُ الحجابُ وينفتحُ البابُ وتدخلُ في حضرةِ الأجبابِ فإذا تصفَّتْ من غَبَسِ الحسِّ وتطهرتْ من كدرِ الأغيارِ سُمِّيَتْ سرّاً، وهو أولُ أنوارِ المشاهدةِ فإذا تزكَّتْ من =

﴿يَا حَسْرَتُ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾^(١)، ﴿وَلْتَضَنَّ عَلَىٰ عَيْنِي﴾^(٢)،
﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٣) وهكذا فإن جميع ما في الكتاب الكريم من هذا القبيل
وغيره مما ^(٤) يُنسَبُ لِلَّهِ من أقوالٍ مثل الحمدُ لِلَّهِ والشكرُ لِلَّهِ، نورُ اللَّهِ، روحُ
اللَّهِ، كلمُ اللَّهِ، وهكذا من كل ما يمتُّ إلى اللَّهِ بصلَةٍ وثيقة، ولعلهُ تبين من
خلال هذه الأسماء أنها معنوية لامادية، وبالذي عرفته لم يكن اسمٌ من أسماءِ
اللَّهِ (تقدست أسماءُه) أجمع للمعاني من هذا الاسم (الفعل) ما عدا لفظة
الجلالة «اللَّهُ» لأنَّ أسماءَ اللَّهِ تبعُ لأفعاله ككلِ أسماءِ المسميات كالشاعرِ والعالمِ
والصانعِ وما أشبه هذا بخلافِ أسماءِ الأعلامِ فأفعاله سبحانه - كما تقدم -
لاعدادَ لها وأسماءُه لاعدادَ لها، فإذا قلنا الجوهرُ الأولُ فعلُ اللَّهِ فكأننا قلنا هو
الوجودُ^(٥) بهويةِ الوجودِ، فهل الاختراعُ إلا فعلٌ وهل الابتداءُ إلا فعلٌ
وهل... وهل... ومفهومٌ عند من يعرف عن الحقائق شيئاً أنَّ الجوهرَ الأولُ
لا خالقٌ ولا مخلوقٌ ولا فاعلٌ ولا مفعولٌ، لا خالقٌ لكونِ ذاته ولا مخلوقٌ كخلقِ
الحدوثِ (ولا فاعلٌ بذاته)^(٦) ولا مفعولٌ كغيره من المفاعيل لأنَّ بينَ كلِّ علةٍ

= لوثِ الأنوارِ وهو الوقوفُ مع المقاماتِ أو الالتفاتِ إلى الكراماتِ سُمِّيَتْ سرُّ السر - انظر إيقاظ
المهم وشرح الحكم للعارف بالله الصوفي الجليل أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني - تصحيح
فضيلة الأستاذ محمد عيسى ج ٢ ط ١ صفحة «٤٠» ويقول صاحبُ التنبيه عن النفس وكما أنَّه
ليس في الوجودِ إلهان ولا في السماءِ شمسَان فكذلك ليس في الإنسانِ نفسَان، وإنما سُمِّيَتْ نفساً
لأنها أنفُسُ ما في الإنسانِ وقد نطقَ القرآنُ الكريم في موضعِ المدح فقال ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ
المطمئنة ارجعي إلى ربِّكِ راضيةً﴾ سورة الفجر آية (٢٨) وقال في موضعِ الذمِّ ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ
بالسوءِ إلا ما رحمَ ربِّي﴾ سورة يوسف آية (٥٣) وقال في حالتها المتوسطة المسماة بلسانِ القرآنِ
المجيد اللوامة ﴿وَلَا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ سورة القيامة آية «٢» والكلُّ نفسٌ واحدة، واختلافُ
أسمائها باختلافِ أحوالها وأفعالها وأوصافها التنبيه - مخطوط خاص -

(١) الزمر «٥٦».

(٢) طه آية «٣٩».

(٣) المائدة «٦٤».

(٤) في (ا وب) ما

(٥) في ب الموجود.

(٦) في ب (ولا فاعل لكونِ ذاته).

ومعلول معلولة وبين كل فاعل ومفعول فعلاً، فالفعل ما يصدر ويقع على ذات، وهذا معنى قولهم: «نحن آله، وبنا أشرقت شمسُه»^(١) وكم قيل إنهم آله التكوين، ومنه قول السيد الحسين بن حمدان الخصيبي^(٢) آله لا كالألات.

السر المستسر

أتى في شرح الزيارة، للشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي وفي بصائر الدرجات^(٣) وغيرهما عن الإمام جعفر عليه السلام: «إن أمرنا حقٌ وحقُّ الحق، وهو الظاهر وباطنُ الظاهر، وهو السرُّ وسرُّ السرِّ، والسرُّ المستسرُّ، وسرُّ مقنعٍ بسرٍ وقال: أمرنا سرٌّ مستسرٌّ، وسرٌّ لا نقيده إلا بسرٍّ، وسرٌّ على سرٍّ، وسرٌّ مقنعٍ بسرٍّ»^(٤) ثم بالكتاب نفسه يقول الجابر «يا جابرُ عليك بالبيان والمعاني قال: فقلت: [ما البيان والمعاني]^(٥) قال: أما البيان فهو أن تعرف أن الله سبحانه ليس كمثله شيء»^(٦) فتعبده ولا تشرك به شيئاً، وأما المعاني «فنحن معانيه

(١) لم تمكن من العثور على هذه العبارة بالفاظها في كتاب مطبوع ولكن الشيخ «المؤلف» يوردها كثيراً في مؤلفاته.

(٢) صوفي سبق الحديث عنه بأنه من رجال الصوفية الأعلام.

(٣) بصائر الدرجات: مؤلفه محمد بن الحسن الصفار أحد المحدثين الثقات، وهو من أصحاب أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام توفي بقم عام ٢٩٠هـ.

(٤) السر ما يكتمه الإنسان في نفسه والأسرارُ الخفية هي التي لا تدركها الأوهام ولا تؤخذ بالقياس والتمثيل ولا بالظن والتأويل، ولا تدرك غايتها ولا تعرف نهايتها: قال المتعجب:

سرٌّ خفيٌّ جليلٌ لا يحاطُ به ولا يقاسُ بتمثيلٍ وتحديدٍ
ومهما عرفنا من الأسرارِ يبقى أمرهم عليهم السلام سرّاً مقنعاً بسرٍ «اللجنة».

جاء في كتاب إيقاظ المهمل: قلوبُ الأحرارِ قبورُ الأسرار. قال الشاعر:

لا يكتُم السرُّ إلا كلُّ ذي ثقةٍ فالسرُّ عندَ خيارِ الناسِ مكتومٌ
وقال أبو مدين رضي الله عنه:

وفي السرِّ أسرارٌ دقاقٌ لطيفةٌ تراقُ دماناً جهرَةً لوبهاً بحنا

انظر إيقاظ المهمل، مصدر سابق ج ١ ص ١١٢ وص (٣٩).

(٥) [العبارة سقطت من «ا»]

(٦) سورة الشورى آية (١١)

ونحنُ جنبُهُ وأمرُهُ وحكمُهُ وكلمتُهُ وعلمُهُ وحقُّهُ، وإذا شئنا شاءَ اللهُ، ويريدُ اللهُ ما نريدُهُ، فنحنُ المثنائي أعطاهما اللهُ نبيَّنا صلى اللهُ عليه وآله وسلم ونحنُ وجهُ اللهِ نتقلبُ في الأرضِ بين أظهرِكم، فمن عرفنا فأمامهُ اليقينُ ومن جهلنا فأمامه سجين، ولو شئنا خرقتنا الأرضُ وصعدنا السماء، وإنَّ إلينا إياب هذا الخلقِ ﴿ثم إنَّ علينا حسابهم﴾^(١) ومثل هذا كثير في هذا الكتاب وغيره، وأغربُ ما ورد في هذا الكتابِ عن الإمام الصادق عليه السلام: «لنا مع اللهُ حالاتٌ نحن فيها هو، وهو نحنُ، ونحنُ نحنُ، وهو هو» وكثيراً ما أتت هذه الروايةُ مختلفةً بتركيبِ الألفاظِ فقد ورد: إن لنا من الله منزلةً إذا كنا بها كنا كهو، وإذا لم نكن بها، كنا نحن كما نحن وهو^(٢).

الصِّفَةُ

في كتاب (شرح الزيارة) للشيخ الأحسائي قول أمير المؤمنين (عليه السلام) معرفاً أن الأئمة (عليهم السلام) هم الصِّفَةُ الفاعلةُ قال: التوحيدُ معرفةُ اللهِ بصفتهِ التي وصفَ بها نفسه لعباده الذين أرادَ أن يعرفوه بها وهي صفةٌ محدثةٌ لا تشبهُ صفةً شيئاً من المخلوقاتِ وهي مقاماتُهُ وعلاماتُهُ التي لا تعطيلُ لها، فمن عرفها عرفَ اللهُ لأنها مثاله^(٣) ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٤) والذي يروغك ويجعلك مستأنساً في حيرةٍ أنهم أيضاً إرادةُ اللهِ ومشيتُهُ ومعرفةُ وعلمُهُ لا بل هم نفسُ^(٥) اللهُ وعرشُهُ و... و... وقد وردَ كثيرٌ من الرواياتِ مما

(١) الغاشية آية (٢٦)

(٢) انظر مشارق أنوار اليقين تأليف الحافظ رجب البرسي - مكتبة النعمان - بيروت ط ١٣، ١٩٧٩م ص ١٨١.

(٣) انظر مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية مصدر سابق ص ١١٤.

(٤) المثالُ غيرُ المثلِ فالمثلُ عبارةٌ عن المساوي في جميع الصفاتِ، والمثالُ لا يحتاجُ فيه إلى المساواةِ فإن للعقلِ معنى لا يماثلُهُ غيره. انظر المضمون به على غير أهله - حاشية للإنسان الكامل - مصدر سابق ص (٥٩). والمثال في المعجم: المقدارُ والشبه.

(٥) الشورى آية (١١)

(٦) ليس المقصود من نفس الله هنا ذاته بل مظاهره لأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة

يختص بهم صعبٌ تعبيرها مثل: «خلق الله المشيئة بنفسها»^(١) هم معاني الله، مع أنه ورد «إنَّ المشيئة لا يخلق منها المخلوق بل يخلق بها»^(٢) ومثل هذا الكلام تلوح عليه بلاغة المعصوم في حديثه مما يجعل الباحث المتعقل كأنه في بحر أمواجه كثيرة وهو يستخرج درره. ثم من كلامهم ما تجد عليه الطلاوة النضيرة والحلاوة المستمرّة كالذات والصفة والموصوف، فالذات لا اسم لها ولا صفة ولا بدُّ من اسم وصفة، اسم لندعوه به ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه^(٣) وصفة لتعرف عليه بها لأن كل شيء يعرف بصفته^(٤) ولكن صفته واسمه شخص قائم بذاته وهو الحقيقة المحمدية، وتعالّت هذه الصفة أن تكون موصوفة فالموصوف بها هو النفس الكلية لأن الذات لا تكون موصوفة فتكون مفعولة تحتاج لفاعل أو لمعرف عنها وهذا بخلاف ما عليه الأشياء فكل ذات محسوسة صفتها عرضية وهي غيرها وموصوفها ذاتها التي تحمل الصفة فالمعنى القديم الذي هو الذات وصفته العقل وهو شخص تفرّد عن معناه بدون فصل والموصوف بهذه الصفة هو النفس الكلية ثلاثة متلازمات تلازم الصفة والموصوف حتى قيل: «لا تحسبن ما قد رأيت ثلاثة»^(٥). وإذا لم يكن ما أتى في شرح الزيارة تفسيراً لهذا فإنه ينبّه ويشير إليه قال: (أما البيان فمو أن تعرف أن الله سبحانه ليس كمثله شيء^(٦)) فلتن وصف الحق نفسه للعباد فهو لا يشابه شيئاً من الخلق، وأما أنك تعبده فإنك تعبّد الله الظاهر لك

= الإثنى عشر عليهم السلام هم المظاهر التامة لله، بهم يظهر الله وبهم يعرف وبهم يعبد، فهم أنفس المخلوقين عند الله وأقربهم إليه تعالى «اللجنة».

(١) انظر مصباح الهداية - مصدر سابق ص «١٠٥» حيث يورده حديثاً شريفاً نصه «خلق الله الأشياء بالمشيئة والمشية بنفسها».

(٢) انظر بيان السعادة مصدر سابق مجلد أول - مقدمة التفسير ص «٢٠»

(٣) سورة الأعراف الآية «١٨٠».

(٤) عن أحد المعصومين عليهم السلام: إذا كانت أسماؤه لا تدعوا إليه، وصفاته لا تدل عليه، كان المعبود غيره.

(٥) هذا القول من قصيدة لابن محور الفارقي وهو صوفي لا نعرف له آثاراً مطبوعة لكن أشعاره ماثلة في الكثير من الكتب المخطوطة الخاصة «اللجنة».

(٦) الشورى آية «١١»

حتى أنه يُغَيَّبُ العابد عن نفسه وعن غيره فلا يتوجَّهُ العابدُ إلَّا إلى الذاتِ مع أنه أبدأ لا يجدها ولا يفقدُها حيث لا يجدها أبدأ فهذا مقامُ السرِّ المقتنعِ بالسرِّ، وهذا المقامُ لهم حيث لا يجدون أنفسهم شيئاً ووجدوا اللهَ ظاهراً في كلِّ شيءٍ وقد ﴿جعلَهُ دكاً﴾^(١) ﴿ودخلَ المدينةَ على حين غفلةٍ من أهلِها﴾^(٢) وكلُّه أن في الحقائق^(٣) في شرحِ قوله سبحانه: ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٤) قال ما معناه مثلُ اللهِ الاسمُ العظيمُ وليس كالاسمِ العظيمِ شيءٌ^(٥) وأما قولهم فنحنُ معانيه فإن هذه المعاني بالنسبةِ للذاتِ ليست شيئاً إلَّا بالذاتِ فلا تحقيقَ لها إلَّا بالذاتِ وإنما نعرفها^(٦) بالنسبةِ لآثارها وأعراضها فهي بالنسبةِ للذاتِ أسماءُ معاني بهذا المعنى وبالنسبةِ لآثارها أسماءُ أعيانٍ وذواتٍ قائمةٌ على آثارها وأعراضها بما قبلتُ من إمداداتها، ولا نعي^(٧) بالذاتِ والعينِ إلَّا هذا فهم في هذا المقامِ أعلى مقاماتِ موضعِ الرسالةِ وليس^(٨) إلَّا الاعتبارُ الأولُ لأنَّه مطارحُ إرسالاتِ موادِ الحياةِ الوجوديةِ والنفسِ الرحمانِ الثانويِ وإيجادِ الشرعياتِ الوجوديةِ وإيجادِ الوجوداتِ الشرعيةِ^(٩) وهذا هو الدواةُ الأولى وهو ﴿ن . والقلمُ وما يسطرون﴾^(١٠) والماءُ الذي جعلَ منه حياةُ كلِّ شيءٍ والكتابُ الأولُ ﴿وعندهُ مفاتيحُ الغيبِ لا يعلمها إلَّا هو ويعلمُ ما في البرِّ والبحرِ وما تسقطُ من ورقَةٍ إلَّا يعلمها ولا حبة في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلَّا في كتابٍ مبينٍ﴾^(١١) وهو «الأرضُ

(١) سورة الأعراف آية ١٤٣

(٢) سورة القصص ١٥

(٣) الحقائق كتاب مخطوط خاص.

(٤) الشورى آية ١١

(٥) انظر مشارق أنوار اليقين - مصدر سابق - ص ١٩٥.

(٦) في «ا» تفرقها وفي «ب» تذوقها.

(٧) في «ا» يفتى

(٨) سقطت من «ب»

(٩) سقطت من ا

(١٠) سورة القلم آية ١ و ٢

(١١) سورة الأنعام الآية ٥٩

الجُرْزُ^(١)» والزيت الذي يضيء، ﴿ولو لم تَمَسَّهُ نارٌ^(٢)﴾ وأصدقُ تعبير وأعمقه هو أنَّ كلَّ مخلوقٍ خلقه الله ليُعرفه ولا يُعرف الله إلا بما وصفَ به نفسه لمخلوقه وما وصفَ نفسه لمخلوقه إلا بنفسه ولهذا قال أمير المؤمنين: (من عرف نفسه عرف ربه^(٣)) وهم عليهم السلام حقيقة كلِّ ما وصفَ الله به نفسه لخلقِه من الذرة إلى الذرة وهم كل شيء لأن فطرته حقيقة صفتهم، وكذلك وجودهم علة لوجود الموجودات ووجود الموجودات قائمٌ بوجودهم قيامٌ صدورٍ لأنَّ الشيء يقوم بمادته وصورته ونفسه، فالله سبحانه لا يوصف^(٤) لأنَّه أعلى من الصفة والنعت، إنما وُصِفَ العللُ^(٥) الثواني التي استنارت من العلة الأولى، وتلك^(٦) العلة تنير معلولها وهي لا تستنير من نورٍ آخر لأنها هي النور المحض الذي ليس فوقه نورٌ فمن ذلك صار الأول وحده يفوت الصفة وإنما كان كذلك لأنه ليس فوقه علة يُعرف بها وكل شيء إنما يوصف ويُعرف من تلقاء علية.

الذات والصفات . . .

ولكنَّ تحقيق وجود الذات يتعلّق بالصفات، وتحقيق وجود الصفات بآثار الذات وأفعالها، وتلك الصفات والأفعال والآثار ليست إلا مجرد نعوت للذات ولا كينونة لها بنفسها ولا استقلال لها عن الذات التي تقومها بل هي قوى لوجود الخفية غير^(٧) متشبهة ولا مُحسّنة، والقوى الطبيعية هي مجرد قوى للقوة

(١) السجدة آية «٢٧» والآية هي: ﴿وَأَوْمِرُوا أَنساباً أَنساباً إِلَى الْمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزُ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ جاء في تفسير «الأرض الجُرْز» أنها أرض اليمن، وأرض لا نبات بها كأنه انقطع عنها أو انقطع عنها المطر - لسان العرب مادة جرز.

(٢) سورة النور آية «٣٥».

(٣) انظر مشارق أنوار اليقين - مصدر سابق ص ١٨٨ - وانظر العلوم الطبيعية في القرآن - تأليف يوسف مروة - منشورات مروة العلمية - الطبعة الأولى - بيروت ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م. ص

٢٤١»

(٤) سقطت من «ا»

(٥) في ب العلة

(٦) في ب وذلك

(٧) في ب الغير

التي لا تحس أو هي فاعلة مطلقاً بفاعلٍ مطلقٍ، والكلُّ مما لا يرى من أفعالٍ متنوعةٍ أثرٌ لتلك الصفاتِ الإلهية، وليست الصفاتُ بكائناتٍ أخرى مضافةٍ إلى الذاتِ بل هي مجردُ معانٍ وشؤون لها^(١) قائمةٌ بها ونشاطٌ هذه الصفاتِ قديمٌ بقدم الصفاتِ وإن تيقنت آثاره ومظاهره وتوقفت ببدءٍ ونهايةٍ يتعلّقان بإرادة الذات. وكما ترى فإنّ هذا الكلام يرمي إلى أنّ الصفاتِ هي الذاتُ أو انتزعت من حاقٍ حقيقة الذات، ولست تقدّر أن ترى تحقّقاً ملموساً بهذا القول. وردّ في تنبيه الشيرازي^(٢): «فالأولى لأصحاب العقول الوقوف عند أسماء الذات وأحكام الصفات ولا سبيلَ للتعرض إلى نفيها ولا إلى إثباتها فإن العقل أعجز من أن يقف على مثل هذا بل على أقل شيء منه، فما كان إلا حيرة في حيرة فلو كان (الهو)^(٣) ظاهراً لما صحّ هذا الخلاف ولو كان (الهو) ظاهراً ما كان (الهو) وما كان إلا أنا ولا بدّ من الخلاف والله أحكم وأعلم». وفي الأسس^(٤) الكتاب العظيم: «يقول السائل أخبرني عن هذه الصفات المحدثات القائمة بالله هل هنّ خالقات أو مخلوقات؟ قال العالم: لو كنّ خالقاتٍ لكنّ قديماتٍ، ولو كنّ قديماتٍ لشاركنّ^(٥) القديم، ولو شاركنّ القديم لكنّ مثله ولم تكن صفاته وقد تحتاج إليه من باب لا خالقات ولا مخلوقات.

قال السائل: فهنّ إذاً مخلوقات أو هنّ منفردات مقطوعات عن الخالقات فما هنّ؟ الخلق؟! قال العالم يجري مجراهنّ وهنّ كأسمائهنّ وهن من صفات

(١) سقطت من «ب» -

(٢) كتاب التنبيه (مخطوط خاص) تأليف حسن بن حمزة الصوفي الشيرازي - سبق الحديث عنه.

(٣) الهو. اسم مكّنّى مشار إلى غائب، فالهاء تنبيه على معنى ثابت، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس. انظر التوحيد للشيخ الصدوق - مصدر سابق ص ٨٨ الهو: هو الله رب العالمين الغيب المنيع والمسكوت عنه «اللجنة».

(٤) الأسس: هو كتاب معرفة حكمة سليمان بن داود، وسمي بالأسس لأنه أساس كل شيء. ومعرفة هذا الكتاب وهب الله لسليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وهو مخطوط موجود في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٤٤٩ «اللجنة».

(٥) في «ا و ب» لشركن.

الخالق. وليس هنَّ من صفاتِ الخلقِ ولا يقالُ لهنَّ خالقَاتٌ ولا مخلوقاتٌ ولنَّ بمنفرداتٍ لأنَّه لا صفةَ إلَّا لموصوفٍ ولا موصوفٍ إلَّا بصفةٍ، فصفةُ الخالقِ لا خالقةٌ ولا مخلوقةٌ، قال السَّائلُ: فما هنَّ؟ قال العالمُ: هنَّ صفاتٌ. قال السَّائلُ: فقيم يدخلنَّ؟ ومِمَّ يخرجنَّ؟ قال العالمُ: يدخلنَّ من بابِ الصفاتِ ويخرجنَّ من بابِ الموصوفاتِ وذلك أن الموصوفَ له صفةٌ وليس للصفةِ صفةٌ فلا يجري عليها أنَّها مخلوقةٌ لأنَّ المخلوقَ جسمٌ بذاته وبهيئته وبصفاته. قال السَّائلُ: فالصفاتُ إن لم يقعَ عليها حدُّ الموصوفاتِ فلمَ نسميها باسمِ الموصوفاتِ؟ قال العالمُ: لأنَّ الاسمَ على جهتين: اسمٌ للشيء هو الشيء وهو الجوهرُ، واسمٌ للشيء غير الشيء لا هو الشيء ولا هو غيره^(١).

(١) انظر الأسس (كتاب مخطوط) سبق الحديث عنه.

اختلفوا في الأسماء فقال بعضهم أسماء الله ليست هي الله ولا غيره كما قالوا في الصفات، وقال بعضهم أسماء الله هي الله.

انظر التعرف لمذهب أهل التصوف - تأليف تاج الإسلام أبو بكر محمد الكلاباذي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٠هـ - ١٩٨١ م ص ٣٩. وجاء عن الصادق، عليه السلام قوله: اسم الله غير الله. والله يسمى بأسمائه وهو غير أسمائه والأسماء غيره. انظر توحيد الصدوق - مصدر سابق ص ١٩٢.

الباب الرابع

الوجود والصورة

من قديم الزمان والاختلاف بالغ أشدّه بين الأمم على اختلاف أديانها ومعتقداتها ومناهجها، بل بين أبناء الأمة الواحدة على إثبات الصورة^(١) لله سبحانه. وبين هذا... الاختلاف الشديد والتباين البعيد شيء من التقارب الرشيد على تحقيق الحقيقة، ولكن بعض رجال الدين في كل زمان ومكان يملؤون الصدور غلاً والقلوب حقداً بمختلف الروايات وبمختلف التأويلات حتى لم أكد أرى شخصاً واحداً يتقمص التدين إلا ولهُ بالصورة الشغل الشاغل، ومجمل ما قيل هو ما سأنقله إليك.

(١) الصورة: انطباع في الذهن بلا سابق معرفة ولدنى مثولها في الذهن تترك انطباعاً ذاتياً فهي نقش في لوحة الذهن بلا سابق تصميم. والصورة حسية من طرف، نورية من طرف مظلمة من جهة المادة مضيئة من جهة الموضوع لا يمكن حصرها ولا تمييزها بذاتها فهي موجودة مفقودة كالظل تماماً والصورة ملك يخدم الرب سبحانه وبه يتم نقل الإنسان من العالم الحي إلى العالم المعقول أو عالم المعاني، والصورة كوة الغيب لدى العارف ودابة الفيلسوف الرامي إلى طلب التجريد وهي تختلف قوة وتأثيراً في الناس بتفاوت طبقاتهم فهي عند العوام عامّة وهي عند الخواص خاصة وهي عند العارفين صورة الله عز وجل باعتبار معطياته الفائضة عنه والصورة مقدسة فافهم هذا تسلم - النصوص - مصدر سابق ص «١٩٨».

- صورة الشيء ما يحصل به الشيء بالفعل - كتاب التعريفات - مصدر سابق - ص «١٤١».

- صورة الحق أو (صورة الله) لا يقصد بها الله من حيث ذاته بل الحق كما هو في الاعتقادات المعجم الصوفي - مصدر سابق ص «٧٠٧».

- (إن الله خلق آدم على صورته) أراد الصورة الباطنة المعنوية لا الظاهرة التي تكون للأجسام تعالى الله عن ذلك - مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب - تأليف عبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ - تحقيق هـ. ريتز - دار صادر بيروت ١٩٥٩م - ص ٥٧ -

- الصورة هي تجلي الخالق للمخلوق بصفة المخلوق. «اللجنة».

معاني الصورة

«الصورة اسم مشترك قد يُطلق ويُراد به الهيئة الحاصلة في أجسام مؤلفة مرتبة ترتيباً مخصوصاً مثل الأنف والعين والفم والحد التي هي أجسام، وقد يراد به ما ليس بجسم ولا هيئة في جسم، ولا هو ترتيب أجسام كقولك: عرفت صورته وما يجري مجراه»^(١) فأنت لا تريد أن تقول: عرفت أجزاء جسم منفردة أو مجتمعة، وإنما هذا المعنى الذي عبرت عنه في اجتماعها وتأليفها أجزاء الجسم الواحد، فهذه الصورة إذا تجمع بين صورتين: صورة مجردة وصورة محسوسة، فالصورة المحسوسة تقوم بالصورة المجردة لا بذاتها والصورة المجردة هي حقيقة الشيء وماهيته التي يقوم بها وجوده وليست هي شكله البادي للعين الملموس باليد فصورة العصفور هي حقيقته التي يكون بها عصفوراً لا غير العصفور من الطيور، فلا يخلو موجود في العالم من الصورة وكل موجود هو صورة أو مادة أو هيولى. وكلما ترقت الموجودات يقل نصيبها من الهيولى حتى تكاد تكون هيولى خالية من كل صورة. وكلما ترقت في سلم الوجود زاد نصيبها من الصورة المميزة وقل نصيبها من الهيولى وربما أصبحت صورة جسم مادة لجسم آخر كالورق الذي هو صورة مميزة لبعض الموجودات فإنه في الوقت نفسه مادة الكتاب. وأخس الموجودات هو الهيولى التي لا توجد منعزلة عن الصورة وإذا انزلت فهو

(١) انظر شرح جوهرة التوحيد للإمام العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري - تنسيق وتخرّيج محمد أديب الكيلاني وعبد الكريم تنان ومراجعة الأستاذ عبد الكريم الرفاعي مكتبة الغزالي - حماء - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ص ١٦٠.

وجود بالقوة أي وجود لم يتحقق بالفعل ولا يزال ينتظر التحقق كالنواة فإنها شجرة بالقوة ومتى زُرعت ترتقي من صورة إلى صورة حتى تصير شجرة بالفعل، والحركة هي التي تحقق انتقالها من القوة إلى الفعل»^(١) فمما تقدم يتبين لنا أن الصورة اسم مشترك يُطلق على ترتيب الأشكال ووضع بعضها مع بعض وفق لوازم تركيبها المراد، وهذه هي الصورة المحسوسة. ويُطلق هذا الاسم المشترك (الصورة) على ترتيب المعاني التي ليست بمحسوسة مع أن للمعاني ترتيباً وتركيباً وتناسباً ويسمى صورة أيضاً فيقال صورة الحال^(٢) وصورة القضية وصورة المطلوب. فالله سبحانه صورة محض لا تشوبه المادة، ومعنى مجرد لا يقوم بجسد فهو صورة الصور كما أنه سبحانه نور الأنوار ومعنى المعاني وغاية الغايات وهو قول الشيخ^(٣) صورة لا كالصور. وفي الأسس^(٤) صورة لا مصور لها وصورة لها مصور ومن هذا القبيل قول العالم^(٥) «إن الله خلق من كلامه صورة ومن روحه صورة ومن نوره صورة، ومن إرادته صورة ومن علمه صورة ومن قدرته صورة ومن قضائه صورة. وكلها على صورة الإنسانية»^(٦) وإذا نظرت رأيت أنه ليس بهذه الصور صورة محسوسة تراها العين، والصورة الإنسانية البدنية تراها العين. إذا يقصد حقيقة الصورة الإنسانية وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة التي خلقه الله بها على مثال صورة الله. ويقول صاحب التقويم^(٧): «إن الكثير من الحكماء الإلهيين قد أرسوا بنيان عقيدتهم على معرفة الصورة، ولم يزالوا في التدقيق والتحقيق حتى فصلوا حضرة الذات عن حضرة

(١) انظر الله نشأة العقيدة الإلهية تأليف عباس محمود العقاد ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) في «أ» الحالة

(٣) هو الحسين بن حمدان الخصيبي «سبق الحديث عنه».

(٤) كتاب مخطوط «سبق الحديث عنه».

(٥) العالم هو أحد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وأكثر ما يراد به الباقر عليه السلام.

(٦) انظر الحقائق «كتاب مخطوط».

(٧) هو جلال الدين بن معمار الصوفي «سبق الحديث عنه».

الأسماء والصفات وألقوا على كل ذات معنوية صورة تكون علامةً عليها ودليلاً إليها، فصار عندهم للروح صورة وللعقل صورة وللإيمان صورة وللکفر صورة وللحق صورة وللباطل صورة وللجنة صورة وللنار صورة، وهكذا في كليات ما يُعلم وجزئيات ما يرى. وأنه متى أشار المشير إلى معنى وهمي أو حدسي في كلام لفظي أو حسي فإنه لا حقيقة له عند أهل المعرفة حتى يتصور ويجري في التصديق وتكيفه الحدود وتتم ماهيته في الذهن، فهناك يُحكم عليه بنفي أو إثبات^(١).

الرؤية والنور

الرؤية^(٢) المشروطة بمقابلة المرئي للرائي لا تختص بالبصر كالرؤية في

(١) التقويم «كتاب مخطوط» لصاحبه جلال الدين بن معمار الصوفي، سبق ذكره.

(٢) الرؤية هي: المشاهدة بالبصر حيث كان في الدنيا والآخرة - كتاب التعريفات - مصدر سابق - ص ١١٤

- العارفون يشاهدون معروفهم على الدوام في جميع الذوات ويتجلى لهم في جميع الموجودات وعلى جميع الحالات فلا يرون سواه ولا يلاحظون في الكون حاشاه - مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب - تأليف عبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بالدبّاغ، دار صادر بيروت ١٩٥٩ ص ٩٠ - ٩١.

- الرؤية ظهور سرّ الغيب رمزاً على شاشة الخيال، والرؤية هي الخطوة الثانية من رحلة الصوفي صاحب الذوق - راجع النصوص مصدر سابق ص ١٤٥.

- إن رؤية الحق في مرتبة الألوهية لا تحصل للعبد بل في قمة عرفان العبد لحظةً يتهيأ لرؤية الحق لا يرى إلا حقيقته وصورته هو (صورة العبد) ولذلك يقول ابن عربي: إن الحق مرآة العبد في رؤية نفسه وقمة رؤية الحق هي رؤيته بالرؤية المحمدية - المعجم الصوفي - مصدر سابق ص ٥٠١.

- يقول المكزون الشاعر الصوفي المعروف: كل يراك كعينه إذ كنت مرآة الوجود. (ويروى هذا البيت بإبدال: إذ كنت بإذ أنت) - ويقول هذا الصوفي أيضاً:

وهو لي فوق وتحت و ورا وأمام وجليس عن يدي
انظر بخصوص الرؤية:

- كلمة حول الرؤية - تأليف عبد الحسين شرف الدين الموسوي - ١٣٧١ هـ ص ١ - ١١٦

- وانظر شرح جوهرة التوحيد - مصدر سابق - من ص ٢٤٦ - ٢٦٨

المرآة أو بتوسط جسمٍ شفاف^(١) والإدراك البصري صفة النفس في مقامها النازل، فمنها الرؤية الصادقة والكاذبة. ولكن الرؤية في الإدراكات المتعددة الجزئية عبارة عن قوة الإدراك التام وشديته سواء أكانت القوة بالآلة المخصوصة (العين) أم بغيرها، وسواء أكان المدرك مصاحباً للمادة أم لا فقد صح بهذا إطلاق الرؤية على المتقدر المجرد أي بالعقل، والمادي يرى بالعين. وهذا المدرك لا بد أن يكون بذاته أو وسائط إدراكه من سنخ^(٢) العالم الذي يراه، فإدراك العقول المجردة إما أن يرتفع المدرك ويصير عقلاً مجرداً أو تتمثل العقول متقدرة كتجلي الملائكة^(٣) وإلا فلا، وفي رسالة الشيخ^(٤) «وكيف يطيق العباد وبنو إسرائيل أن يتجلى لهم بالنورانية ولا طاقة لهم بذلك» سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزوله من المعراج «هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه»^(٥) أي النور المجرد لا تمكن رؤيته ولكن به تدرك الأشياء وهو لا يدرك ولا يرى، وهذا النور المرئي بالعين يدرك به ويدرك. والكثائف بأجمعها تدرك ولا يدرك بها، وهذه الثلاثة النور المجرد والنور العرضي المرئي والكثائف هي الموجودات أجمعها. ولكل من هذه الثلاث شرف يخصه وشرف يمتاز به، فالنور المجرد له الأصالة والأولية وبه انكشاف كل مستور، وشرف الكثائف أن هذا النور العرضي المرئي بالعين مركب منها ومن النور المجرد ولهذا أمكنت رؤيته ولأن هذا النور العرضي جمع بين المجرد والكثيف... استحق حيازة الشرفين شرف النور المجرد وشرف الكثيف المحسوس. ولهذا النور الحقيقي المجرد ثلاث مراتب (الوجود والعلم

(١) في «أوب» مشف

(٢) السخ لغة الأصل والمنبت. وقد استخدمها الشيخ المؤلف بمعنى الشبه والنوع والشاكلة «اللجنة»

(٣) مثل تجلي جبريل بصورة دحية - سبق الحديث عنه وكتجليه للعدراء.

(٤) هو الحسين بن حمدان الخصيبي - سبق الحديث عنه.

(٥) سأل أبو الذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هل رأيت ربك؟ قال «نور أنى أراه».

انظر رسائل ابن سبعين لأبي محمد عبد الحق بن سبعين المرمي الأندلسي - تراثنا - تحقيق وتقديم

الدكتور عبد الرحمن بدوي - الدار المصرية للتأليف والترجمة - ١٩٦٥ م ص ١٨٥.

والنور) فلولا النور المجرد لم يدرك الوجود المحض الحقيقي من حيث إطلاقه من جهة، ومن حيث تعينه مع كل ذات في الموجودات مع تنزيهه^(١) عن التعين في شيء من سائر الأشياء القائمة به من جهة أخرى، ومن الجلال المتناهي أن العلم والوجود والنور في الله سبحانه شيء واحد لأنه جلّ جلاله وجود كله علم كله [نور كله]^(٢) لا تعدّد لذاته ولو تعددت مفاعيله في الذوات المكونات. ومن شأن كل من العلم والوجود والنور كشف المستور، فجميع أنواع التكوين بالوجود ظهرت من كتم الغيب وبالنور رُئيّت من محض الخفاء الذي كان سيقى أبدياً^(٣) لولا النور، وبالعلم عُرفت مع شدة غموضها^(٤)، والذي يخصّ الوجود دون العلم والنور هو أن الوجود قبل التكوين كان واحداً غير متعدّد وعرضت له التعددات في تعدد التكوين لأن هذه الموجودات به كانت وفيه تنوعت وتعددت، وقد تنوع ظاهراً بتنوعها متعدداً بتعددّها إلى معقول ومحسوس وغيب وشهادة بحسب تنزل الوجود بالإفاضات رتبة فرتبة ونوعاً فنوعاً مع شدة توحده وأصاليته. والذي يجعلنا نعرف هذا معرفة تامة مفاعيل الجسم والنفس، فالنفس^(٥) بالعين ذات البصر وبالأذن ذات السمع وباللسان ذات النطق وهكذا تنوعت مفاعيلها وتعددت مع توحدها والنفس في أفعالها كل القوى، وأما ما يختصّ بالعلم دون الوجود والنور هو أن العلم يكشف الماهيات قبل كشفها تكويناً، أي يعرفها قبل أن توجد ويعرف ما يتأبها من بقاء وفناء وتركيب وبساطة مثل عرفاننا أن الحيّ سيموت والسحاب يطرّ والأرض تنبت وهكذا... والعلم يختلف شدة وضعفاً باختلاف القوابل والأفهام لا بذاته ويتعدّد بتعدد الموجودات لأن كل نوع من أنواع التكوين لا بل كل شيء من كل

(١) في تنزيهه

(٢) العبارة سقطت من ب

(٣) في ب أبدي

(٤) في أ غموضه

(٥) سقطت من أ.

نوع له علم خاص بخلاف الوجود فإن الموجودات تعددت به والعلم تعدد بها والذي يختص به النور العرضي هو أنه يكشف الأشياء بعد وجودها أي أنها تُرى بواسطته . . . وهذا الكشف يتأخر عن الكشف الوجودي والتكويني ولكنه يشترك مع الوجود والعلم ويتميز عنهما في أنه يُدرك ويُدرَك به، والفرق بين النور المجرد الحقيقي وبين مسمى الوجود المحض هو أن مسمى الوجود المحض يظهر على المدارك بالمعلومات التي سبق تعيينها في علم الله قبل وجودها وتكوينها، والنور المجرد لا يمكن إداركه إلا متجلياً في مظهر موجود ولا يغير وجود الله سبحانه، فهذا الكلام الجليل الجامع عن العلم والوجود والنور بتغايرها في الأشياء وتغاير مفاعيلها وتوحيدها في الله سبحانه يحوم^(١) حول التجلي الإلهي بالصورة، لا بل هو التمهيد الجامع للتكلم عن نوع الصورة.

التجلي

نقل الشيرازي^(٢) عن الصادق وقد سُئل من أين يظهر الحق؟ قال «من بين الخلق، ولكن أكثرهم لا يعلمون»^(٣) فإنه متى اشتد ظهوره بنوره بحيث تضعف الإدراكات عنه يسمى ذلك الظهور حجاباً^(٤) وقد ورد: «إن الله لا يرى بذاته كشفاً»^(٥) وورد أيضاً «إن الله يُرى ولكن رؤيته لا تتعلق بجهة زمان

(١) في أبحول

(٢) هو حسن بن حمزة الصوفي الشيرازي - سبق الحديث عنه.

(٣) يقول أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المعنى: «الحمد لله المتجلي لخلقه بخلق» انظر نهج البلاغة - شرح الشيخ محمد عبده - منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان - ج ١ ص ٢٠٦.

(٤) يعرف الكاشاني الحجاب فيقول: هو الوقوف مع الشيء كأننا ما كان.

انظر شعر عمر بن الفارض - مصدر سابق ص ٢٦٧.

- إن لله تبارك وتعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كُشِفَتْ لأحرقت سبحات وجهه من دونه انظر الآداب المعنوية للصلاة - تأليف آية الله العظمى الإمام الخميني.

تعريب وشرح وتعليق العلامة أحمد الفهري - دار طلاس - دمشق - ط ١٩٨٤ م ص ٣٢٠.

(٥) إن الله جلّ جلاله في مرتبته التي هو بها لا يراه بها أحد، ومن تحيّل أنه رأى الله فيها عرف الله، =

ومكانٍ إلّا بالتجلي» فالتجلي الإلهي تجليان: تجلٍ معنويّ وتجلٍ صوريّ. فالتجلي المعنوي ظهوره بأسائه وصفاته في مخلوقاته كما تقدّم من تقسيم مفاعيل العلم والوجود والنور على مقتضى القانون الخلقى التشبيهي^(١) وما حواه المخلوق من أنواع النقص، فإذا ظهر في خلقٍ من مخلوقاته على ما استحقّه ذلك المظهر من التشبيه^(٢) فإنّه على ما هو عليه من التنزيه، والأمر بين صوريّ ملحٍ بالتشبيه، ومعنويّ ملحٍ بالتنزيه، فإن ظهر الصوريّ فالمعنويّ مظهرٌ له، وإن ظهر المعنويّ فالصوريّ مظهرٌ له. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

ومن عرف أنّه رأى نفسه فهو العارف، ورؤيته موقوفة على التجلي، ولا يكون التجلي الإلهي لشيء إلّا بحسب استعداد التجلّ له ولهذا لا يرى إنسان إلّا صورته في مرآة الحقّ، أما الحقّ في ذاته فلا يرى ولا يُعلم لأنّه لا يتجلّى في صورة مطلقة فالناظر إلى نفسه في المرأة يرى صورته، يقول الشاعر الصوفي الحسن بن مكزون:

تجلّى لي فجلاّني لعيني كما لي صوريّ المرأة تجلّو
ويقول بلسان صوفيته:

كلُّ يراك كعينه إذ أنت مرآة الوجود
وسواك ما يبدو له فيغيّب في حال الشهود

(١) القانون: أمر كليّ منطبق على جميع جزئياته التي يتعرّف على أحكامها منه. كتاب التعريفات مصدر سابق ص «١٧٧». الخلق: هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية. كتاب التعريفات - مصدر سابق ص «١٠٦» والخلق هو الفطرة وهكذا فالقانون الخلقيّ التشبيهيّ: هو انطباق الأمر الكليّ على هيئة النفوس مع الدلالة على المشاركة في الصفات، فهو فطرة الله أو سنة الله التي لا تبدّل لها. «اللجنة».

(٢) التشبيه: وجد قاعدة ليدلّ على أثر ما. فاليد لل قوة والرجل للأساس، والعين للنفاذ والوجه للظهور، والباطن للخفاء، والقرب للحضور، والحضور للصدور، والصدور بلا كيف، وكيفه منزّه أصلاً، والتشبيه ضروريّ لتقريب فكرة التجريد الكليّ إلى الأذهان، وإلّا لما استطاع العقل الإنسانيّ أن يرقى إلى سماء التجريد الكلي ولا الكلام بشيء عن صفات الله دون استخدام شيء مما يستعمل في عالم الحسّ للإشارة إلى المعنى، فالفكرة في رأس المهندس موجودة مفقودة حتى تخرج من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل والله ما كان أصلاً مهندساً، أفكاره في رأسه موجودة بالقوة تنتظر زماناً لتنتقل إلى الوجود بالفعل. فين المرحلتين هناك الوجود الإلهي الدائم النشاط. وبين وجود الفكرة وخروجها... ثمّة صيرورة إلهية، بمعنى نشاط إلهي، منطلقة ضمن إطار ديمومة حركية أولها آخرها وآخرها أولها، ففصل المحسّنات عن المعنويات مستحيل =

«بها تجلّ صانعها للعقول وبها امتنع عن نظير العيون» وقال: «الظاهر لا يقال مم ؟ والباطن لا يقال فيم ؟»^(١) وقال: «بل ظهر للعيون بما أَرَانَا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم»^(٢) وقال: «اللهم إني أشهد أنك تجلّيت لخلقك في كتابك من غير أن يكونوا رأوك»^(٣) وتجلّى الله سبحانه هذا هو ما بالقرآن الكريم من آياتٍ تشيرُ موضحةً إلى أنه محقٌّ مَنْ محقٍّ بالثلاثِ واختصَّ من اختص بالنفحات، إذا وقَّاعه سبحانه تجليات له أيضاً. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «تجلّى لعباده من غير أن يَرَوْه، وأَراهم نفسه من غير أن يتجلّى لهم»^(٤) فإذا نظرنا إلى الأشياء من جهةٍ أنّ لكلِّ شيءٍ ماهية هو بها هو وهي وجهه^(٥) الذي إلى ذاته كذلك لكلِّ شيءٍ حقيقةً محيطة به، بها قوامُ ذاته وبها ظهورُ آثاره وصفاته وبها قوّته على إظهار ما يريدُه وبضمُرُه وعلى ما ينفعُه ويسرُّه، وهي

= وفصلُ التنزيه عن التشبيه مستحيل، وفصلُ التشبيه عن التنزيه مستحيل. فإذا تصوّرت أنّ لله يداً فيدُك يده من باب القدرة، أو أنّ له عيناً فعينُك عينُه من باب البصيرة، وبصيرتُك المرأة التي عكست بصيرته الحية، وبين بصيرتك وبصيرة الله توجد علاقة التشبيه والتنزيه، فأنّت هو قدرة ومثلاً وحركة ودواماً وظهوراً ومحلّ انفعال. فأين هو إن لم تكن؟ وما فائدة الوجود بلا موجود؟ ولم قيمة المخترع بلا مخترعات؟ فيا أيها السائل المحتارُ فم أمام الواحد الجبار وقل ظهرت فافصحت وتكلمت فنطقت الألسنة بما أوحيت، فسبحان من اتخذ عباده صورا ومرائي، فنزه نزه وشبه شبه واجمع وفرق، ووحد وكثر فليس ثمّ موجودٌ إلّا هو. انظر النصوص - مصدر سابق ص ٦١ - ٦٢.

- (١) من خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام: انظر نهج البلاغة - تحقيق الدكتور صبحي الصالح - طبع بالأوفست بإشراف انتشارات الهجرة - إيران - قم - ١٣٩٥ هـ - ص «٣٧»
- (٢) انظر نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده - مصدر سابق ج ٢ ص «٦٥»
- (٣) انظر نهج البلاغة تحقيق د. صبحي الصالح - مصدر سابق ص «٣٩».
- (٤) وردت العبارة بشكل آخر «تجلّى سبحانه لخلقه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه» انظر نهج البلاغة تحقيق الدكتور: صبحي الصالح - مصدر سابق.
- (٥) إن كل ذرة في العالم لها وجهان وجه إلى ذاتها وجه إلى ربا، فالذي لها من ذاتها هو وجهها الهالك وهو محض العدم. والذي لها من خالقها هو الباقي لأنه وجه الحق قال تعالى ﴿كل شيء هالك إلّا وجهه﴾ آية «٨٨» سورة القصص. انظر مشارق أنوار القلوب - مصدر سابق ص «١٠٢» .

وجهه إلى الله عز وجل وإلى هذا أُشيرَ بقوله سبحانه ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾^(١) وبقوله: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾^(٢) إلى كثير من أمثال ذلك. فإذا نظرنا إلى هذه الأشياء بهذا التأمل الصادق فقد عرفنا الله بالله لا بالواسطة لا بل عرفنا الأشياء بالله، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اعرفوا الله بالله»^(٣) أي انظروا في الأشياء إلى وجوها التي إلى الله لكي تعرفوا أن لها رباً هو صانعها، ثم اطلبوا الله بآثاره فيها من حيث تدبيره لها، ولا تنظروا إلى الأشياء التي إلى أنفسها من حيث أنها أشياء لها ماهيات لا يمكن أن توجد لذاتها بل مفتقرة إلى موجدٍ يوجدها فتعرفوه بالأشياء وليس حق المعرفة (فسبحان من لا يعلم ما هو إلا هو)^(٤).

التشبيه والتحول

التشبيه هو مرادفٌ للتجلي وشرحوه وأجادوا بأن التشبيه عبارة عن صورة الجمال لأن الجمال الإلهي له معانٍ وهي الأسماء والصفات الإلهية وله صورة وهي تجليات تلك المعاني فيما يقع عليه المحسوس أو المعقول فالمحسوس كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيتُ ربي في أحسن صورةٍ شاباً أَمَرَدَ»^(٥) والمعقول. . كالحديث القدسي: «أنا عند ظنِّ عبدي المؤمن فليظن بي ما شاء»^(٦) فهذه الصورة هي المرادة بالتشبيه ولا شك بأنه سبحانه في صور جماله باقٍ

(١) سورة الحديد ، الآية ٤ .

(٢) سورة ق آية ١٦٥ .

(٣) جاء في كتاب الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان - انظر الأصول من الكافي تأليف ثقة الإسلام أبي جعفر محمد يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي - تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري - دار الكتب الإسلامية ج ١ ط ٣ ص ٨٥

(٤) العبارة سقطت من «١» .

(٥) انظر شرح جوهرة التوحيد - مصدر سابق .

(٦) انظر فصوص الحكم للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي - تعليق أبو العلا عفيفي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ج ١ طبعة ثانية - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ص ٢٢٦ .

على ما هو به من التنزيه . فهو سبحانه لا يقبلُ التغيرَ فتغيره من جهة ظهوره وهو المعبرُ عنه بالتحول في الصور لا التحولُ في نفسه وهو قوله سبحانه ﴿كل يومٍ هو في شأنٍ﴾^(١) فتجليه على العبدِ بنسبة الحقِ يسمى شأنًا إلهيًا ونسبته للعبدِ هو جمال^(٢) وأجمع كلمة لهذا وأروع ما ورد في الأسس^(٣) «إذا انتقل الجوهر فهو بالصفة منتقل»^(٤) فإذا نزهت الذات المطلقة عن الحصر والتقييد والتحديد فإن الحصر والتقييد والتحديد في عين التشبيه لكونها مطلقة عن الإطلاق الذي هو في مقابلة التقييد . قال الصادق عليه السلام : «العبودية جوهره كنهها الربوبية فما فقد في الربوبية وجد في العبودية، وما فقد في العبودية (وجد في الربوبية)^(٥) وما وجد في الربوبية أصيب في العبودية»^(٥) ولكن المادة شيان فالمادة موضوعة ليكون بها قوام الصورة والصورة لا يمكن أن يكون لها دوام ووجود بغير المادة ووجود الصورة لا لتوجد بها المادة بل ليحصل بها الجوهر المتجسم جوهرًا بالفعل فإن كل نوع إنما يحصل موجوداً بالفعل إذا حصلت صورته، وإذا وجدت المادة دون الصورة فإنما هو ذلك النوع بالقوة فخشب السرير هو سرير بالقوة وإذا كَوّن الخشب سريراً صار سريراً بالفعل .

إمكان الرؤية

إنَّ الغايةَ المعبودةَ إذا كانت عند المحجوبين^(٦) ممدوحة بصفات السلب

(١) سورة الرحمن آية «٢٩»

(٢) سقطت من (ا و ب)

(٣) الأسس مخطوط خاص، سبق ذكره .

(٤) العبارة سقطت من ب .

(٥) وردت العبارة في آداب الصلاة المعنوية نقلاً عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام :

العبودية جوهره كنهها الربوبية، فما فقد في العبودية وجد في الربوبية وما خفي من الربوبية

أصيب في العبودية . انظر آداب الصلاة المعنوية - مصدر سابق ص «٣٢» .

(٦) الذين يعرفون الحقيقة عن غير طريق الذوق والعيان .

والغيب فإنها عند العارفين أهل الكشف^(١) ممدوحة بصفات الوجود والعيان^(٢)، إذ العيان أثبت وأولى بالعبادة، ومن عبد غائباً لا يعرفه لم ينل من عبادته ثواباً لأن معبوده لا حقيقة له، والمحجوبون حُجِبُوا عن رؤية خالقهم بسبب كدرهم وظلمة طباعهم، وسهوهم وكذبهم ومعصيتهم، فإذا ما صفت الروح بنور الإيمان وضياء التوحيد رأيت ما شاكلها وجانسها وغاب الجسم والصورة بصفاء الروح لأن الناظر بعينه لا يرى إلا جسماً فإذا صار يسمع بالله ويرى بالله انجلي له عالم الصفاء من عالم الكدر. وشرح هذا الكلام الجامع: إن أسماء الله وصفاته تعدد بتعدد مراتب عبيده بقدر استعدادهم، فكل واحد منهم له من نظره اليقينية للألوهية نصيب يمثلُه نظرُ هذا العبد، فنظره الحق الأول سبحانه برتبة الأحد تعددُ بنظره الأسماء والصفات بآثارها ومؤثراتها. وإن وقف النظر عند رتبة الواحد رأى أن الكائنات فانية بذاتها باقية بأسماء الله وصفاته، والرتبة التي ترى أن العزة لله (مثلاً) تقضي أن لا مناسبة بين الحق والخلق، والقيومية^(٣) تُثبت وجود نسب إضافية بين الله وعبيده من حيث وجود الأشياء وقيامه بها، وهكذا فمن حيث تجلي الأحد فما تَمَّ وصف ولا اسم، ومن حيث تجلي الواحدية فما تَمَّ خلق لظهور سلطانها بصورة كل متصور في الوجود، ومن حيث تجلي الربوبية فهو حق وخلق لوجود الحق والخلق، ومن حيث تجلي الألوهية ليس إلا الحق وصورته (الخلق) وليس إلا الخلق ومعناه الحق، فالأحدية

(١) أهل الكشف هم الذين يعرفون الحقيقة عن طريق الذوق. انظر فصوص الحكم للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي - والتعليقات عليه تعليق أبو العلا عفيفي - دار الكتاب العربي بيروت - لبنان ط ٢ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م الجزء الثاني ص «٢٥٠».

(٢) العيان: هو حق اليقين الذي يترتب لأصحاب المعارف - راجع الرسالة القشيرية - مصدر سابق «٤».

(٣) القيومية: مصدر صناعي من القيوم وهو القائم بذاته الذي لا بدء له وهو من أسماء الله الحسنى قال تعالى: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» البقرة آية «٢٥٥» جاء في شرحها: القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل ما يقوم به فلولا قيامه ما قام شيء - انظر تفسير القرآن للشيخ الأكبر ابن العربي - تحقيق د. مصطفى غالب - دار الأندلس - بيروت ط ٣ المجلد الأول ص «١٤٢».

أول ظهور ذاتي ممنوعٍ الانصافِ به لغيره لأنه صرفُ الذاتِ المجردة عن الحقيقة والخلقية، والواحدية عبارة عن تجلي (١) ظهور صفة، الذات فيها صفة والصفة فيها ذات، وبهذا ظهر أن كل الأوصاف عين الآخر فالمتقم فيها عين الله، والله عين المتقم، والمتقم هو عين المنعم وما أشبه وكل هذا باعتبار ظهور الذات بالصفات وفي آثارها، هذا ما دعا الإمام زين العابدين عليه السلام إلى القول: «إن ديننا لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء العاطلة والمقاييس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم فمن سلم لنا سلم» (٢) وفي هذا قال الشاعر:

إليكُم وإلا لا تشدُّ الركائبُ ومنكم وإلا لا تُنالُ الرغائبُ
وعنكم وإلا فالحديثُ مشوشٌ وفيكم وإلا فالمحدثُ كاذبٌ

النظرة في الصورة من جهة الجميع

وكما قلنا فالكل مشغول بالصورة داخلياً وخارجياً وكل رأى بما صور له علمه واعتبره عقله ولعل الأكثر مضوا صادقين مع رؤيتهم بمعرفتهم: ففي صحيفة الأبرار: «قد تقرر في علمنا وصدقته صحاحات النقول وعميقات العقول: أنهم سرّج عالم الإمكان المنيرة وسائر الخلق أشعة أنوارهم وصدى أصوات خطاباتهم، وأن لهم في جميع مراتب من سواهم ظهوراً من سنخ تلك المرتبة هو بمنزلة رب النوع بالنسبة إليها فكل من أهل المراتب، مراتب الوجود المتعددة المنازل (٣) يراهم من سنخه مثلاً البشري يراهم بشراً والمَلَك يراهم ملكاً والأنبياء والأوصياء نبياً ووصياً بالنبوة والوصية الظاهرتين وتلك الصورة المرئية لهم بالنسبة إلى أصل (٤) مرتبة وجودهم كالصورة المرئية في المرآة بالنسبة

(١) في ب مجلى.

(٢) ورد في كتاب آداب الصلاة المعنوية قال والرواية الشريفة: «إن دين الله لا يصاب بالعقول» ولم ينسب القول لأحد. انظر آداب الصلاة المعنوية - مصدر سابق ص ٣٤٤.

(٣) في ب المنازلة.

(٤) في ا و ب أهل.

إلى الشخص المقابل وأما صورتهم الأصلية فلا يراهم عليها أحد سواهم لعدم احتمال من سواهم لذلك . . . وبالجملية الصورة المذكورة حُجِبَ على صورتهم الأصلية اتخذوها واحتجبوا بها ليطبق الخلق رؤيتهم والأخذ عنهم ولو كشف واحد منهم لأحرقت سبحات^(١) وجهه جميع ما في الوجود لأن وجوههم هي وجه الله الذي سأل موسى بلسان قومه بالنظر إليه فأجيب بالنفي المؤبد^(٢) فاعتبر ذلك بحواسك الباطنة والظاهرة بالنظر إلى شيء واحد.

فعينك تراه جسمًا قابلاً للأبعاد الثلاثة لأنها جسمانية، وحسك المشترك يراه صورةً برزخيةً بين الظاهر والباطن، وخیالك يراه صورةً ظليةً مقداريةً مجردةً عن المواد الظاهرية، ونفسك تراه صورةً جوهريةً مجردةً، وعقلك يراه معنىً مجرداً عن جميع الصور، وفؤادك^(٣) يراه حقيقةً صرفةً مجردةً عن جميع النسب والإضافات وهو شيء واحد في نفسه فكل من المدارك يحكم فيه بما عنده ولكن الإنسان الجامع لجميع تلك المدارك ينظر إليه بعين الوحدة ويرى أنها كلها مراتب حقيقة واحدة سارية في جميع تلك المراتب، قال الشاعر محمد كاظم الأزرعي في هذا المعنى:

(١) سُبحات: جاء في لسان العرب: سُبحات وجه الله بضم السين والباء أنواره وجلال عظمتيه. قال جبريل عليه السلام إن لله دون العرش سبعين حجاباً لو دوننا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربنا وقال صاحب اللسان: إن المعنى لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور كما خر موسى عليه السلام صعقاً وتقطع الجبل دكاً لما نحل له الله سبحانه - لسان العرب مادة سَبَحَ - وجاء في كتاب مشارق أنوار القلوب. يعني بالسبحات أنوار تجلي المنسوبة للجلال فإنها تحرق جميع الموجودات أي تعدمها كالنار إذا استولت على شيء فإنها تذهب صورته. انظر مشارق أنوار القلوب - مصدر سابق ص ١٢٥. وفي القاموس: سُبحات وجه الله: أنواره.

(٢) النفي المؤبد إشارة إلى الآية: «قال رب أرني أنظر إليك قال: «لن تراني» الأعراف ١٤٣» (٣) الفؤاد: القلب وليس المراد بالقلب تلك المصغرة الصورية الجامعة في الجانب الأيسر من الصدر وإن كانت متصلة به اتصالاً ما لا يعرف كنهه. بل هو القوة الخفية التي تدرك الحقائق الإلهية إدراكاً واضحاً جلياً لا يخالطه شك. انظر فصوص الحكم مصدر سابق ج ٢ ص ١٣٩.

أحوته أرض وأرض تخلت^(١) منه حتى مثنى بها فطواها
هو في الشرق مثل ماهو في الغرب وفي الأرض مثل ما في سهاها

الصورة والإنسان

وحيث علمنا بفضل الله كيفية تجلي الله سبحانه الصوري والمعنوي
والتشبيهي والتأثيري بالقدرة الفاعلة بكل الأشياء مثل ما أخبر أمير المؤمنين
عليه السلام بقوله: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه، ولا رأيت شيئاً إلا
ورأيت الله فيه... ولا رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله، ولا رأيت شيئاً إلا
ورأيت الله بعده»^(٢)

وقوله: «باين الأشياء بينونة صفة لا بينونة عزلة»^(٣). حيث علمنا شيئاً
من هذا وجب علينا أن نعرف معنى ما ورد بأن الله سبحانه خلق الإنسان على
مثال صورته وبه شرحوا قوله سبحانه ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾^(٤) فقالوا كرمهم
بأن خلقهم على مثال صورته سبحانه بخلاف ما فهم منها بعضهم بأن الله تجلى
كصفة البشر، ولو كان الأمر كما زعموا لكان الإنسان مخلوقاً على صورة الله
البشرية وتعالى الله.. وبيانه:

(١) في المنجد: تخلى منه وعنه: تركه. وتخلت الأرض منه: أي خلت فسميت الخلاء واللجنة
وهذان البيتان في قصيدة لهذا الشاعر عرفت واشتهرت بعنوان (القصيدة الشمسية)، ويشير في
البيت الأول إلى ذهاب أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة إلى المدائن للصلاة على سلمان رضي
الله عنه، ورجوعه بعد صلاته عليه وتذكر صحيفة الأبرار خبراً مختلفاً. انظر ج ١ ص ١١٤.

(٢) جاء في آداب الصلاة المعنوية: روي عن أمير المؤمنين والإمام جعفر الصادق سلام الله عليهما «ما
رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه» انظر آداب الصلاة المعنوية - مصدر سابق ص
١٥٨.

(٣) انظر قرة العيون تأليف محمد محسن الملقب بالفيض الكاشاني - دار الكتاب العربي ١٩٧٩ ط ٢
ص ٣٤٥. ونهج البلاغة لجمع الشراح.

(٤) سورة الإسراء آية ٧٠.

إن الله خلق الإنسان مجموع العوالم وخلاصة الأكوان وزبدة الزبد
 صفات الله الذاتية (الحياة والعلم والإرادة والقدرة) يضاف إليها تتمات وشروط
 وهي السمع والبصر والنطق هذه الصفات والتتمات أفاضها الله على الإنسان
 فهو بها حي عالم مريد قادر سميع بصير ناطق فإذا أراد فعلاً فمبدأ فعله إرادة
 يظهر أثرها في القلب أولاً فيسري أثره بواسطة الروح الحيواني^(١) الذي هو
 بخار لطيف في تجويف القلب فيتصاعد منه إلى الدماغ ثم إلى الأعصاب إلى
 الأوتار فالرباطات المتعلقة بالعضل، فتجذب الأوتار وتتحرك الأصابع فيتحرك
 القلم ويجري المداد فيحدث منه صورة ما يراد كتابته على القرطاس، فما لم
 تتخيل الصورة أولاً لا يمكن إحداث شيء وأفعال الله سبحانه وكيفية إحداث
 الأشياء كخلق النبات والحيوان مثلاً فإنه يتم بواسطة تحريك الكواكب بطاعة
 الملائكة وهكذا. فنصرف الإنسان في عالمه أي (بدنه) الجامع المجموعات
 المادية والمعنوية يشبه تصرف الله سبحانه في مكوّناته، فالقلب كالعرش والدماغ
 كالكرسي والحواس كالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم والأعضاء
 والأعصاب كالسموات والقدرة في الأصابع كالطبيعة المسخرة المركوزة في
 الأجسام والقرطاس والقلم والمداد كالعناصر في قبول الجمع^(٢) والتركيب
 والتفرقة ومرآة التخيل كاللوح المحفوظ فمن عرف هذه الموازنة^(٣) عرف معنى
 (خلق الله آدم على مثال صورته). وما ورد في الحديث القدسي «تعالوا نخلق
 إنساناً كصورتنا (كشبهنا)^(٤)» يعطينا معنى ما تقدم من أن الله سبحانه يفعل

(١) الروح الحيواني: يراد به الإشراق الذي يحفظ حياة البدن «اللجنة».

(٢) في اوب الجميع.

(٣) في (أ) المؤنثة.

(٤) جاء في التوراة في هذا المعنى: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» انظر الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد - جميعات الكتاب المقدس المتحدة - ساحة النجمة - بيروت ١٩٥٠ تكوين ١ الإصحاح الأول ص ٤٤.

بالنبات والحيوان بواسطة إدارة^(١) هذه الكرات السماوية وتفاعليها، ولكن الفاعل هو الله وحده، ويعطينا أن المكونات مشهودها وغيبيها، محسوسها ومعقولاتها، مطلقها ومقيدها، صور^(٢) لله، أو صورة قائمة بمصور فالله سبحانه وإن أظهر الفعل على يد غيره فهو الفاعل وذلك كالنفس في إظهار مفاعيلها على أعضاء بدنها وهذا مثال مما جمع الله في الصورة الآدمية من صور المكونات . . .

تحقيق التجلي في الصورة

نستطيع أن نقول الآن بإيمان راسخ وقدم ثابتة بحول الله : إن تجلي^(٣) الله لمخلوقاته أثر واقع لا يكبر على العقل فهمه واعتقاده، ولا يمتنع الشرع والنقل عن تأييده على لسان الانبياء والمعصومين - صلوات الله عليهم -، وغيرهم كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيت ربي في أحسن صورة»^(٤) وفي الحديث «خلق الله آدم على مثال صورته. كما تقدم، وكم صور النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربّه بصور منوعة، في الصحيح «رأيتكم ربكم كالقمر»^(٥) وفي

(١) في ب إرادة.

(٢) يقول الفيلسوف (أرجينتا) المولود في (إيرلندا): ليست المخلوقات على اختلاف أنواعها وألوانها إلا صورة يتمثل فيها الخالق.

(٣) لا يكون التجلي الإلهي إلا بحسب استعداد المتجلي له، والله نور محض لا ظلمة فيه وهو يتجلي بصفة المتجلي لهم فالملائكة يرونه نوراً لأن جنسهم نور، أي أن التجلي على قدر العقول والمدارك، والله بذاته كما هو، جل أن يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة * إلا متجلياً للجنس كالجنس - نورا كان الجنس أم بشرا - ، وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة «لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن، تدركه القلوب بحقائق الإيمان» انظر نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده - منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت - ج ٢ ص «٩٩» والتجلي للجنس بشرحه تجلي جبريل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بصورة دحية الكلبي فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم رآه نوراً لأن جنس النبي وحقيقته نور، والبشر رآوه بشراً بصورة (دحية) لأن جنسهم بشر.

(*) فمن قال إني رأيت الله فما رأى إلا نفسه وصورته لأن الله فوق سائرني به ورؤيته غيره وهو غير رؤيته.

(٤) و(٥) انظر شرح جوهرة التوحيد - مصدر سابق من ص ٢٤٦ - ٢٦٨.

رواية كالشمس وفي الصحيح: «إن الله جلّت قدرته يتجلى يوم القيامة بصورة متنوعة متعددة ويتحول من صورة إلى أخرى غيرها»^(١) وفي رواية أوردها مسلم وفي تعليق النووي وفي رسالة الأسفار لابن عربي وفي شرحها للجيلي عنه «يأتيهم الله في صورة غير التي يعرفونه بها فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا. فيأتيهم بالصورة التي يعرفونه، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا، سبحان ربنا»^(٢) والآيات التي تشير إلى التجلي في القرآن كثيرة كما كثر ذكر التجلي في الحديث أيضاً مثل تجليه سبحانه بالنار ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً﴾^(٣) وتجليه سبحانه بالنور ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعْقاً﴾^(٤) وتجليه مع الملائكة ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٥) ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾^(٦) وتجليه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم برداء العزة والكبرياء، ومثل هذا كثير وفيه من الحيرة والدهشة ما فيه وربما انجلت هذه الحيرة المتجاوزة بما ورد عن أكثر علماء الحديث: إن جبريل تجلّى للنبي بصورة دحية بن خليفة الكلبي. وكتجليه لمريم بصورة بشرية وذلك ليس أن جبريل انقلب إلى صورة دحية بل تلك الصورة مثال مؤد عن جبريل، ولا يستحيل مثل ذلك في يقظة أو منام، كما قال الغزالي في المنقذ من الضلال: فهذا ما يدل من جهة الخبر^(٧) على جواز إطلاقه، وقد ورد عن السلف إطلاق ذلك ونُقلت فيه آثار وأخبار، ومن العدد الوفير الذين تكلموا عن الصورة

(١) انظر صحيح مسلم باب الإيمان رقم ٢٩٩ و٣١٢ ومسنند ابن حنبل المجلد الثاني رقم ٥٣٤.

(٢) يرد الحديث بصيغة مشابهة في الفتوحات المكية السفر الأول - ابن عربي - تحقيق الدكتور عثمان يحيى والدكتور إبراهيم مدكور - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ١ ١٩٧٢ م ص ٢٢٣ فقرة ٣٣٩.

(٣) سورة القصص آية «٢٩».

(٤) سورة الأعراف آية «١٤٣».

(٥) سورة الفجر آية «٢٢».

(٦) سورة البقرة آية «٢١٠».

(٧) في ب الخیر وفي «١» سقطت بعض العبارات.

البشرية الشيخ أحمد الأحسائي^(١) قال يتكلم عن الأئمة المعصومين عليهم السلام: إنما ظهوروا للناس بما لبسوا من الصورة البشرية التي هي محلّ التغير والتبديل، وهي صورة كثيفة من العناصر الأربعة^(٢)، وإنما لبسوها ليتّم ما أراد الله من انتفاع المكلفين بهم من قوله سبحانه ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾^(٣) وكانت الصورة البشرية عرضية لهم لأنها ليست منهم، وإنما هي من آثار آثارهم، فلما انتهت الحاجة إليها ألقوها في أصولها الأربع، كلّ في أصله، فكانوا كما كانوا في أعالي عالم الأنوار معلقين بأوائل عليهم من الأمر الذي قام به كلّ شيء. إن ظهورهم في البشرية وما بعده مما أشرنا إليه، مثاله الصورة التي ظهرت منك في المرأة، فإن جرم الزجاجة الصقيل للصورة بمنزلة الصورة البشرية لهم، لظهورهم (عليهم السلام) إذ لولا جرم الزجاجة الصقيل لما ظهرت الصورة، مع أنها موجودة في ظلك وجوداً عرضياً لك لا ذاتياً لأنه نورك وشعاعها، فإذا ذهبت المرأة خفي الشيخ لعدم شرط ظهوره، فكان لما كان في أعالي عالم ظهورك الذي هو عالم أنوارك أي أنوار أفعالك معلقاً في أوائل عليه من الأمر الذي من فعلك، أي ظهورك الذي قام به كلّ شيء من آثار ذلك الفعل، فافهم هذا ففيه بيان وجواب على كشف جميع الأسباب ورفع الحجاب، ولولا أن المرأة صوّرت الهيكل المقابل على ذاتها لما أعطيت^(٤) العكس في المرأة، ومن أين يكون العكس في المرأة إذا لم تكن صورة مقابلة. ثم يقول الشيخ أحمد الأحسائي^(٥): اعلم أنهم أنوار لا كثافة في أجسامهم بوجهٍ بحيث لا تدركها الأبصار بل أكثر البصائر، وهي حينئذٍ في رتبة لطافة العرش، فإذا

(١) مؤلف كتاب شرح الزيارة - سبق الحديث عنه.

(٢) يقصد بالعناصر الأربعة (النار والهواء والماء والتراب) هكذا كانت تفهم في العصور السابقة وهي مركبات لا عناصر كما ترى وتعلم.

(٣) سورة الأنعام آية «٩».

(٤) في ب أعطيت.

(٥) الشيخ أحمد الأحسائي: هو مؤلف كتاب شرح الزيارة، وقد سبق الحديث عنه.

زالت الكثافة البشرية التي هي علة الإدراك قلنا: إنهم معلقون بالعرش وهم في حفرهم^(١). ويرى الصوفيون بصافي عقيدتهم وصادق مكتشفاتهم على اختلاف نحلهم أن الله يتجلى بصورة لا عداد لها كما ذكرنا، وهذا في كل مؤلفاتهم، قال أحدهم^(٢):

إن التشكل في الصور نعت المهيمن في الخبر
وبذاك أنزل كتبه فيما تلاه من السور
ولقد رأيت مثاله بمطوّل وبمختصر

قال تلميذ لعبد القادر الجيلاني: إني أرى الله، قيل له: وكيف تراه؟ قال: أراه بصورة بشرية^(٣) فرُفِعَ قوله إلى سيده فسأله فأجاب أن: نعم، فزبره وطرده من حضرته. وبعد ذهابه قال لمن حضر: صدق إنه يرى نور الله سبحانه كالناظر في المرآة يرى شخصه. وفي شرح الزيارة، فالله ليس معه شيء، وكل ما سواه محدث خلقه لا من شيء، ولا على احتذاء^(٤) شيء، بل أحدث فعله بنفسه، لا من شيء غير نفسه حين أحدثه، وشق المادة من كينونة فعله بفعله، وخلق الصورة من انفعال المادة، وخلق المصنوع في وقت الفعل، فما كان ظرفاً للإمكانات فسرمد، وما كان للمكنات فدهر وزمان. هذا وتجليات الله سبحانه بأفعاله وأسمائه وصفاته لا عداد لها والكلام عنها طويل وشاق.

التنزيه

إن تنزيه^(٤) الله سبحانه أمر شاق صعب مستصعب، قل أن توجد كلمة

(١) أي قبورهم.

(٢) نسبت هذه الأبيات للحلاج ونسبت لأبي بكر الشبلي وهي غير مجهولة في كتب السادة الصوفية، وروى الشيرازي في كتابه (التنبيه) دون أن يذكر ناظمها.

(٣) في ب امتذاء.

(٤) التنزيه: تبعيد الرب عن أوصاف البشر - كتاب المراجعات مصدر سابق ص «٧١» في

شديدة الوقع لينة الملمس مريرة الفهم مثلها، ويظنها القارئ لأول وهلة سهلة مريحة لذيدة، ولكن عند مزاوله فهمها يقعد عنها اللب الخبير خاسئاً وهو حسير، وأعلى التنزيه وأسهله وقعاً ما أتى عن الموالي مثل قول أمير المؤمنين (عليه السلام):

« ما وحده من كيْفُه ولا حقيقتَه أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شبهه ولا صمده من أشار^(١) إليه وتوهمه^(٢) » ويقول عليه السلام: «من قال فيه لم فقد علله، ومن قال: متى فقد وقته، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال حتى فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد ألحد فيه، ومن قال إلام فقد أنهاه^(٣)». هذا هو التنزيه السهل المريح ولكن كيف نستروح معانيه من خلال ألفاظه ونرى بها تخاليل الديباجة الإلهية التي فيها التنزيه اللذيذ باللفاظه، الغني بمعانيه، السهل ببيانه، العميق بمراميهِ. إذا تتبعنا ما استروحناه، وذهبنا وراء ما تخيلناه، نرى أننا ذهبنا به إلى اللاشيء. ثم مثل قوله عليه السلام: «به تُوصف الصفات لا بها يُوصف، وبه تُعرف المعارف لا بها يُعرف، وبه عُرف المكان لا بالمكان عُرف، وبه كان الخلق لا بالخلق كان»^(٤) ثم قوله: «أول الدين معرفته،

= النصوص: صورة سامية للذات الإلهية خالصة من أي تشبيه وإلحاق بعالم المحسوسات. للمزيد راجع النصوص في مصطلحات التصوف - مصدر سابق ٧٢ - ٧٣.

(١) أي: لم يقصد نحوه ولم يتوجه إليه بل توجه إلى موجود آخر لأنه: «فأينما تولوا فثم وجه الله» الآية «١١٥» سورة البقرة. انظر التوحيد للصدوق - مصدر سابق ص «٣٨». وفي القاموس توهم الامر تمثله وتخيُّله وظنه، لذلك من يتوهم الخالق ويشير إليه بالظن والتخيل لم يقصده ولم يتوجه إليه، لأن من يشير إلى الخالق يحصره في جهة ويجعله في حيز، والله سبحانه مطلق الوجود، يقول المكزون متفقاً مع الآية: فأين وجهت وجهي عنه أراه إليه.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد - تحقيق الشيخ حسن تميم - المجلد الرابع - دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٤ ص «١١٢».

(٣) انظر الأصول من الكافي - مصدر سابق. ج ١، ص (١٤٠).

(٤) قرة العيون - تأليف محمد محسن الملقب بالفيض الكاشاني - دار الكاتب العربي - بيروت ١٩٧٩ م ط ٢ ص «٣٤٣».

وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيدَه، وكمال توحيدِه الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، وشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، فمن وصف الله سبحانه فقد ثناءه، ومن ثناءه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد أخلى منه^(١). وكم أتى عنهم عليهم السلام من أمثال هذا التنزيه المحير العقول والمذهل الألباب ما نفق دونه مرتبطين بالعي والحصر، بينما يقتطف الجهال من أشجاره الأثمار الياقة، ويرتعون من تجلياته بالطلح^(٢) المنضود، والظل الممدود، والماء المسكوب، والفاكهة الكثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة^(٣) فيالله وبالحيا لا يهم ما أذكاه وما أمرعها! وبعد هذا التنزيه الدقيق الخطير مع إثبات الوجود الذي لا يغيب عنه شيء ولا يراه شيء، ودقته وخطورته لأن ما غاب ولم ير يوشك أن لا يكون شيئاً، وأن من عبد ما يرى، فقد عبد محدوداً محاطاً . . . وهذا لا يجوز، وبهذا التنزيه الخطير الذي هو خلاصة التوحيد حاجز مانع من معرفة الله مع أن التنزيه الخطير لا يثبت وجود الله إلا بالتوهم، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تجلى للأوهام بالأوهام، وبالأوهام احتجب عن الأوهام»^(٤) وقال: «احتجب بها منها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها»^(٥). يعطينا كلام أمير المؤمنين هذا، أن كل شيء تجلى الله به هو حجاب هذا الشيء عن الله سبحانه فتزیه الله سبحانه عن^(٦) كل شيء يجعلنا

(١) نهج البلاغة تحقيق الدكتور صبحي الصالح - طبع بالأوفست بإشراف انتشارات الهجرة - إيران -

قم - ١٣٩٥ هـ ص ٤٩ - ٤٠

(٢) الطلح: جاء في التفسير أنه شجر الموز والطلح شجرة طويلة لها ظل يستظل به الناس والإبل - انظر لسان العرب - مادة طَلَحَ.

(٣) سورة الواقعة الآية «٣٣».

(٤) وردت العبارات في نهج البلاغة هكذا: «لم تحط به الأوهام بل تجل لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها» - انظر نهج البلاغة للإمام علي - شرح الشيخ محمد عبده - منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان - ج ٢ ص «١١٥».

(٦) في أمن وفي ب على.

نعرفُ اللهَ معرفةً سلبيةً، فيجبُ تنزيهُه عن التنزيه، وتنزيهه عن التنزيه يقتضي أن نُرجع^(١) إليه صفاته المسلوقة عنه بالتنزيه. فالتنزيه هو سلبُ كلِّ صفاتِ الذاتِ عنها، والتنزيه عن التنزيه هو إرجاعُ صفاتها السلبية إليها، وإلا كانَ سُبحانَه محصوراً في جانبِ التنزيه، فنعلم حينئذٍ أنه بأحديته يكونُ مصداقاً لجميع الصفاتِ الحقيقية المحضة ذاتِ الإضافة وهو عينُ ما جاء في كتاب التنبيه: «هو مع كلِّ شيء بصورة ذلك الشيء، ولا صورة له ولا قيْدته صورة»^(٢). وقوله: «لا يكونُ... ظهورُه ومشيتُه مقيداً ولا محصوراً حالَ ظهورِه بالصورة بها أو فيها ولا مقيداً حالَ ظهورِه بغير الصورة»^(٣) يعني بذلك أن الظهور بالصورة قيدٌ يجب الإطلاق عنه والإطلاق قيدٌ لحصره الذاتُ بجانب الإطلاق ونكونُ قيدناه بجانبِ التنزيه، فقيده في عين إطلاقه، إذاً يجبُ الإطلاق عن هذا الإطلاق بحيث يظهر إن شاء في الصورة وإن شاء بغير الصورة فهو كما يشاء. ومن قبيل ما مرَّ بك مما أتى في القرآن الكريم والحديث الشريف وغيرهما الشيء الكثير وذلك مما عند الجميع من تحقيق تجلي الله وظهوره، ومن قبيل ما أتى عن الجميع من التنزيه وإفراط التنزيه، وللاستعدادِ شأنه. انقسمَ العالم الإسلامي لا بل الناس أجمع قسمين: قسم جنح للتنزيه المحض، وقسم جنح للتجلي ثم التنزيه، واختلفَ الفريقان ثم كان كلُّ فريقٍ فرقاً، ولكنَّ أصحابَ الفرقَةِ الجانحة للتنزيه - ولعلهم في باطنٍ أمرهم يقولون بالتجلي - كفروا الفرقَةَ الجانحة للتجلي، وسموهم مجسِّمة ومُشبَّهة وحشوية^(٤)، والذين قالوا بوجوبِ التجلي ثم

(١) في ب ترجع.

(٢) و(٣) العبارتان من التنبيه، والتنبيه مخطوط خاص وهو من تأليف الصوفي الشهير حسن بن حمزة الشيرازي. وقد سبق الحديث عنه والعبارة الأولى لأمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج

البلاغة شرح الشيخ محمد عبده.

(٤) الحشوية هي المشبهة والمجسمة وأصحابها يقولون إنَّ المعبودَ على هيئة ذاتِ أعضاء وأعضاء.

انظر الملل والنحل للشهرستاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - دار المعرفة بيروت ١٩٨٢ ج ١ ص ١٠٥ ويقال: «إنَّ الغالب في الحنابلة الحشوية» واللجنة

التنزيه كَفَرُوا أولئك المنزهين... ورموهم بالتعطيل، ومن تَبَعَ الرأيين استخلصَ منها أن أصحابَ الفرقِ المنزهة الذين لم يستجيزوا على الله سبحانه التجلي بالصورة ولا الرؤية، هم الذين أطلقوا على الله سبحانه الحصر، لأنهم حظروا عليه سبحانه جانب^(١) التجلي بالصورة أو بالصور المنوعة، والذين أجازوا على الله سبحانه التجلي بالصور، هم الذين نزهوا الله سبحانه حق التنزيه بتنزيهه عن التنزيه وإطلاقه عن الإطلاق هرباً من الحصر بالتنزيه وأخذاً بالطريقة المثلّية وتباعاً لسنة الشارع الأعظم بالعقل والدين وهو ما تجلّى بكلام أمير المؤمنين «عليه السلام»: «تنزيهه أن تصفه بصفات الكمال وتنفي عنه صفات العجز والمحال»^(٢). وعلى هذا فإنّ لله سبحانه أن يتجلّى بما يشاء غير محصور في تجلٍ ولا تنزيه، فهو الصورة الجامعة للصور، وجامع الصور لا يتقيد في صورة، ومالا يتقيد في صورة لا صورة له. فهو مع الإطلاق والحصر يحلّ عن الإطلاق والحصر. يقول الشيرازي في تنبيهه: «إنّ القادر على الإطلاق لا يعجزه شيء من الأشياء فهو مع كل شيء بصورة ذلك الشيء ولا صورة له ولا قيده صورة ما لم يكن مع شيء إلاّ معها، بل هو عين كل شيء سوى تقييد الشيء وتعيينه، فإن هذا لا تجوز الإشارة إليه لأنّه لم تقيده صورة فهو سبحانه كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد عنها غير مباين». والذي يحدد بصر الإيمان دون بصر العين يحده في كلّ

(١) سقطت في ب.

(٢) للصوفيين كشف تريم أن الرتبة الجامعة هي ذات جامع الصور وهذا لا يتقيد في صورة، وهو مع الإطلاق والحصر يحلّ على الإطلاق والحصر. ولأمير المؤمنين أقوال عدة في هذا المعنى. انظر نهج البلاغة - تحقيق د. صبحي الصالح. مصدر سابق الصفحات (٣٩، ٤٠، ٨٨، ١١٥، ١٣٩، ٢٥٨) والعبارة السابقة لم نعثر عليها بالفاظها في النهج ولكنها موجودة في مخطوطات عدة، منها شرح التنبيه ومسائل العباد «مخطوطان خاصان».

(٣) التنبيه، كتاب مخطوط.

شيء وبعد كل شيء، وفوق كل شيء، وتحت كل شيء، ومحيطاً بكل شيء،
 وقريباً من كل شيء، بقرب هو وصفه، وبحيطة هي نعمته. وأظنك أصبحت
 -ولا ريب عندك- بأنه سبحانه يتلبس بأي لباس شاء في أية صورة شاء مما
 يعرف ومما ينكر من غير اتحاد ولا حلول، فلا يكون ظهوره ومشيته مقيداً ولا
 محصوراً بالصورة حال ظهوره بها وفيها ولا بغير الصورة بل يكون جامعاً بينهما لم
 يزل كما في التنبيه وراحة العقل. (١)

وللصوفيين كشوف تعرفهم بلا ارتياب أن الرتبة الجامعة هي كشف
 التنزيه عن التنزيه الذي يقتضي التمييز عن الامتياز، ويقولون: إذا جاز للملك
 مخلوق الظهور بأية صورة شاء بلا حلول بذلك الشيء، جاز له سبحانه أن
 يتجلى بصورة الذين يقولون بتجليه بعد فنائهم بتوحيده.

التنزيه حصرُ الصفة والذات

بأي شيء يجوز أن تصف الله وليس لكمالهِ الذي كَمَلَ به كلُّ كاملٍ
 نهاية؟! فما... أظهره من منوع الكمال، له في ما لا نراه كمال أتم، وكذلك
 الهيولى المعقولة لا سبيل إلى بروز جميع صورها بحيث لا يبقى فيها قابلية صورة
 أخرى، فإنَّ هيولى (٢) المخلوق، لا ترتبط بغاية، فكيف الكبير المتعال؟! ولهذا
 قال أصحاب التجلي بأنَّ (درك العجز عن الإدراك إدراك) (٣) قال الشاعر:
 فبالقصور اعترافي فيك معرفتي فالعجز عن درك الدراك إدراك

(١) راحة العقل، للكرماني - سبق الحديث عنه.

(٢) في ب الهيولى

(٣) ورد في فصوص الحكم للشيخ الأكبر ابن عربي قول مُشابه باللفظ والمعنى وهو: «والعجز عن
 درك الإدراك إدراك» انظر فصوص الحكم - مصدر سابق ج ١ ص ٦٢».

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن كنه ذات الله إشراك

وكلُّ عبدٍ تجلَّى له الحقُّ سبحانه في تجلٍّ ما، وكان هذا التجلي عند علم هذا العبد عين الله، وتحققه حيث هو^(١) عين هذا العبد، فهو لا يقول بالعجز عن الإدراك، وصفة الله عند المحققين هي التي لا تدرك وليس لها غاية بخلاف الذات فإنها تعرف بأنها ذات الله، ولكن لا يُدرك ما^(٢) لذاتها من مقتضيات الكمال، كالضوء الذي هو أكملُّ المبصرات وأظهرها، وبه تُبصر المبصرات، وكلما كان الشيء أتم، كان إدراك البصر له أتم، ونحن كبشر نرى الأمر على خلاف ذلك فإنه كلما كان النور أتم، كان إبصارنا له أضعف، لأن كماله بما هو نورٌ يبهِّر الأبصار، فيجوز الأبصار^(٣)، وكلما كنا^(٤) أقرب لمفارقة المادة كان تصورنا له أتم، وأسماؤه وصفاته مشتقات من أفعاليه. خلق فسميناه خالقاً، ورزق فسميناه رازقاً، وهكذا، وهو بذاته لا اسم له، ولا رسم، وإذا كان من اسم فهو اسمٌ تجلٍّ، وهذه التجليات تجمع بتجليين معنويٍّ وصوريٍّ، فالتجلي المعنوي هو ظهوره في أسمائه وصفاته بمقتضى القانون التنزيهي^(٥)، والصوري ظهوره في مخلوقاته على مقتضى القانون^(٦) الخلقي التشبيهي بمقتضيات التشبيه، فالأمر بين صوريٍّ ملحقٍ بالتشبيه، ومعنويٍّ ملحقٍ بالتنزيه، فإن ظهر الصوري فالمعنوي مُظهرٌ له، وإن ظهر المعنوي فالصوريُّ مظهرٌ له، وهذا كله من جهة

(١) إن رؤية الحق بذاته لا تدرك ولكن المتجلَّى له يرى من الصورة على قدره والله هو مع كل شيء بصورة ذلك الشيء سوى تقييد الشيء وتعينه. إنه مرآة الوجود وكل يرى فيها صورته «اللجنة».

(٢) في ا (ما).

(٣) يجوز الأبصار: يُعجزها عن رؤيته.

(٤) في ا (كان).

(٥) في ب التنزيه

(٦) سقطت في د،

مخلوقاته تعالى لا من جهته، فهو على ما هو عليه، لأنه كله بحكم ما يتجلى، ففي الصراط^(١): ليس فيه لا وكيف وما، فإن من قول (لا وكيف وما)، هلك الظالمون، إنك إن كنت بصيراً تقدر أن تنفي عن حقيقتك التي هي ذاتك الحيث، والليم، والمتى، والأين، وفي، ومن، وعلى، ومع، ولو، وما أشبه لأن هذه الأشياء خارجة عن ذاتك، فمثلاً: كونك في شيء ليس هو ذاتك ولا جزءاً منها، وكونك على شيء وداخلاً في شيء أو خارجاً من شيء أو مع شيء أو على شيء، أو خارجاً منك شيء أو بعيداً أو قريباً أو ظاهراً أو باطناً وما أشبه ذلك من صفات الخلق، فكل هذه وما أشبهها فهي غيرك، حتى خطابك وغيرك وتكلمك، فإذا^(٢) أنت شيء بسيط مغاير لكل ما سواك، فليس كمثلك شيء الخ... فإذا عرفت نفسك هكذا بقي عندك ظهور الله بك، فإذا نظرت ظهور الله بدون لك بك، عرفت صفة الله، وإذا عرفت صفة الله عرفت، لأن الشيء لا يُعرف إلا بصفته، وكثيراً ما وردت هذه المعاني بقوالب شائعة عند العديد من الفلاسفة كالسنجاري^(٣) والشيرازي^(٤) والغساني^(٥)، فقال السنجاري:

على كل عين من الخلق عينٌ من الحق فهي بها تبصر^(٦)
وفي نطقي كل لسان له لسان مخاطبة يُخبر

(١) الصراط - كتاب مخطوط رواية المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام، رقم ١٤٤٩ المكتبة الوطنية بباريس.

(٢) في (١) و (ب): فإن.

(٣) هو الأمير حسن بن مكزون السنجاري، شاعر مجيد من أعيان الصوفية، عاش في القرنين السادس والسابع للهجرة، ذكره الغوطي في معجم الألقاب وترجم له الزركلي في الأعلام - انظر من كنوزنا المخبأة - الأمير حسن بن مكزون. حامد حسن - مصدر سابق. وانظر معرفة الله والمكزون السنجاري، د. أسعد علي - مصدر سابق.

(٤) هو الحسن بن حمزة الشيرازي، صوفي - سبق الحديث عنه.

(٥) هو الشيخ أحمد بن جابر الغساني - سبق الحديث عنه.

(٦) البيتان للمكزون، وقد ورد البيت الأول بتغير في شطره الثاني على النحو التالي: «من الحق فهو بها يبصر» انظر: معرفة الله والمكزون السنجاري - مصدر سابق ج ٢ ص ١٠١

وعين ذاتك عينُ الله فيكَ ترى أُمُوذَجَ الأمرِ فافهمُ أيُّها اللاهِي
ونورُ عقلِكَ نورُ الله يظهرُ ما حملته عجباً من قدرةِ الله

وقال الغساني^(٢): «تجلى للجميع من الجميع وبالجميع احتجب عن الجميع»،
وقال الشيرازي أيضاً: «لو ظهر الله بكمالِ نورانيته، لأطفأ الأنوار، وأعمى
الأبصار، وأحرقَ كلَّ الكونِ ما علا وما سفل، وكان غير جائزٍ في الحكمة، ولا
ثابتٍ في العدل، وهو سرُّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نورُ أنى أراه» أي:
النورُ المجردُ لا تمكنُ رؤيته». والقولُ الفصلُ في هذين القولين: التجلي
والتنزيه، هو ما وردَ من أنَّ التنزيهَ المحددَ الذي يحصرُ الله سبحانه في جانب
التنزيه والإطلاقِ والوهمِ والتوهمِ وكأنَّه يحيله إلى عدمٍ، والتجلي
الذي يدفعُ للتجسيمِ بأنَّ يُحشَرَ الله سبحانه بمخلوقاته، وكلاهما أمرٌ عسيرٌ جدًّا
فلذلك كان الطريقُ الجدُّ^(٣) هو الوقوفُ دونَ التنزيه المحددِ والتجسيمِ المكبلِ.

التنزيه والتوسط

لقد شَرَحَ الصَّراطُ المستقيمُ بأنَّه التوسطُ في الأعمالِ والأحوالِ والأخلاقِ
والعقائدِ وغير ذلك كالتوسطِ في الأكلِ والشربِ، والتوسطُ بين الجذبِ
والسلوكِ، وبين القبضِ والبسطِ، وبين الخوفِ والرجاءِ، وبين الجريزةِ
والبلاهةِ، وبين وبين، وضموا إليها التوسطُ في العقائدِ بين التنزيهِ المحددِ
والتشبيهِ المجسمِ.

(١) هو الصوفي الشهير حسن بن حمزة الشيرازي. سبق الحديث عنه.

(٢) الغساني: هو الشيخ أحمد بن جابر. وقد سبق الحديث عنه.

(٣) الطريقُ الجدُّ: الذي لا حذب فيه ولا وعوثة. كذا في معجم متن اللغة، للشيخ أحمد رضا.

الباب الخامس

عالم الغيب

إنَّ الغريبَ الغريبَ عدمُ معرفتنا شيئاً عن عالمِ الغيبِ، على الرغمِ من شرحه مطولاً في كتبٍ دينيةٍ وفقهيةٍ كثيرةٍ، إنَّ اسمه اللغويُّ يعبرُ عنه، واقتراً ذكره دائماً بذكرِ عالمِ الشهادةِ يُعبرُ عنه أيضاً، كلاهما يعبرُ عنه إجمالاً: ثم ألا ترى القولَ عنه: «إنَّ عالمَ الغيبِ هو هذه النجومُ المتلاثلةُ والمتناثرةُ في هذا الفضاءِ الرحيبِ، وعالمُ الشهادةِ هو أرضنا هذه» ^(١) ألا ترى أنَّ هذا القولَ هو البلاءُ مجسماً، لذا كان لا بُدَّ من التكلمِ عن عالمِ الغيبِ بشيءٍ من التفصيلِ. سُئِلَ أميرُ المؤمنين عليه السلام عن عالمِ الغيبِ، فقال: «صورُ بريئةٍ من الموادِ خاليةٍ من القوى والاستعدادِ، تجلَّى اللهُ لها فأشرقَتْ، وطالَعتها بنوره فتألَّأتْ، فألقى في هويتها مثاله، وأصدرَ عنها أفعاله» ^(٢). وكلمةُ أميرِ المؤمنين هذه هي مجموعُ ما تكلمَ به كلُّ ^(٣) الإلهيين عن عالمِ الغيبِ واتصالِهِ بعالمِ الشهادةِ، وأنه العاملُ به كما يُجمَعُ الإلهيون، والشيخُ ^(٤) يقولُ عن عالمِ الغيبِ: «والخلقُ، والتكوينُ، والنشأةُ الأولى، والأخرى، والتصويرُ، والتحويلُ، والتبديلُ، والخسفُ، والرجفُ، والصواعقُ، والزلازلُ كُلُّها، وما حدثَ بعدَ كونِ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فهو بمحمدٍ فعلُهُ، وتكوينُهُ.

(١) هذا ما يقول به بعض رجال الدين الذين لا يرون العلم بالدين ولا الدين بالعلم.

(٢) عالم الغيب في هذا القول يحاكي عالم المثل أو الأفكار عند أفلاطون، الذي هو الوجود السابق على المادة، والذي يعد خارج وعي الإنسان، وهو مصدر المعارف، لأنه الخلق الروحي الدائم «اللجنة» وانظر صحيفة الأبرار مصدر سابق ج ١ ص ٢٦.

(٣) سقطت من «ب»

(٤) هو الحسين بن حمدان الخصيبي - سبق الحديث عنه، والكلام هنا مأخوذ من الرسالة (مخطوط خاص).

وقد رتَّب لأفعالها أشخاصاً من المراتب والدرج» ويقول أيضاً: فالخلق يعجزون عن كنه وصف السماوات والأرض والشمس والقمر، وتحديد الفلاسفة والمنجمين لذلك كله وهم وتخمين، ولا يعلم ذلك إلا مكوَّنه، لأن العوالم لا نهاية لعددها، فالعالم العلوي لا يوصف ولا يُحد ولا يُوقت، فلو ذهب العالم السفلي إلى وصف ما يتناهى فيه أهل المراتب العلوية ^(١) من السير في السماوات والأرض والبحار والأفلاك، لكان الذي يصفونه من سير الشمس والقمر ودوران الفلك وسير النجوم وجميع ما يصفونه من ذلك، عشر العشر من جزء من مئة ألف جزء من سير النجوم، وجميع ما يصفونه بعض شخص من أهل المراتب العلوية ^(٢) هذا ما قاله الشيخ بعالم الغيب، وهذا وصفه له وتحديدُه إياه بأنه لا يوصف ولا يُحد، وكأنه شرح لكلمة أمير المؤمنين عليه السلام بأنَّ الله سبحانه ألقى في هويته مثاله وأصدر عنها أفعاله، وكشرح لكلام الشيخ هذا تحدث العلماء الإلهيون عن اتصال عالم الغيب بعالم الشهادة، وعالم الشهادة بعالم الغيب. لأنَّ كلَّ ما في عالم الغيب له مثال في عالم الشهادة، وكل ما في عالم الشهادة له مثال في عالم الغيب، فكلُّ شيءٍ من الأشياء له حقيقةٌ وروح، وله صورةٌ وقالب، قد تعدد الصور والقوالب لحقيقة واحدة، وقد وضعت الألفاظ للحقائق والأرواح، ولوجودها في القوالب تستعمل الألفاظ، فلفظة (القلم) مثلاً وضعت لآلةِ نقشِ الصور في الألواح بدون اعتبار كون هذا القلم قصباً أو حديداً، حتى ولا أن يكون جسماً، ولا يحدُّ النقش به محسوساً أو معقولاً، ولا كون اللوح من قرطاس أو خشب أو غيرها، بل مجرد كونه منقوشاً فيه. هذه حقيقة اللوح وحدَه وروحُه، فكلُّ شيءٍ يتسطرُّ بواسطة نقشِ علمٍ في قالبٍ فأخلق به أن يكون هو القلم، قال تعالى: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ^(٣)

(١) يراد بهم درجات الملائكة ومراتبهم.

(٢) رسالة الشيخ «مخطوط خاص».

(٣) سورة العلق آية «٤».

وهكذا كل اسم من الأسماء جميعها، فالميزان مثلاً لفظة موضوعية لكل ما تُعرف به المقادير وله معنى واحد هو حقيقة هذا الميزان وروحه، وله قوالب مختلفة وصور شتى منها جسماني ومنها روحاني، فالجسماني كالذي تُوزن به الأثقال مثل ذي الكفتين والقبان وما يجري مجراهما، وما توزن به المواقيت والارتفاعات كالأسطرلاب^(١)، وما توزن به الدوائر كالفرجار^(٢)، وما توزن به الأعمدة كالشاقول^(٣) وما يوزن به بعض المدركات كالحس والخيال، والروحاني ما توزن به العلوم والأعمال، كما يوضع ليوم القيامة وما يوزن به الكل كالعقل الكامل. وبالجملية ميزان كل شيء يكون من جنسه. والميزان حقيقة تشتمل على حقائق كل منها باعتبار حده وحقيقته الموجودة، وعلى هذا القياس كل لفظة ومعناها من مختلف أنواع الألفاظ والمعاني، فكل ما في الدنيا من السماويات والأرضيات صور وظلال لما في الآخرة، وما في الآخرة حقائق لما في الدنيا، كالعناصر ومواليدها، والأفلاك وكواكبها، حقائقها في الجنة - وليس في الجنة شيء إلا وظله في هذا العالم - ولما كانت شيئية الشيء وشخصية الشخص بحقيقته لا بصورته وظله، فكل ما في الدنيا هو في الجنة معرّى من نقائص المواد وظلماتها، فعند ما يرون حقائق هذه الأشياء في الجنة يقولون ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾^(٤) فالظل لا اختصاص له بشاكلة الشخص تحدث من مقابلته شيئاً منيراً متحركاً بتحريك الشاخص^(٥) ويسكن بسكونه، والمنير الحقيقي هو الله، والفعل المعبر عنه بالمشيئة. فعالم العقول بالنسبة للمشيئة كالشاخص، وعالم المثال بالنسبة لعالم

(١) الأسطرلاب كلمة يونانية وهي اسم لآلة رصد قديمة تستعمل لقياس مواقع الكواكب وساعات

الليل والنهار، وحل شتى القضايا الفلكية، وهو أنواع: مسطح، كروي، خطي.

(٢) الفرجار: البركار: كلمة فارسية وهو آلة لعمل الخطوط الدائرية.

(٣) الشاقول: كلمة عبرانية، وهو ميزان البنائين.

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٥.

(٥) الشاخص: الشيء الذي وقف أو أوقف بحيث ارتسم له ظل.

النفوس كالشاخص، وظل كل عالم منهم هو ما دونه من العوالم، وسجود كل عالم هو تسخيره لله. ولعالم الطبع ظلان: ظل نوراني كما يحدث في وجه المرأة الصقيلة عند مقابلة الشمس، وهو المثل الصاعد. وظل ظلماني كما يحدث من وجه المرأة الكثيف، وهو المثل النازل، والملكوت السفلي، وعالم الظلمة. وقد ثبتت الحاجة على الخلق بهذا التكوين شخوصاً وظلالاً قبل لبسهم الأجسام من يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^(١)

نداء إبراهيم^(٢)

ورد عن نبي الله الخليل عليه السلام أنه^(٣) صعد أبا قبيس^(٤) فقال: أيها الناس هلموا الحج إلى بيت ربكم، فأسمع الله نداءه من في أصلاب الرجال وقرارات أرحام النساء جارياً مفعوله إلى يوم القيامة، لأن إبراهيم نادى بلسانه الملكوتي، ومن سمع بأذنه الملكوتية من تلك العوالم بتلك الأذان أجاب، ومن لم يسمع وكان أصم في تلك العوالم عن هذا النداء لم يجب هنا، وعلى هذا جاز تفسير أصلاب الرجال وأرحام النساء بالعوالم العالية، ووجودهم في الأصلاب والأرحام كناية عن وجودهم الإجمالي في عالم العقول، وفي الصراط: «...» وكذلك الرعود والبروق والأمطار والأندية والظل والحر من غير تفصيل وتمييز، والسماء والأرض والنجوم التي وقع عليها أسماء ظاهرة وباطنة لها أشخاص بشرية ونورانية، هي رتب العالم العلوي، فالعوالم في عالم

(١) سورة الأعراف آية «١٧٢».

(٢) سقط هذا العنوان من ب.

(٣) سقطت من ب.

(٤) أبو قبيس اسم جبل مشرف على مكة شرقاً، وجهه إلى جبل قعيقعان ومكة بينهما نصب عليه الحصين بن غنيم المنجنيق ورمى به الكعبة بأمر من الحجاج فاحترقت أستارها وذلك ٦٨٣م، وكان عبدالله بن الزبير متحصناً فيها.

الغيب (النور المجرد) مرتب بعضها فوق بعض، والعالى متّهِ بالدانى ومصدر له ومظهر للأعلى منه، فإذا أراد العالى إيجاد شيء فى العالم الدانى، ظهرت إرادته ومراده بصورته وتما أوصافه ولوازمه، بل بحقيقته التى هى أحق من حقيقته التى هوبها فى العالم المتوسط بين العالى وذلك الدانى، وذلك الظهور هو تنزّل العالى بالنسبة إلى ما ظهر فيه، فإذا أراد الله خلق آدم البشرى فى عالم الطبع، تظهر لا محالة تلك الإرادة وهذا المراد فى عالم الأحدىة، وهو عالم المشيئة بوجه، وعالم الأسماء والصفات بوجه، وعالم اللاهوت بوجه، وتلك الصورة بل الحقيقة الظاهرة إنسان لاهوتى، ثم فى عالم الملائكة إنسان ملائكى ثم... ثم... إلى عالم الطبع إنسان. والمقربون من الملائكة لإحاطتهم وسعة إدراكهم أدركوا صفات آدم الظاهرة والباطنة، وأنه مركب من الأضداد، موصوف بالشهوات والردائل وما إلى ذلك، وأنه وعاء الإنسانية أيضاً، وهو بكل أوصافه العديدة مناسب لموجود، ولهذا هو الخليفة بين المتضادات، فلم ينكروا استخلاف الله إياه ولكن هذا... المستخلف بقواه الطبيعية - القوى الطبيعية المادية - لا يستخرج ما من شأنه أن يكون حيواناً، أو نباتاً، أو معدناً إلى الوجود إلا بواسطة القوى المجردة المؤثرة فيها، وقد أفاض صاحب التقييم (جلال الدين بن معمار الصوفى) فى الكلام عن العوالم النورية المجردة، وشرح مفاعيلها فى عالم الطبع. (١)

(١) انظر تقويم الأسماء، مخطوط خاص.

الباب السادس

التشخيص

أفردت للتشخيص باباً في مقدمة شرح التنبيه^(١) - مع علمي أن هناك من يستهجنه، فقد وجدته أصدق تعبير عن اتصال عالم الغيب بعالم الشهادة كما فهمته من مطالعاتي لأقوال الحكماء ودرر الفلاسفة الذين رأوا أن ما غاب عنا لا نعلمه إلا بما حضر لدينا، فالحسيات مَعَابِر للعقلية، وكل ما في عالم الشهادة ظلال لما في عالم الغيب، وكل مرئي بالعين بل كل مرئي بالعين والعقل يقوم بعالم الغيب المجرد. فالتشخيص كله أثر لعالم الغيب كما هو معروف، ومفهومه اللغوي يعبر عنه تعبيراً جيداً من قولهم: «شخص الشيء: عينه وميزه عما سواه». ولم يكن دين من الأديان ولا مذهب من المذاهب الدينية إلا وتركزت دعائمه على التشخيص، إلا أن بعضهم يبرزه باللفاظ آخر غير التشخيص، فهناك من يقول: لفظ كذا إشارة إلى كذا والمراد به كذا أو رمز كذا. . . ففي كتاب الإنسان الكامل للجيلي^(٢): «الصلاة عبارة عن الطهارة الكونية، وإشراط كونها بالماء إشارة إلى أنها لا تزول إلا بظهور الصفات الإلهية، لأنها حياة الوجود، والماء سر الحياة، والتميم «التركي» بالمخالفات والمجاهدات، وفي بيان السعادة^(٣): «القلب إشارة إلى النفس الإنسانية التي هي البرزخ بين عالم

(١) شرح التنبيه مخطوط خاص بقلم العلامة «المؤلف»

(٢) صوفي مشهور اسمه عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، صاحب كتاب مراتب الوجود وحقيقة كل موجود.

(٣) بيان السعادة في مقامات العبادة، تأليف العارف الشهير الحاج سلطان محمد الجنايزي الملقب بسلطان علي شاه. طبع الكتاب لأول مرة بمجلد واحد ثم أعادت جامعة طهران طباعته في أربعة مجلدات. كانت ولادته في ٢٨ جمادى الأولى ١٢٥١ هـ. توفي ١٣٢٧ هـ غرقاً. كان من أشهر العلماء والعرفاء، وكتابه هذا من أهم التفاسير.

الملائكة والشياطين، وهي المعبر عنها بالصدر واللطفة السيارة الإنسانية وبالرتبة الروحانية من الإنسان. ولما كان عالمنا كالمرآة ذا جهتين مختلفتين: جهة نورية صرفة وهي العقل والنفس، كصفحة المرآة المنيرة بمواجهتها الشمس، وجهة ظلمية صرفة لا ينعكس عنها إلا الظلمة . . . وكانت أفعال الإنسان خليطاً بين هذا وهذا قيل: إن^(١) له كوتين أو بايين: كوة إلى العالم العلوي بها يسمع من الملائكة، وكوة إلى العالم السفلي يسمع بها من الشيطان. والإفاضة جميعها من الرحمة الرحمانية خير محض لا شر به، وقد يحيله الاستعداد الشرير إلى شر ويبقى مع الاستعداد الخير خيراً قليلاً أو كثيراً حسب الاستعداد، فإن القابلية والاستعداد، كالشمس تبيض ثوب القصار^(٢) وتسود وجهه، وتطيب ريح الورد وتنتن الأشياء التنة^(٣). ولهذا شخص بعض أعضاء البدن وغيره بشخصين متباينين لأن الفعل يلحق بمصدره الخارجي وفقاً لظلي المرآة النوري والظلمي، وإن كان مصدرها من الداخل، فالداخل لا يعرف إلا بتشخيصه خارجاً. وفي شرح الزيارة^(٤). « . . . وكذلك الصلاة والزكاة وغيرهما، فكل شيء مما أمر الله به أو نذب إليه، فهو صورة من صور الولاية الظاهرة والباطنة، ومجموع باطن هذه الصور صورة الإنسان الكامل، وباطن باطنها صورة الصور. وصور عكوساتها من صور المعاصي هي صور أعدائهم، فامثال أوامره سبحانه واجتناب نواهيه كلها ظاهرها وباطنها، علميها وعمليها اعتقاداً وقولاً، هو صورة الولاية الكلية». وهكذا يتبين أن النفس الإنسانية مثلاً إن كانت مظهراً للشيطان تعرف بواسطة أعمالها الظاهرة من أعضاء بدنها، إذ تشخص هي وأعضاؤها بأشخاص شيطانية مذمومة، وإن كانت مظهراً للرحمن تعرف بواسطة

(١) في ب إنه

(٢) في ب القصاب - إن المثل المضروب بالشمس وتأثيرها مثال غاية في الدقة والوضوح.

(٣) انظر بيان السعادة - مصدر سابق - مجلد ١ ص ٥٤ - ٥٥.

(٤) سبق الحديث عنه.

أعمالها الظاهرة من أعضاء بدنها، فتشخص هي وبدنها بأشخاص رحمانية، والأكل الذي هو غذاء الأكل: حسي ومعنوي، بل إن لكلٍ من هذين النوعين أنواعاً، وكل نوعٍ له جهتان، تشخص كل واحدة بجهتها، فالأكل الحسي إن أتى عن طريقٍ غير مشروعة فهو حرام ويشخص من الجهة الشيطانية، وإن اكتسب عن طريقٍ مشروعة شخص بجهتها. والغذاء المعنوي للنفس هو أنواع العلوم، وما كان منها من الجهة الشيطانية كان مظهراً للقوى الشيطانية ومشخصاً بها، وما كان من الجهة الرحمانية كان مظهراً للقوى الرحمانية ومشخصاً بها، وبكلٍ مما ذكرنا وما لم نذكره، يتبين أن هناك أشياء لها رتبة التوسط، فلا هي إلى الشيطان ولا هي إلى الرحمن، إنها مهمة لا محمودة ولا مذمومة، فالذي قلناه مثلاً عن العلم بين واضح، وهو أن ما كان منه قائداً إلى الخير أو صادراً عنه، فهو خير، وما كان منه صادراً عن الشر فهو شر، وما كان بين هذين هو المهمل من جهة التشخيص لا يقع عليه حمد ولا ذم، ومن هذا القبيل كانت الجبال أوتاداً وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم^(١) وأنت تعلم أن الجبال وإن لم تكن أسباب تماسك الكرة الأرضية، لكنها تمنع الزلزلة بأسباب سماوية وأرضية، ولولا الجبال لسرت تلك الزلزلة مسافات، والكون كل مفاعيله مظاهر لأسماء الله كما تقدم، وإن أسماء الله العظام (الأئمة) هم الجبال الذين يحفظون كل أرض معنوية أو مادية من الزلازل، وأنت تعلم أن كل رتبة من رتب عالم الغيب أرض لما فوقها سماء لما دونها، فيجب أن يكون لكل أرض جبال، فالأرض المعنوية جبالها القوى التي تحفظها من الزلازل، والعقول الكلية بوجه جبال هذه الأرض وهكذا جميع الأرضين، وفي عالم الشهادة جبال كل أرض مؤمنوها^(٢) الذين تقوم دعوة الله بهم، وخلفاء الله جبال هذه الجبال، والكل

(١) سورة الأنبياء آية ٣١.

(٢) ورد في كتاب من لا يحضره الفقيه ما يشبه هذا المعنى: سئل الصادق عليه السلام عن قول الله =

امتداد جبال العزة الإلهية. هذا نموذج مما كتبه الإلهيون عن التشخيص، وهو نموذج رائع، من أضافه إلى معلوماته أضاف إليها كنزاً خطيراً، ولا أحسب أن أحداً تكلم عن التشخيص أو قال عن اتصال عالم الغيب بعالم الشهادة مثلاً فعل خلاصة العالم البشري «جلال الدين بن معمار الصوفي» ومن كتبوا في هذا الباب العالم الكبير العماد الغساني^(١) قال: «إن ما استفادته النفس الإنسانية من علتها (النفس الكلية) بما أفاضت عليها، حصل معها بالفعل بعد أن كان بالقوة فتدبرته بالفكر وحفظته، وانطبع بالخيال انطباع الشيء المحسوس في المرأة فيكون الخيال حينئذٍ واسطة بين الروحاني وهو العقل والنفس، وبين الجسماني وهو القلب، فصار القلب أول الجسمانيات كالغاية التي هي أول الروحانيات، وكان اللسان كالعقل الأول المؤدي عن الغاية الأولى ما يتلقاه، والكلام كالنفس الكلية تمد معلولاتها النفوس الجزئية» كما قال القدوة^(٢) في رسالته: «القلب كالمعنى، واللسان كالاسم، والكلام كالباب، لأن الكلام هو المؤدي عن اللسان معنى حركته، كما كان العقل مخترعاً من الذات، والنفس حادثة عن العقل حدوث الكلام عن اللسان^(٣)» إلى أن يقول: «فمعرفة الحقيقة ضربان: النفوس الصافية تدرك الحقائق بصفائها قبل أن تكون محسوسة بالألفاظ والأمثال، لكن أرباب النفوس الناقصة لا تعرف ذلك حتى يحجروا بالألفاظ ثم ينقل^(٤) ذلك

= عز وجل: ﴿ألم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ الآية، سورة الرعد آية «٤١». فقال «فقد العلماء» انظر كتاب من لا يحضره الفقيه - تأليف: ابن بابويه القمي أبو جعفر بن محمد بن علي الشيخ الصدوق، تحقيق حسن الموسوي دار التعارف بيروت ١٩٨١ م.

(١) سبق الحديث عنه.

(٢) يراد به الحسين بن حمدان الخصيبي وقد سبق الحديث عنه ورسالته (مخطوط خاص)

(٣) المعنى والاسم والباب مصطلحات صوفية وتعني مراتب علمية أو قل مراتب وجودية وهي الأحد والواحد والوحدانية، وهي هنا ممثلة بالقلب واللسان والكلام، وعند الفلاسفة الذات الإلهية والعقل الأول والنفس الكلية، فالذات هي الغيب المطلق أو المسكوت عنه، والعقل الأول هو الحقيقة المحمدية، وهو التنزل الأول من تنزلات الوجود، والنفس الكلية هي التنزل الثاني من مراتب الوجود. «اللجنة».

(٤) في ١ ينتقل.

المحسوس إلى الخيال ثم إلى الذهن على قدر قواهم، فيكون آخر درجة كل فريق أول درجة الفريق الذي يليه». وقال جلال الدين: «ألا ترى إلى المعاني كيف لا تصل إلى الأذهان حتى تبرزها الألفاظ في صورة متعينة يقال لها صورة الحال وصورة القضية وصورة المطلوب، فإذا شخص الحال والقضية والمطلوب في نفس السامع، ورأى الناظر ما أراده المخاطب فهناك يحكم عليه بنفي أو إثبات^(١)». هذا الكلام جامع حقائق الجميع من مثل أفلاطون^(٢) إلى عكوس الشيرازي^(٣) إلى بيان السعادة^(٤) إلى ظلال القرآن المجيد^(٥)، ولما كان عالمنا عالم الطبع واقعاً بين الملكوت العلوي^(٦) وبين الملكوت السفلي، وكان لأهل هذين العالمين: - عالم النور المجرد سكان الملكوت العلوي (عالم الغيب)، ولأهل عالم الجنة والشياطين سكان الملكوت السفلي - تصرف بعالم الطبع بأنفسهم أو بأسباب من قبل النفوس البشرية إذا تجردت^(٧) من علائقها، وصفت من كدوراتها بالرياضات الشرعية أو غير الشرعية، وناسبت المجردات النورية العلوية، أو المجردات السفلية الظلمية، تؤثر بالأسباب أو بغير الأسباب في أهل هذين العالمين بتسخيرها إياهم، وجذبها لهم إلى عالمها، وتوجيهها في مراداتها شرعية كانت أو غير شرعية فلذا كثيراً ما ترى من الأشياء ما يشخص بمحمود ومذموم معاً وخصوصاً أعضاء البدن كالعين واليد وما أشبه، فلا تختص الواحدة

(١) تقويم الأسماء (مخطوط خاص)

(٢) أفلاطون هو الفيلسوف اليوناني الشهير ومثله تجدها مفصلة في كتابه الجمهورية. ولد عام ٤٢٧ ق.م.

وتوفي ٣٤٧ ق.م. وهو مؤسس الماثلية الموضوعية وكان أبرز تلامذة سقراط، وقد لعبت

تعاليم أفلاطون دوراً هاماً في التطور اللاحق للفلسفة الماثلية «اللجنة»

(٣) الشيرازي: سبق الحديث عنه.

(٤) بيان السعادة: سبق الحديث عنه.

(٥) في ظلال القرآن المجيد - تأليف سيد قطب.

(٦) في ا و ب العليا.

(٧) سقطت من ب.

بالعضو المخصوص لذوي الحياة الحيوانية بل اسم لمعنى، له مفاهيم كثيرة مرتبة بعضها فوق بعض، وهذه المفاهيم، معنى ما به التصرف بالحركة على اختلافها ومعنى ما به القدرة على الإنفاق^(١) والإمساك، فهي في الحيوان آلة مخصوصة، وفي الإنسان الطبيعي «الملكي» آلة أخرى، وفي الإنسان الملكوتي غير ما للإنسان الملكي، وفي الإنسان الجبروتي أمر معقول مجرد عن المادة ولوازم المادة وعن التقدر والتشكل. والله سبحانه أحدي الذات لا كثرة فيه بوجه من الوجوه، وذاته^(٢) وجود صرف محيط بكل الكثرات، بحيث لا يشذ عن وجوده شيء منها، فهو - وإن تعددت صفاته - ليس بذى كثرة، وتعددتها من تعدد مفاعيله، ومفاعيله صادرة بواسطة فعله الأول الذي هو غير فاعل لذاته بذاته، فيكون واجباً كباريه ولا مفعولاً فيكون كسواه من المكونات، والله سبحانه بواجب وجوده يستدل على عدم تكثره، وعدم تحدده وتثبت إحاطته الكلية: ﴿وكان الله بكل شيء محيطاً^(٣)﴾ وكاد يجمع الجميع^(٤) على أن هذه الأسماء كالعين واليد والسمع والبصر، من أسماء الأعضاء المنسوبة لله بالقرآن المجيد والحديث الشريف، ليست ظاهرة في مقام^(٥) الأحدية، بل ظاهرة في المقام المعروف بنفس الرحمن، فمقام الرحمن باعتبار الفعل والمفاعيل يد الله، وباعتبار نسبتها إلى الخلق وجه الله، ووجه الخلق إلى الله، وباعتبار إضافتها^(٦) إلى الماهيات والأعيان الثابتة^(٧) تظهر فيها الأسماء المتقابلة مثل اللطيف والقاهر وما أشبهه،

(١) في ١ الاتفاق.

(٢) في ب وذات.

(٣) سورة النساء آية ١٢٦.

(٤) المراد العلماء الإلهيون.

(٥) في ا وب المقام.

(٦) في ا وب انضافها وهي فصيحة لكن اللجنة أثرت المؤلف.

(٧) الأعيان الثابتة هي أول تنزل من تنزلات الحق من مرتبة بطونه، إنها الفيض الأقدس أو هي العالم المعقول في مقابل العالم المحسوس - المعجم الصوفي - مصدر سابق ص ٨٣٢.

فأساؤه اللطفية والقهرية لأنها الفاعلة في سائر المفاعيل، يداه وكلتا يديه يمين ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾^(١) ولم يرد في كلام الله سبحانه شئ الله أبداً، وإلا فقد كان مناسباً عندما قال: «والسماوات مطويات بيمينه» أن يقول والأرض مقبوضة بشماله. يقول المكزون في تزكيته^(٢)، «إنما دلت الأعضاء المحسوسة على رتب غير محسوسة بالحقيقة، لارتفاع الجسمانية عنها من قبيل الرتب غير المحسوسة قبل حكاية ذوي الإحساس لنواظرهم بصفات ذواتها، وذلك في مقامات التجلي. واعلم أن لكل رتبة من العالم النوراني حكم ذلك العضو الذي دل عليه في البدن، ومن هنا نعلم تباين التشخيص، وأن المراد به معرفة ما غاب عنا بما حضر لدينا، وأن الفرق بين الشخص والمشخص به، هو الفرق بين المحسوس والمعقول، وقد يختلف الكلام عن الشخص الواحد، ويتعدد التشخيص به من كتاب^(٣) لآخر أو من جملة لأخرى، ولتكون على مثل اليقين من هذا الذي تراه فتظنه اختلافاً وتبايناً مع أنه هو الحق الذي لا مرية فيه، لأن التشخيص يختلف ويتعدد بحسب ما للشخص من مفاعيل.

السحر والقدرة

ومن الغريب أن التأثير الإلهي الذي يتجلى في العالم المحسوس بواسطة الأنبياء أو غيرهم من النورانيين، يسمى قدرة، وإذا كان هذا التأثير من الأرواح الخبيثة يسمى سحراً، وقد ورد عن أهل العصمة وعن تابعي أهل العصمة من

(١) سورة الزمر آية «٦٧»

(٢) اسمها تزكية النفس ألفها المكزون السنجاري عام ٦٢٧هـ وموضوعها في التصوف والعبادات، ومن أراد الإطلاع عليها فليرجع إلى كتاب معرفة الله والمكزون السنجاري - دار الرائد العربي - بيروت ١٣٩٢هـ - لمؤلفه الدكتور أسعد أحمد علي - والعبارة المذكورة لم ترد في الأثر المطبوع ولعل العلامة قد نقلها من مخطوط غير الذي اعتمده الدكتور أسعد في تحقيقه.

(٣) في الشخص.

العلماء: «إنَّ القدرة لله سبحانه أنى كانت^(١)، لأنها لا تكون إلا بأمر من صاحب الأمر، فكيف يسمى هذا التأثير هنا قدرة وهنا سحراً؟ ذلك^(٢) لأن القدرة ذاتية وجوهرية وليست عرضية، وحيث كانت تنتهي فهي قدرة الله كالحرارة أينما^(٣) كانت فهي من النار، فما ظهر منها على يد الجواهر الخبيثة من مفاعيل بصورة القدرة (كما قيل) فهو سحر لأنه ليس هو مُظهر هذه القدرة أصلاً، وقد أطلق السحر على كل شيء أخاذ، وعلى كل كلامٍ دقيق، وترى في كتب الدين - وما أحسنه - أن كل ما أضيف لله سبحانه مثل الحمد لله والشكر لله ومثل يد الله وما أشبه كله الاسم العظيم^(٤) ولكن لا تحسب أن الموحدين^(٥) أرادوا بأن الله سبحانه صفات زائدة على ذاته كما عند غيرهم^(٦) ولكنهم عنوا بهذا كما أخذوا عن المعصوم أن الله منزّه عن الأسماء والصفات، وأسماءه وصفاته قائمة بذاتها دالة على ذاته. وفي كتاب صحيفة الأبرار^(٧) من كتاب للمفضل بن عمر كتبه للإمام جعفر عليه السلام يسأله عن قوم يزعمون أن كل ما ظهر للناس من أمور الشرع ظاهراً لا يعبأ به، له باطن من عرفه سقط ظاهره، حتى أنهم يترادفون المرأة الواحدة، ويأتون الأمهات والبنات والعماة زاعمين أن لها أشخاصاً من عرفها حل له ذلك، ولما كان الجواب طويلاً نستخلص مجمل ما

(١) هذا القول شائع جداً عند السادة الصوفيين، وهم يرون أنها تفسير لقوله تعالى: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» سورة الأنفال آية ١٧. فالفاعل الحقيقي إذاً هو الله لا غيره، وكل قوة أو قدرة فهي له سبحانه.

(٢) في الفهل.

(٣) في ب أين.

(٤) يقصد به الحقيقة المحمدية

(٥) يراد بهم هنا من نهلوا علومهم من مدرسة الحسين بن حمدان الخصيبي.

(٦) الأشاعرة مثلاً.

(٧) اسمه كتاب صحيفة الأبرار في مناقب المعصومين الأطهار عليهم صلوات الله الملك الجبار. للعالم العلامة المولى المعظم الميرزا محمد تقي ابن العلامة الميرزا محمد التبريزي المقاني الملقب بـ (حجة الإسلام)

جاء به - وندعو للرجوع للكتاب المذكور - جاء في الكتاب: «إن من كانوا يدينون بالصفة التي سألتني عنها هم عندي مشركون بالله سمعوا ما لم يعقلوه، ولو كان الأمر على ما زعموا لعذر الجاهل المتعدي حدود الله ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون»^(١). بعث الله أنبياءه بالإسلام فأفضل الدين معرفة الرسل، والله تحليل وتحريم. فالمحلل ما أحلوه والمحرم ما حرموه، وهم أصل المحلل ومنهم الفروع التي أمروا بها شيعتهم، وهي الحدود الخمس وتعظيم حرمت الله والبيت الحرام، فعُدُّوهم المحرم، وأولياء^(٢) أعدائهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والخمر والميسر والزنا والربا والدم ولحم الخنزير... ومنهم فروع الشر. وأخبرك لو قلت: إن الفاحشة والخمر والميسر والزنا والميتة والدم ولحم الخنزير هو رجل وقد حرَّم الله هذا الأصل وحرَّم فرعه ونهى عنه وجعل ولايته كمن عبد وثناً، ومن دعا إلى نفسه كفرعون لصدقت، فهذا كله على وجه رجل، وإن الدين وأصل الدين رجل، من عرفه عرف الله ومن جهله جهل الله. فأهل المعرفة بالظاهر هم الذين عرفوا أمرنا بالحق على غير علم لا يلحق بأهل المعرفة في الباطن - على بصيرتهم - ولا يصلون بتلك المعرفة المقصرة إلى حق معرفة الله، إلى أن قال بعد كلام طويل: وأخبرك إني لو قلت: «إن الصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والطهور والاغتسال من الجنابة وكل فريضة ذلك هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاء به لصدقت لأنه يعرف بالنبي، ولولاه ولولا معرفته والإيمان به ما عرف شيء من ذلك فهو النبي وأصله وفرعه، وهو الذي دعاني إليه ودلني عليه فلا يسعني جهله، أحب الله أن يعرف بالرجال وأن يطاع بطاعتهم، فجعلهم سبيله ووجهه. ومن قال لك أن هذه الفريضة كلها إنما هي رجل وهو يعرف حد ما تكلم عنه فقد صدق، ولا يغني التمسك بالأصل بترك

(١) سورة البقرة آية ٢٢٩.

(٢) في ب وأوليائه.

الفروع، كما لا تغني شهادة أن لا إله إلا الله بترك شهادة أن محمداً رسول الله، فباطن كل هذه الفروع هو ولاية أهل الباطن، والظاهر منه فروعهم. . وإنما يقبل الله من العباد العمل بالفرائض على حدودها مع معرفة من جاءهم من عنده ودعاهم إليه، فمن عرف أطاع ومن أطاع حرّم الحرام ظاهره وباطنه، فإنما حرّم الظاهر بالباطن والباطن بالظاهر معاً جميعاً، وأما استحلال نكاح ذوات الأرحام وقد حرّمهن الله بالكتاب، فهو استحلال ما حرّم الله، ومن أحل ما حرّم الله فقد أشرك، وأما مرادفتهم المرأة الواحدة فهو محاربة الله سبحانه^(١) .

(١) صحيفة الأبرار. تأليف الميرزا محمد تقي التبريزي الملقب حجة الإسلام - دار الصراط الطبعة ٤ سنة ١٩٨٦ المجلد الأول ص من (٢٩٠ إلى ٢٩٤) وقد نقل العلامة ما ورد في هذا الباب من الكتاب السابق بتصرف.

الباب السابع

أسرار الرحم

كتبنا وأكثرنا عن أسرار الرحم وأفردنا له كتاباً خاصاً سميناه (الأرحام الثلاثة)^(١) ونظراً لفوائده الجمة ووجوب معرفة ما فيه ولصلة موضوعه بالتكوين، ولأن أصل أي ولادة كانت تسمى آدم، رأينا أن نصدر هذا الباب بمعرفة أولئك الأوامد.

الأوامد

إنَّ الأوامد كثر جداً، ويمكن جمعها بأربعة هي: آدم ملكي وآدم ملكوتي وآدم جبوتي وآدم لاهوتي، وذلك لأن عالم الطبع وهو عالم الكثرة له صورة ومثال بنحو الكثرة والتفصيل بعالم المثل^(٢) وله حقيقة في عالم العقول الطولية بنحو أبسط مما في هذا العالم، ويعبر عما في ذلك العالم بالذر^(٣) وكل عالم فوق عالم الطبع من سائر العوالم كله علم وشعور وسمع وبصر، وكل من المراتب النازلة بالنسبة لما فوقه رقائق وذرات وظهور له بنحو الكثرة والتفصيل، لكنه في عين التفصيل أخفى منه وأضعف، والعالي في عين إجماله أتم وأشد وأظهر وأحقُّ بالاسم المطلق عليه، فأدَمُ اللاهوتي الذي يعبرُ عنه بالحقيقة المحمدية، والحقُّ المخلوقُ به، والإضافة الإشراقية، أحقُّ باسمِ آدمَ من آدمِ الجبوتي

(١) كتاب الأرحام الثلاثة هو كتاب للعلامة الشيخ أحمد محمد حيدر وهو مخطوط خاص.

(٢) عالم المثل: يمثل وجود الإنسان قبل تجسده في الجسد الفاني، ومعلوماتنا عن هذا العالم تدور في فلك التخمين والاحتمال، وأول من قال بعالم المثل سقراط وتلميذه أفلاطون. «اللجنة».

(٣) عالم الذر: يراد به النشأة الأولى عندما أخذ الله العهد على النطف في أصلاب الرجال. «اللجنة».

وهكذا إلى آدم الطبع^(١) وبنو كل آدم هم المنسوبون إليه بلا واسطة، فكل رتبة هي آدم من دونها إلى العالم الصغير (الإنسان)، وبنو المدارك والقوى البشرية، والإنسان قبل أن تُعرض عليه الولاية ومعانيها حاله حال النطفة في صلب الرجل، وبعد عرضها عليه حال النطفة المستقرة في الرحم، ولا تدخل عليه الشقاوة إلا بعد رفضها، ولا السعادة إلا بعد قبولها.

الولادة أو النسبة الجسمانية والنسبة الروحانية

الولادة الجسمية عبارة عن انفصال مادة الولد عن الوالد. والولادة الروحانية عبارة عن تنزل صورة الوالد وظهورها بصورة الولد وتقيدتها بالمرتبة النازلة، فمرتبتها من العلم كالشمس المنعكسة عن المرايا^(٢) المتعددة ولا تخل كثرتها في وحدة الشمس، ومن هنا يفهم اهتمام القرآن والحديث الشريف بأمر الوالدين بحيث تجعلا قريباً للتوحيد، وكيف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أولى بالمؤمنين من أنفسهم»^(٣) وكيف أنه هو وأمير المؤمنين «أبوا هذه الأمة»، ولعن الله عاق والديه^(٤) فبالقاء العقل الكلي نقوش^(٥) العالم على النفس الكلية يوجد عالم الطبع، ويزدواج العقل الكلي والنفس يؤلد بنو آدم وذريتهم،

(١) سقطت من ب.

(٢) في نسخة ب المرايا والمرايا جمع المرأة، والعوام يقولون في جمعها مرايا وهو خطأ والله أعلم... انظر لسان العرب مادة مرأ. وفي المنجد جمع مرأة مرأء ومرايا.

(٣) سورة الأحزاب آية ٦٦.

انظر كتاب المراجعات بقلم ساحة الإمام آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي - الطبعة الرابعة - دار إحياء العلوم ١٩٥٨م المراجعة ٣٨ ص ١٥٤.

(٤) جاء في كتاب صحيفة الأبرار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: «أنا وأنت أبوا هذه الأمة فلعن الله من عقاء» انظر صحيفة الأبرار - المجلد الأول - مصدر سابق ص ٩٥.

(٥) النقوش: ما يُنقش على الشيء من صور وألوان، ويقال لصاحب هذه الحرفة: النقاش.

وبازدواج النفس والشيطان يُولدُ بنو الجان، وكما أسَّسَ اللهُ سبحانه لصحة النسبة الجسمانية في كل ملةٍ وشريعةٍ ما تبتنى^(١) عليه، كذلك أسَّسَ للنسبة الروحانية أساساً ترتكزُ عليه. ومن لم تكن نسبته مبنيةً على ما أسَّسه اللهُ كان زفٍ في النسبتين الروحانية والجسمانية، وكما أنَّ مدخولَ النسب الجسماني ملعونٌ، فمدخولُ النسب الروحاني ملعونٌ أيضاً، ونسبة مدخوله إلى مدخولِ النسب كنسبة الروح إلى الجسد.

النفطة

ورد في شرح الزيارة كلامٌ يحتاج إلى تبصرةٍ وتوعيةٍ، ووردَ بغير هذا الكتاب أشباهه. جاء عن الإمام جعفر عليه السلام أنه قال: «إن السلالة هي النفطة، والنفطة مؤلفة من نفطةٍ معنويةٍ ملكوتيةٍ، ونفطةٍ هيولانيةٍ جسمانيةٍ. أما النفطة المعنوية الملكوتية فإنها تنزل قطرةً من شجرة المزن، وهي قطرةٌ من دُرَّة الوجود لحظها اللهُ بعين إرادته فذابت ماءً، يعني معنى تنزل من معاني العقل إلى رقيقةٍ من رقائق الروح، ثم إلى صورةٍ من صورِ اللوح المكتوبة فيه، ثم أذابها حتى مزجها بذرةٍ من ذرات الهباء الجوهري، ثم حملها الملك وأجراها في قوسِ الأفلاك، وسلَّمها إلى الرياح، وتقبلها من السلاح^(٢) كل دلاح، وألقته في الأقطار، ثم سرت في البقول والثمار، وجرت في الطعام وخالطت غذاء الأنام، ثم نزلت نفطةً من منيٍ يمني، فصار ما فيها بالقوة من المادة بالفعل، وما فيها بالفعل من الحياة والإحساس بالقوة، فإذا كرت عليها الملائكة الأربع بالرياح الأربع تنقلت من طورِ النفطة إلى العلقة، ومنها إلى المضغة، ومنها إلى العظام ثم تكسى لحماً. فإذا تمت خلقته كان ما فيه بالقوة من الحياة والشعور

(١) في (أوب) تبتني.

(٢) السلاح السحاب المرتفع، والدلاح السحاب المنخفض، وهما رمزان لرتبتين في سلم التكوين.

بالفعل»، فهذا الكلام أراه من الرموز التي تدل على معاني التكوين بالتسلسل رتبة عن رتبة. فالرتبة الثانية توجد مع الأولى بالقوة، وتوجد عنها الثانية بالفعل. وهكذا فكل الأشياء كانت مع الجوهر الأول بالقوة، ثم أفاضها دفعات على النفس الكلية (اللوح المحفوظ) بالفعل، وهذا الفعل كان مع النفس الكلية بالقوة، وأفاضه بالفعل بإيجاد الرتبة التي تليه، وهكذا تسلسل التكوين بالقوة وبالفعل، وهو شبيه ما ورد من أن الروح يرجوعها إلى صفائها تصعد سماء سماء، كما نزلت سماء سماء قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نَّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مَّخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ، لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ، وَنَقْرَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلاً، ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ. وَمِنْكُمْ مَّن يَمُوتُ، وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً، وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِّن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(١) وواضح أن الله سبحانه شرح بهذا الانسجام المذهل القصير المدى، حكاية استيلاء الإنسان على طولها وما بها من العجائب والغرائب والمذهلات، بحكمة حكيم مبدع، ثم شفعها سبحانه بما يشبهها بالاستيلاء الطبيعي من المطر والأرض، ومن الزوجين الذكر والأنثى. وما أجمل وما أغرب هذا الاهتزاز^(٢) للتزاوج استعداداً للحمل، وهذا الربو هو التزايد في الحمل، ما أحلى هذا في كل ذكر وأنثى من جميع الأنواع من كل زوج بهيج.

الأرحام الثلاثة

الأرحام كثيرة لا يعلم عددها إلا الله، لأن لكل استيلاء من كل محسوسٍ ومعقول حتى الصدق والكذب، ولكننا نتكلم في هذا المقام عن

(١) سورة الحج آية (٥).

(٢) في ب الامتزاز.

الأرحام الثلاثة: الرحم الروحانية الإلهية، والرحم الروحانية الشيطانية، والرحم الطبيعية الإنسانية، وكل من هذه الأرحام ولود.

الرحم الروحانية الإلهية

هي روحانية نورية صرفة كان بها تكوين العالم الإلهي «الملائكة» تلد ملائكة روحانيين مجردين لا أجسام ولا هيئات ولكن لا على طريق التناسل الجنسي والتجاذب الطبيعي - ولا بدء من تجاذب - بل كما تتولد الحكمة من الحكيم والعلم من العالم والتقوى من التقي وهكذا... ولما^(١) كان أمير المؤمنين آدم الأول، ولما كان هو ورسول الله أبوي هذه الأمة ولعن الله عاق والديه - ولما كان: (المؤمنون إخوة لأب وأم، أبوهم النور وأمهم الرحمة)^(٢) كما في كل كتب الإلهيين، عرفنا متيقنين أن كيان العالم الإلهي كان فيضاً عن فيض إلى الذات الإلهية، عللاً ومعلولات وآثاراً ومؤثرات وأصولاً وفروعاً وأسباباً ومسببات قال تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾^(٣) وقال: ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾^(٤) وقوله: ﴿إنه ليس من أهلك﴾^(٥) (سلمان منا أهل البيت)^(٦) هذا مجمل التكلم عن الولادات الروحانية، ومنه ما يكون بين الشيخ ومريديه.

(١) في أوكما.

(٢) جاء في كتاب صحيفة الأبرار: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، أبوه النور وأمه الرحمة» انظر صحيفة الأبرار - المجلد الأول - مصدر سابق ص ١٠٦.

وورد هذا الحديث في كثير من الكتب المخطوطة، ومنها كتاب (الطالقان)، رواية أبي الطاهر سابور.

(٣) سورة النساء آية «١».

(٤) سورة التحريم آية «١٢».

(٥) سورة هود آية «٤٦».

(٦) حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورد في كتب كثيرة، انظر مثلاً: الاحتجاج، مؤلفه أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مؤسسة الأعلمي بيروت ط ١٩٨٣م ج ١ هامش ص ١١٠

الرحم الروحانية الإبلسية

الرحم الإبلسية ولود أيضاً، تلد شياطينَ وجناً وعفاريتَ، لا على سبيلِ المناكحة والمناسلة، بل كما تتولدُ الشقاوةُ من الشقيِّ والجهلُ من الجاهلِ والشرُّ من الشريرِ.

الرحمُ الطبعيةُ الإنسانيةُ

الرحمُ المركبةُ الجسميةُ تلدُ عن طريق اجتماعِ ذكرٍ وأنثى من كلِّ نوعٍ من كلِّ ذي روح ﴿سبحان الذي خلق الأزواجَ كلها﴾^(١) ولكنَّ الولادةَ الإنسانيةَ هذه منها ما يكون على مستسنِ الشرعِ الشريف، محتفظاً بالولاية معاً، فيكون الزواجُ شرعياً والولادةُ شرعيةً، وإلا كانت بمثابة زنى، ويتضحُ هذا لمن يتمعنُ بما أنزلَ من الوحي - بعد بيعَةِ الغدير -^(٢): ﴿اليومَ أُحلُّ لكم الطيبات﴾^(٣) وتكون مثلاً للرحمِ الروحانيةِ، وبعد هذا كان تشخيصُها من جهةٍ ما وردَ من الظلالِ والصور، وأن المحسوسَ طريقُ المعقول، وبتشخيص أعضاء البدنِ نحصل على مثالِ هذه المعاني بطريقة مريحة سَهلة، وتعرف تماماً من تنزلات الوجود^(٤) بالتكوين، ومن معرفة الظلال النورية وهم العالم النوراني المطلق ﴿يتفياً ظلاله عن اليمينِ والشمال﴾^(٥) والظلالُ الظلمانيةُ المذكورةُ بقوله سبحانه:

(١) سورة يس آية «٣٦».

(٢) الغدير: هو غدير خم، وهو ماء قريب من الجحفة على الطريق بين مكة والمدينة حيث مسكن بني خزاعة وكنانة، وفي هذا الموقع وفي الثامن عشر من ذي الحجة عام أحدٍ عشر للهجرة وأثناء العودة من حجة الوداع قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمبايعة علي كوصي له من بعده. «اللجنة».

(٣) سورة المائدة آية «٥».

(٤) أي سلسلة التكوين بدءاً من الحقيقة الحمّدية إلى العالم المشاهد المحسوس مروراً بالمعقول والنفوس على اختلاف درجاتها، أو قل مروراً بالعالم العلوي (الملائكة) على اختلاف مراتبهم.

(٥) سورة النحل آية «٤٨».

﴿انطلقوا إلى ظلٍ ذي ثلاثِ شعبٍ لا ظليلٌ ولا يغني من اللهب﴾^(١) وبهذا يكون التشخيصُ من العقلِ مواكباً لكل معقولٍ. وإن لم تكن الولادةُ الإنسانية على مستسنِ الشرع الشريف، أو كانت ولم تكن على طريق الولاية، كانت غير شرعية، وكانت ظلاً وصورةً للرحمِ الشيطانية وسبيلاً لاستيلاذها...

التذكير والتأنيث

ولعلك علمتَ مما تقدم أن بكلِّ شيء أنوثة وذكرورة حتى بالعقول والنفوس وبكل محسوسٍ ومعقولٍ وحَيٍّ ومواتٍ، قال سبحانه: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾^(٢) لتلقيحِ منوع الأشجار، ومنوعِ النبات، تنقلُ غبارَ الطلعِ من ذوي أعضاء التذكير إلى ذوات الأعضاء المؤنثة فيحدثُ الثمرُ بأنواعه، كما اكتشفَ علماء النبات، وتعلم أن أسماء العالم الكبير مطابقة تماماً لأسماء جميع الكوائن المحسوسة، مما يعيننا على شرح كلمات الحكماء: «الحسياتُ معابرٌ للعقلية»^(٣) «ما غاب عنا لا نعلمه إلا بما حضر لدينا»^(٤) فهذا نقدر أن نأخذ الرياح من جهتها المطلقة والمقيدة فنقول: رياحُ الولاية، رياحُ التكوين، وما أسببه. وأن نأخذ كلمة التلقيح من كلا جهتيه فنجد أن معناه الاستيلاذ من كلِّ نوعٍ من الأنواع، وليس التذكير والتأنيث الجسمي إلا مثلاً واضحاً للتذكير والتأنيث العمومي، ورب مذكر جسمياً وهو مؤنث عقلاً، وهذا على غرار ما علمت من منوع معاني النطفة، - كما مرّ - وتدرجها في كل شيء من صورةٍ إلى

(١) سورة المرسلات آية «٣٠ - ٣١».

(٢) سورة الحجر آية «٢٢».

(٣) الحسيات معابر للعقلية تعني: إننا لا ندرك ما غاب عنا إلا بما هو حاضر ومشاهد لدينا.

(٤) ينطبق هذا القول وآراء أفلاطون الذي كان يرى أن الأشياء الحسية نسبية وزائلة ولكنها سبيل إلى فهم عالم المثل الغائب عنا «المحتجب الذي تذكره النفس الخالدة من عالم الذرة قبل هبوطها من عالم الملائكة».

صورة حتى ينشئه الله خلقاً آخر ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾^(١) وليس شيء من هذه الأرحام واستيلادها إلا وهو غريبٌ على علمنا، لأننا لم نعتد على تحديد الألفاظ بمعانيها ولا على درس الأمور من وجوهها، بل الذي اعتدناه المظهرُ اللبُّ وأجدنا تمثيلاً، قال يزيد^(٢) لأبيه: «يا أبتاه، إنك أظهرت من حلمك ما أطمع فيك كل أحد حتى أنهم يسبونك»، فقال له: «يا بني من سرق شيئاً فليتعامل».

الكذب وتناسله

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الكذبُ حيضُ الرجال»^(٣) وربما استجليت منه صورةٌ رائعة وتمثيلية صادقة لتحريم الكذب وامتهان الكذاب لأبعد حدود الامتهان، ولا بدُّ أنك اجتليت من هذا الحديث تشبيه فم الكاذب بالعضو التناسلي لامرأةٍ عهور، وتشبيه كلام هذا الكاذب بدم الحيض. ولا بد من عضو مذكر لإتمام عملية الولادة وهو لسان هذا الكاذب، والنطفة للإيجاد، وهو مفعول كذبه مشوهاً به وجه الحقائق، وأبوا هذا المولود من الكذب (الحيض) هو ما يخرج لابساً رداء التقوى وأثواب التدين.

(١) سورة المؤمنون آية ٢٤.

(٢) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثاني الحكام الأمويين. وحواره مع والده لم نجد الفاظه ولكن معناه يتفق وما عرف عن دهاء معاوية الذي كان يتظاهر بالحلم لإخفاء الغضب «اللجنة».

(٣) لم نعر على هذا الحديث بلفظه، ولكن الناس مجمعون على ذم الكذب ووجوب الطهارة منه، قال ابن عباس: الحدث حدثان: حدث من فيك وحدث من فرجك انظر عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٢٥م مجلد (١) كتاب الطبائع باب الكذب والفحة ص ٢٥.

وقال رجل لقوم يفتابون ويكذبون: توضحوا فإن ما تقولون شرٌ من الحدث. عيون الأخبار مصدر سابق ص ٢٩.

الباب الثامن

القاذورات

أريد أن أبين فيما يلي موضوعاً شغل الأذهان طويلاً، وهو موضوع القاذورات وما أشبهها ومكانها من التكوين. ذلك لأنها موجودة ليس بوسع أحد إنكارها ولو كره ذكرها أو نفر من مشاهدتها. إن هذا الموضوع قد شغل أذهان العلماء. وبخاصة الإلهيين والموحدين منهم، فهذا جابر بن حيان^(١) يقول:

«إن أول ما كان في الأزل هو العناصر الأولية الأربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فهذه أول أمهات البسائط، ثم طرأت على هذه البسائط حركة وسكون فتكونت منها^(٢) تركيبات متنوعة، ولولا الحركة والسكون لظلت تلك الأصول الأولى مستقلة بعضها عن بعض^(٣)، والحركة والسكون وحدهما لا يكفيان لخروج هذه الكائنات التي نراها كما هي، فقد كان لا بد لبدء الكمية أن يدخل في عملية الامتزاج. فإن تشابهت في خروجها من تلك الأمهات الأربعة فباختلاف مقاديرها تختلف حيواناً ونباتاً وحجراً، فقد تزيد الحرارة هنا وتقل هناك وقد تزيد اليبوسة في شيء منها وتقل في شيء آخر، إذا فحركات الوجود (كيفية) فحركة فسكون فكمية»^(٤) وإذا رجعنا إلى تنبيه الشيرازي^(٥)

(١) جابر بن حيان: هو أحد تلامذة الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو من علماء العرب المشاهير في الكيمياء، عاش في الكوفة نحو عام ٧٧٦ م له كتاب الرحمة وفيه بحث طريقة تحويل المعادن إلى ذهب. والعبارة من كتابه المذكور.

(٢) سقطت من ب.

(٣) سقطت من ب.

(٤) تقول النظرية النسبية: إن أي زيادة في سرعة الحركة تسبب زيادة في كتلة الجسم بينما تنقص الأبعاد المستقيمة في اتجاه الحركة. . . وهكذا فإن كل حركة تتضمن تفاعل الأشكال المختلفة للحركة وتحولاتها المتبادلة، وبالمعنى الواسع فإن الحركة هي تغير في العالم تظهر من خلاله آثار متعددة الصور متنوعة المظاهر. «اللجنة».

(٥) الشيرازي سبق الحديث عنه.

فسنجدُ به: إِنَّ الظلالَ الأربعةَ: العقلُ الكلّي، والنفسُ الكليةُ، والكلمةُ الكليةُ، والصورةُ الكليةُ، هم ظلالُ الملائكةِ الأربعةِ الذين لم يؤمروا بالسجودِ لآدم، أي إسرافيل وميكائيل وجبرائيل وعزرائيل، وهذه الظلالات لها صور: الصورةُ الأولى: الحرارة الكلية، والثانية: الرطوبة الكلية، والثالثة: البرودةُ الكلية والرابعة: اليبوسةُ الكليةُ وهذه^(١) الصورُ أربعةُ مشخصات وهي النار والماء والهواء والتراب، وتركبت منها أربعة عوالم هي: عالمُ المعدن وعالمُ النبات وعالمُ الحيوان وعالمُ الإنسان، فإذا علمتَ - علّمنا الله وإياك الرشد - أن الحرارة الكلية والرطوبة الكلية والبرودة الكلية واليبوسة الكلية هي طبيعةُ عالمِ النور المجرد، وهي كليات لأجزاء تتكوّن بها وعنّها، وأنها كلياتُ لصور^(٢) النار والهواء والماء والتراب التي هي طبيعةُ العالمِ المحسوس، فتلك معانٍ في هذه الكليات^(٣) ومن هذا نستجلي شيئاً من معنى قيوميةِ عالمِ النور المجرد، عالمِ الغيب، عالمِ الإله، لما دونه من مقيّدٍ ومحسوس. فالعالمُ المحسوس كُلُّه، والقوى المجردة النورية كروح وبدنٍ، وفي هذا المعنى يقول الناسخ البغدادي: ^(٤)

خمسٌ ولكنهم بالفعل أربعةٌ كلٌ بصاحبه بالمزج منعقدٌ
وبافتراقٍ تراهم غير ذي جسدٍ وباجتماعٍ تراهم كلهم جسدٌ

(١) في ب ولهذا.

(٢) في أ بصورهم.

(٣) سقطت في ب.

(٤) ترجمته ليست متوفرة، غير أن القصيدة المشار إليها من القصائد المشهورة في التصوف ويبلغ عدد أبياتها ٨٤ بيتاً وبما جاء فيها:

ما كلُّ ماءٍ يُروى القلبُ من ظمإٍ البحرُ ماءٌ ولكن شربُه نكدٌ

ويروى البيت الثاني بإبدال بافتراق، بانفراد كما يروى البيت الأول (بالعد) بدل (بالفعل).

أي إذا أفردت كلاً من النار والماء والهواء والتراب، كان كلُّ عنصرٍ ^(١) منها جسماً بسيطاً ذا طبيعةٍ غير مركبة، وإذا جمعت هذه العناصر شكّلت جسماً طبيعياً واحداً ^(٢) يضم المكونات من عالمِ النور المجرّد إلى آخر التكوين، فإذا استجليت هذا جيداً اتضح لك أن الكائناتِ جسمٌ واحد وصورةٌ كلية:

«الكونُ جسمٌ وهي فيه روح» ^(٣)، (هو الهيولى وكلُّ الخلقِ صورته) واتضح لك أيضاً أن الإنسان مجموعة من الكائنات الصغيرة وأن الكائناتِ بأجمعها إنسانٌ كبير.

القوانينُ الطبيعيةُ والنورُ الإلهي

علمت أن الحرارة الكلية، والبرودة الكلية، واليبوسة الكلية، والرطوبة الكلية، هي طبيعةُ عالمِ النور المجرد. وأنها صورٌ وظلالٌ للملائكة الأربعة! إسرافيل وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل، وأنها حقائقٌ للنار والهواء والماء والتراب. وعنهما تركيبُ العوالم الأربعة: عالمُ المعدن وعالمُ النبات وعالمُ الحيوان وعالمُ الإنسان. وبعلمك هذا تبين أن قوانين الطبيعة تتوحد في نورٍ إلهي ينظمها ويوحدها، فهي كالحياة التي تسير كما لو كان وراءها عقلٌ منظمٌ لوظائف كلِّ كائنٍ حي، حتى لو كان هذا الكائن الحي دويبةً حقيرةً أو نباتاً بسيطاً فإنه أثرُ الحياة الإلهية الواعية، وهذا الأثرُ الإلهي يلازم الكائناتِ إلى أن تتم دورتها الوجودية وتتلاشى ليتولد عنها أحياء أخرى ^(٤) تبعاً لسنة الدثور والتجدد،

(١) إن كلاً من الهواء والنار والماء والتراب عنصرٌ بسيط، (تعبير قديم) فقد أثبت العلم الحديث أنها مركبات لا عناصر.

(٢) أي تعود إلى أصلها، فالطبيعة الكلية كانت قبل أن تصير أربعة. انظر شعر عمر بن الفارض - دراسة في فن الشعر الصوفي - مصدر سابق ص «١٢٤».

(٣) شطر من غمسة للشاعر متجب الدين العاني، وتتمته: «نصَّ عليها آدم ونوح»

(٤) في ب آخرين.

وتتوحد الصفات الإلهية الكاملة في هذه الأكوان من الذرة إلى الجرم^(١) من الطحالب والجراثيم الدقيقة، من النجم^(٢) البسيط ودنيء^(٣) الحيوان إلى الضخم من الجبال والأشجار، إلى الإنسان سيد الكائنات. وكأن كل ذي حياة من أفراد ذلك المجموع هو مجرد خلية من خلايا كائن واحد حي هو الكون السابع^(٤) (قدس المعرفة) وموقع كل صفة الذي يُحقُّ الله به الحقُّ ويُبطل به الباطل. وهو الوجود في هويّة الوجود، وذلك بما يلمحه عقل^(٥) العاقل دون الحس من أسباب واضحة معقولة، وعلل قريبة تنظم وتشيء وترن وتقيس وتنسق، ونتائجها واضحة للمتأمل، وواضح أيضاً أن هذه هي العوامل الحقيقية المؤثرة في الكوائن الطبيعية دون أن تندمج فيها، وإن كانت تلبسها كمؤثر في العلل القريبة. ومما لا ريب فيه أن حضرة الحق تبارك وتعالى منزّه كل التنزيه عن الارتباط بشيء أو الاتصال بالماس به، ولولا الصفة القائمة^(٦) بالذات لما وُجد شيء من الكائنات، ولا تحرك شيء ولا كانت حياة ولا موت... وهذا ما عناه الشيخ^(٧) بقوله: «إنه العامل بكل مادب ودراج»، وقد عرفنا عالم الملكوت الأعلى بأنه: عري عن الصور والمواد، بريء من القوة والاستعداد، أمّا عالم الملكوت الأسفل «العالم الخيالي» فعري عن المواد دون الصور، وعالم الكون والفساد مقارن للمواد والصور والقوة والاستعداد، وفيه التقابل والتضاد، وقد أنشأه الله من الهيولى الأولى التي هي ظل النفس الكلية، وذلك بأن حرك

(١) الجرم: جمعه أجرام وجروم ومعناه: أحد الأجرام الفلكية، كما تطلق كلمة الجرم على الجسم من حيوان أو غيره.

(٢) النجم: النبات الصغير مما ليس له ساق.

(٣) دنيء الحيوان: التدني في سلم الارتقاء كالرخويات.

(٤) الكون السابع: يراد به الحقيقة المحمدية.

(٥) في واء للمقل.

(٦) يراد بها الحقيقة المحمدية.

(٧) هو الحسين بن حمدان الخصيصي، والقول من رسالته المخطوطة.

الهيولي^(١) طولاً وعرضاً وعمقاً فكان الجسمُ المطلقُ، ثم خلَقَ من هذا الجسمِ السماواتِ والأرضين بصورها وطبائعها، ثم أدارَ الأفلاكَ حولَ الأركانِ فاختلطَ بعضها ببعضٍ^(٢) فكانت المولداتُ (الكائنات) من المعادنِ والنباتِ. وكلٌّ ممكنٌ^(٣) (جسماً كان أم روحاً) فهو زوجٌ تركيبي^(٤) له عدمٌ من نفسه، ووجودٌ من ربِّه. تميزَ عدمه بذلك الوجودَ وتخصَّصَ به.

الخلاصة

إنَّ نورَ الحقيقةِ الأحديَّةِ ينفذُ في أقطارِ السمواتِ والأرضِ، فما من ذرَّةٍ إلا وهذه الحقيقةُ محيطَةٌ بها وظاهرةٌ فيها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة»^(٥). وقال عليه السلام: «باين الأشياء بينونة صفة لا بينونة عزلة»^(٦)

ومثلُ هذا في كلامه كثيرٌ، وفي القرآن الكريم الكثيرُ من الآياتِ في هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾^(٧)، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٨)، ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر﴾^(٩)، ﴿كل يوم هو في شأن﴾^(١٠)، فأحاطته^(١١) بالأشياء كعلمه بها ليست كإحاطة شيءٍ بشيءٍ،

(١) يقصد بها الطبيعة الكلية، والأبعاد هنا أبعاد معنوية لا مادية.

(٢) سقطت من ب.

(٣) سقطت من ب.

(٤) في ب تركيبي.

(٥) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده. الخطبة الأولى صفحة «١٦»

(٦) قرة العيون، الفيض الكاشاني - مصدر سابق ص «٣٤٥».

(٧) سورة فصلت آية «٥٤».

(٨) سورة البقرة آية «٢٩».

(٩) سورة الأنعام آية «٥٩»

(١٠) سورة الرحمن آية «٢٩»

(١١) سقطت من ب.

ولا قيامه بالأشياء كقيام شيء بشيء. وإنما إحاطته إحاطة علمٍ وقدره، وقيومته قيومة صرفة. وهكذا علمه بالأشياء، فإنه سبحانه لا يعلم بعلم غيره بل يعلم بذاته، ولا يحيط بالأشياء بغيره بل بذاته. وليس كما يزعم بعضهم وإلا لكان مركباً تقدست ذاته وعلا عما يقول به المشركون. ومن المناسب في ختام هذا الباب أن أورد خلاصة ما كان قد دار بيني وبين العلامة الجليل الشيخ محمد تقي الجعفري (إيران) فقد كتبت له أسأله عن المستقذرات لعلمي أنه قد أحاط بدراسة هذا الموضوع وأتقنه، فتفضل بجواب شافٍ بديع على أن أروغ ماراعني منه قوله: «أحب أن تُحلَّ هذه المشكلة على طريقة اتصال الروح بالبدن، وذلك لأن البدن جميعه يدار بالروح البسيطة بدون أن يتدنس بمدنس للبدن»^(١) على أن الأجل من ذلك والأوضح هو ما أورده صاحب الأسس حين تحدث عن وجود القدرة في المخلوقين إذ قال:

«إن علمه في المخلوقين وقدرته النازلة فيهم لن يضره، فإن القدرة والعلم أخفى من ظلمة الرحم ومن المواضع القذرة التي تُعاف وتستقذرُ أسماؤها، وإنما العلم والقدرة محيطان بها، بكلها، صغيرها وكبيرها، كذلك القدرة إذا نزلت بها فإنها كصفتها لم يضره شيء منها ولم ينقصه شيء، وذلك لأنه لا يشاكلها ولا يضادها،^(٢) أما الشيخ^(٣) فبعد أن عدَّ ما للأكوان الستة^(٤) من الأفعال في الإنسان وغيره قال: «وهذه الصفات في كل ذي حركة لحمي دموي من البشر والطير والبهائم والهوام والسباع، وكل ما دبَّ ودرج إلا العارفين، فإن فيهم هذا وفيهم من الكون السابع (قدس المعرفة) وليس هوفي

(١) من رسالة للشيخ محمد الجعفري - سبق وأرسلها إلى شيخنا العلامة فقد كانت بينهما مراسلات.

(٢) الأسس: مصدر سابق - مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٤٩.

(٣) الشيخ: هو الحسين بن حمدان الخصيبي والعبارة من رسالته المخطوطة.

(٤) الأكوان الستة: هي بالترتيب: الكون النوراني، والكون الجوهري، والكون الهوائي، والكون الناري، والكون المائي، والكون الترابي «الأظلة والذرة» للتوسع انظر صحيفة الأبرار مصدر سابق مجلد ثاني ص ٣٦٧»

شيء سواهم». وهكذا فإن فيض الله سبحانه - على مر الدهور والأحقاب في وجوده ووجود كل شيء، من العقول والنفوس والأفلاك والأركان والمولدات من المعادن والنبات والحيوانات والإنسان، على اختلاف الأصناف والأشكال والصور والصفات والأصوات في كل آن - لا ينقسم، وقد أجمع أولو العلم من الموحدون على أن الله في كل مكان، وليس هو في الشيء كالأشياء «ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج»^(١). إن هذا كله يعطي لموضوع المستقذرات وضوحاً كاملاً، فقد كان لا بد من التصدي لموضوعها، فهي موجودة ولو أنفنا من النظر إليها وترفعنا عن ملامستها والاقتراب منها. ذلك أن المستقذرات النتن مولدة الحشرات لا بد من لفظها الذي له جهتان: إطلاق وتقييد. أما تقييده فهو هذه الأشياء المذكورة^(٢) من مولدات الحشرات والطحالب وما أشبه مما تعاف النفس رؤيته لا بل سماع اسمه، أما إطلاقها ففي غاية الوضوح، إنه: مفاعيل العقول المظلمة والنفوس البشعة، ولو كانت جميلة المظهر وقوة الشكل مستندة إلى الشرع الشريف، بينما هي تحارب سرّاً وتتكب عن طريق الله وهي حاميتها تتظاهر بالنسك والزهد وتأتي في الخفاء ما استطاعت من المحرمات. أفلا ترى أن من أنكر المنكرات وأبشع المستقذرات الاستهزاء بالعلماء! إنك لو وقفت أمام بؤرة تفيض بالقذارة فإن نفسك ستنقبض وتمتلئ أسى وسوف تنبو عيناك عن رؤيتها وينفر أنفك من رائحتها، ولكن أرجو أن تقول لي: ما هو موقفك لو رأيت إلى جانبها شرعاً يهان أو ضعيفاً يضطهد، أو حرماً تستباح أو عورات تهتك؟ فأيهما تراه أشد قذارة واستهجاناً؟ إن مما لا ريب فيه أن احتقار العلماء سيئير اشمئزازك أكثر من رؤية بؤرة القاذورات، ذلك لأن إزالة القاذورات المادية أمر سهل حصوله، فقد تجرفها السيول أو تزيلها الأيدي أو

(١) نهج البلاغة: شرح محمد عبده - مصدر سابق ج ٢ ص ١٢٢

(٢) للتوسع انظر شعر عمر بن الفارض - دراسة في فن الشعر الصوفي - مصدر سابق ص ١٨٧

تظهرها المضخات، أما الأعمال القنرة فلا تزول بهذه السهولة، ومع هذا وذاك فإن المستقذرات (وإن كان الله سبحانه محيطاً بها ومدبراً لها) لا يلحقه شيء من نقائصها ولا من نقائص كل محدث ظهر كماله بها كما ظهر بتلك النقائص. فارتفع حكم النقص عنها فكانت كاملة باستنادها إليه ولا يكون الكامل إلا ما هو كامل، وفي هذا المعنى قال الشاعر: ^(١)

فكل قبيح إن نسبَ لفعله أنتك معاني الحسن فيه تسارع
يكمل نقصان القبيح جماله فهاثم نقصان ولا ثم واضح ^(٢)
ويرفع مقدار الوضع جلاله إذا لاخ فيه فهو للوضع رافع

وقد ذكر الشيخ ^(٣) في رسالته: «إن هذه المستقذرات هي مراجع أبدان الكافرين»، فتأمل ما أبدع هذا القول، وما أحلاه، وما أجمله!!..

(١) الشاعر هو الشيخ عبد الكريم الجليل وتعرف قصيدته بالعينية، وقد أورد العارف بالله الصوفي الجليل أحمد بن محمد عجيبة الحسي في كتابه إيقاظ الممم في شرح الحكم والفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، آياتاً عدة من هذه القصيدة، وذلك في صفحات متفرقة من كتابه المذكور، وذكر في صفحة ٤٨ من الجزء الأول البيتين الأول والثاني فقط - انظر إيقاظ الممم في شرح الحكم - مصدر سابق ج ١ - الصفحات ٤٠ و ٥١ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٥٤ و ١٦٤ و ١٦٧ - وج ٢ الصفحات - ١٧ و ٢٢ و ٢٣ و ١٥٤ و ١٦٩ -

(٢) في إيقاظ الممم ص ٤٨ باشع.

(٣) الشيخ هو الحسين بن حمدان الحصري، سبق الحديث عنه.

الباب التاسع

الصدق والكذب

إنّ الذي دعاني لإفراد بابٍ خاصٍ بالصدق والكذب هو ما للكذب من الصُّولة الأصلية وكيف استطاع أن يلبسَ في عصرنا - كما في كلِّ العصور - ثوبَ الصدقِ النقيّ وأن يتظاهر بكل إخلاصٍ في توحيد الله وفي غيره، وكيف يترعُ بالدست^(١) يأمرُ وينهى ويتلاعبُ كما يشاء. لقد عبّروا عن الصدقِ وهو تعبيرٌ صادقٌ وجيّلٌ بأنّه عبارةٌ عن مطابقةٍ ما في الذهن لما في الخارج، وقيلَ هو عبارة عن تواطؤِ المرءِ بالضميرِ واللسانِ الذي هو الآلةُ المعبرة عما في الضمير وما يخبر عنه وبه حتّى لا يصيرُ أمراً واجباً في ضميره مسلوباً بلسانه ولا مسلوباً بضميره^(٢) واجباً بلسانه فيزيلُ بذلك الأمورَ عن حقائقها أو يبطّلُ به أحكاماً يكون به تعلقها، وهذه النظرةُ على روعتها تتعلّقُ بصدقِ الألفاظ بالتواطؤ مع الضمير فقط، ولكن الذين عرفوا مجالي الصدق والكذب وما لهما من التحكمِ بالعقول والأخلاق قالوا: إنّ الصدقَ والكذبَ كالحقِّ والباطلِ كما يجريان في الأقوال يجريان بالأفعال والأخلاق، فكما أن الصدقَ إخبارٌ عن مطابقةٍ نسبته للواقع والكذبَ إخبارٌ بعدمه، كذلك فعل الإنسان باعتبار نسبته إلى صورته ينبيءُ أنّه صادرٌ عن إنسانيته وراجع إلى استكمال الإنسانية، فالفعل صدقٌ والفاعل صادقٌ، وإذا لم يكن صادراً عن الإنسانية بل عن السبعية^(٣) وغيرها كان الفعلُ كذباً وفاعلهُ كاذباً، وهكذا الحال في الأفعال والأخلاق والأحوال والعلوم. فإن كانت عن الإنسانية لاستكمالها كانت صادقةً وإلا فهي كاذبةٌ، والمعتبر عند أهل الصدق والكذب من الأقوال والعلوم، اعتبار المبدأ والمرجع دون الواقع فقط.

(١) الدست كلمة فارسية تعني سدة الأمر.

(٢) في ب بالضمير.

(٣) هي النفس البهيمية الغضبية وقد وردت في «ب» التبعية.

والإنسان ذو مراتب، ولكل مرتبة درجات. فإذا كان في درجة النفس الأمارة بالسوء^(١) فكل ما يصدر عنه كذب، وإذا ترقى عن اللوامة كان ما يصدر عنه صدقاً، ولكنني رأيت أن أعلى مظاهر الكذب وأضرها هو تسخير بعضهم صادق الألفاظ لمآربه وقضاء حاجاته، إذ يستعمل معها ضخامة النبوة في حين، ورفقها في حين آخر. . . كل نبوة حين لزومها - تتبعها الإيماء الأئمة والإشارة المغرضة والنظرة المستعطفة، فإن أرادها حامية الوطيس محدة الأضراس أكالة ضروساً، حرّكها بالهدوء^(٢) الوثائب والتراخي الجيَّاش، تحت صادق الألفاظ الساحرة المحملة بالمعاني المشينة، وألقى عليها من هشيم تقواه ومَرخ زهده وزناد هداة، فهبت نارا محتدة الأوار شديدة التأجج، أكلها الأخلاق التقية والمناهج الرشيدة. وإن أرادها مطواعة المآخذ لينة المراد ناعمة الملمس، قذف بها في لهوات الإيمان فألبسها حلل النور وجلا بيب الهدى، وأضفى عليها مزرکش الغفران وأردية العفو الواسع، وأحاطها بلفيف من الكرامات. وكل ذلك بقيادة الأسلوب الأخاذ، وأصدق الكذب حلة ما يكتنفه الرياء بحنوه، وينشئه تحت ظله فيتعرع بين الإكبار والإعجاب رافع الرأس عالي الجبين، لأنه وليد التقوى ربيب الإيمان. . . وإن لم أكن واهماً، فقد رأيت كثيراً من رجال الدين قد ألفوا^(٣) الأفانين من أنواع الصّدق المجرم وأشكال هذا الرياء الخدوع، فقلّدوا بها وأجادوا التقليد، ولم يعلم واحد منهم إلا أنه الدين المصفى من كل

(١) النفوس ثلاثة أقسام: نفوس متيقظة من ذاتها مقبلة على بارئها بالفطرة معرضة عما سواه وتسمى (مطمئة). ونفوس أعرضت بالكلية عن الحق تعالى وغلب عليها حبّ المحسوسات وشهوات الأجسام وأنكرت اللذات الروحانية والمدارك العقلية وتسمى: (الأمارة بالسوء). ونفوس أقبلت على حبّ المحسوسات إقبالاً متوسطاً وهذه النفوس لها نظران: أحدهما إلى الجانب الأعلى بقدر ما فيها من البقطة والقطعة والثاني إلى الجنية السفلى بقدر ميلها إلى حبّ الشهوات الطبيعية وتسمى (اللوامة) وأصحاب هذه المرتبة هم الذين وُضعت لهم مراتب السلوك ولهم أنزلت الكتب السأوية واليهم بعثت الرسل. «اللجنة».

(٢) في ب بالهواء.

(٣) في ب ألف.

شائبة، وإذا تدبرت ملياً وجدت أن الشك أكثر ما يطالعك من مخادع اليقين، وأن تحت مظاهر التوحيد تكمن فئات الشك وغواني الإلحاد، ومن مطاوي الوحدة وتأثيراتها تنبع ينابيع الكثرة، ويلقاك الجهل الفاتك في أبواب العلم الإلهي، لأن كل علم من أنواع العلوم مهما بلغ - إن لم تكن غايته الأخلاق - كان جهلاً لأنه يعمل على تحطيم الإنسانية. وكل ما أدى إلى مكارم الأخلاق من كل الأفاعيل ولو كان صاحبه أمياً كان علماً وصراطاً مستقيماً، «شيعتنا العلماء وغيرهم الهمج الرعاع»^(١) والعلم الذي هو عين الجهل، كلما ازداد زاد صاحبه في الأنانية والعجرفة وحب الدنيا ولكنه: لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً^(٢). وعلامة العلم الذي هو العلم حقاً أنه كلما ازداد انقصر من الأنانية حتى يفنيها بالكلية لأن العلم مقرون بالعمل بمقتضاه. وحظ هذا الجهل المشابه للعلم من الأغبياء عظيم، لجهلهم أنه جهل. ولعل لكل من هذين العلمين تعلقاً بالمحكم والمتشابه^(٣) لأنها عامتان بأحكامهما. فالمحكم هو الذي يكون مُحْكَم التعلق بحيث لا يزول عمن تعلق به ولا يخرج من متعلق أحد، والمتشابه هو الذي يكون متشابه التعلق، بمعنى أن متعلقه يشبه متعلق الآية الأخرى، ولهما درج كثيرة ومراتب كثيرة، والابتداء والغاية والأصول والنهاية أن الولاية عليها يستدير المحكم، وكل شيء غيرها متشابه، ولولا المتشابه لحفظه الأطفال والبنات.

(١) لم نثر على هذا القول بلفظه وإنما وجدنا نصوصاً بمعناه، ففي حديث مرفوع عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يفدو الناس على ثلاثة أصناف: عالم ومتعلم وغشاء، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلمون، وسائر الناس غشاء». انظر الأصول من الكافي مصدر سابق ج ١ ص ٣٤.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولا تمسّ في الأرض مرحاً إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ سورة الإسراء آية «٣٧».

(٣) المحكم هو ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، وأمّا المتشابه فهو ما احتمل وجهين أو وجوهاً من المعنى دون وجود ما يعين واحداً منها تعييناً ظاهراً أو قاطعاً. انظر روائع القرآن - تأليف الدكتور محمد سعيد البوطي - مكتبة الفارابي طبعة خامسة ١٣٩٧ هـ صفحة «١٠٥».

المحكم كقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ الشورى آية «١١» والمتشابه كقوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ سورة الفتح آية «١٠» واللجنة.

الباب العاشر

كتاب الله

إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كِتَابَانِ: كِتَابُ تَكْوِينِيٍّ، وَكِتَابُ تَدْوِينِيٍّ: فَالْكِتَابُ التَّكْوِينِيُّ^(١) كُلُّ مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ وَيُثَبِّتُهُ الْعَقْلُ، وَأَحْسَنُ الْكِتَابِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْمُعْبَرَةِ عَنْهُ هُوَ هَذَا الْكِتَابُ، لِأَنَّهُ يَعْبُرُ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَرُمُوزِهَا وَمَعَانِيهَا تَعْبِيرًا جَلِيًّا جَلَاءَ الشَّمْسِ لِفَرِيقٍ، وَخَفِيًّا خَفَاءَ الْعِلْمِ عَلَى الْجَاهِلِ لِفَرِيقٍ آخَرَ. وَالْكِتَابُ التَّدْوِينِيُّ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَالْكَلَامُ نَحْوُ ظَهْوَرٍ لِلْمَتَكَلِّمِ بِشَأْنٍ مِنْ شُؤْنِهِ، وَإِنْ كَانَ الْبَشَرِيُّ عَاجِزًا عَنْ سَمَاعِ كَلَامِ الْجَنِّ وَالْمَلَائِكَةِ فَهُوَ عَنْ سَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ أَعْجَزُ، فَلَوْ ظَهَرَ لَنَا كَلَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي مَقَامِ إِطْلَاقِهِ، لَمَا قَامَ لَهُ شَيْءٌ وَلِهَذَا أَنْزَلَهُ سُبْحَانَهُ رَحْمَةً مِنْهُ، كَمَا أَنْزَلَ صِفَاتِهِ وَأَسْمَاءَهُ عَنْ مَرَاتِبِ الْإِطْلَاقِ إِلَى مَرَاتِبِ التَّعْيِينَاتِ رَتَبَةً رَتَبَةً، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَيْنَا لِلْمَشَاكِلَةِ بِلِبَاسِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ وَالْعِبَارَةِ، فَعَلِيَ هَذَا يَكُونُ الْقُرْآنُ بِنَقُوشِهِ وَأَحْكَامِهِ ظَهْوَرًا لِلْحَقِّ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ رَافَةً بِعِبَادِهِ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ تَجَلَّيْتَ [فِي كِتَابِكَ]^(٢) مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْكَ^(٣)». وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مَجْمُوعَ الْعَالَمِينَ فِيهِ انْطَوَتْ جَمِيعُ مَرَاتِبِ الْوُجُودِ بِالْقُوَّةِ، وَهُوَ تَعْلِيمُهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، لِأَنَّ مَرَاتِبَهُ مَجْتَمِعُ الصِّفَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَالشَّيْطَانِيَّةِ وَمَا بَيْنَهُمَا، فَإِذَا كَانَ مُسَخَّرًا لِلشَّيْطَانِ بِسَائِرِ مَرَاتِبِ الشَّيْطَانَةِ، وَكَانَ لِسَانُهُ وَيَدُهُ وَصَمْعُهُ وَبَصَرُهُ

(١) يَقُولُ التَّجِيْبِيُّ الْحَرَالِي: «الْحَيَوَانَاتُ حُرُوفُ اللَّهِ الْمُتَحَرِّكَةُ وَالْجَمَادَاتُ حُرُوفُهُ السَّاكِنَةُ وَكُلُّ كَلَامِهِ لِعِبَادِهِ وَذَكَرَهُ كَمَا قَالَ: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ سُورَةُ الْكَهْفِ آيَةُ ١٠١» مِنْ مَجْمُوعَةِ خَطِيئَةِ هَذَا الصُّوفِيِّ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي الْمَكْتَبَةِ الْوُطْنِيَّةِ بِيَارِيسِ رَقْم ١٣٩٨.

(٢) [فِي كِتَابِكَ] سَقَطَتْ مِنْ ب.

(٣) مِنَ الْخُطْبَةِ ١٤٥ التي أولها: «فَبَعَثَ عَمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ - انْظُرْ تَصْنِيفَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، لَيْبِ وَجِيهِ بِيضُونَ - مَنَشُورَاتِ أَسْمَاهُ كَرَم - دِمَشَقَ ١٩٧٨ م - ١٣٩٨ هـ - ط ١ ص ٢٦».

آلاتٍ للشيطان، وكانت قراءته بلسان الشيطان، كان مظهراً للشيطان. وبأمثاله قال سبحانه: ﴿يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(١) وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٢) يعني أن شرحه لا يصدق إلا بمن عنده خبرة بمبادئ الأفعال فيكون عندها مكتوباً بيد مسخرة لله وإلا كان مكتوباً بيد مسخرة للشيطان، ولو كان القارئ متوسطاً بين الرحمن والشيطان كانت كتابته وقراءته بحسب توسطه، وصاحب هذه الرتبة عناؤه طويل لأنه دائماً بين قوتين متنازعتين: شيطانية ورحمانية، كرجل فيه شركاء متشاكسون، وفي حق أمثاله نزل: ﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾^(٣) ولما كان الكتاب مجموع كلمات كانت الأكوان كلها كلام الله وكتبه، فكل شيء يجوز أن يكون حرفاً، ويجوز أن يكون كلمة، ويجوز أن يكون آية، غير أنها كلها تختلف عن بعضها قوة وضعفاً في الدلالة على معلولها عند المستعلمين، لا في الحقيقة، فالعوالم التي هي كتاب كتبه الله بيد قدرته، وما قرأ أحد شيئاً على وجهه إلا وتوصل به إلى سر إحدى، بل هذه هي حقيقة الكتابة. فلو أخذت الحد من الشفرة وفلقت الهباء والذرة لوجدت فيهما كنزاً خطيراً وملكاً كبيراً، وظهرت فيها كنوز اللطائف وشموس المعارف، فالعقول بأجمعها والنفوس بكلها وكل ما يرى من الوجود وما لا يرى من كل ممكن مصنوع، وكل واجب تختزع من كل الأفلاك والأملak والجمايد والحيوان والإنس والجان إلى مالا يتناهى من مصنوعات سبحانه، كل شيء من هذا آية من آياته أو كلمة من كلماته أو حرف من حروفه، وكله ينبىء عن اسم من أسمائه وصفة من صفاته، وكله فيض المتسلسل الذي لا ينقطع وجوده ولا ينتهي أبداً لو كان

(١) سورة آل عمران آية ٧٨.

(٢) سورة البقرة آية ٧٩.

(٣) سورة التوبة آية ١١١.

البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً^(١) ﴿

﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله^(٢)﴾

أشرفت منك لمحّة نشأ العالمُ منها وكوّن التكوينُ
فجميعُ الأكوانِ ما هنَّ مهما كُنَّ إلا كتابُك المستبينُ^(٣)

أنشأ الله من مكنون غيبه جوهرًا قدسيًا في غاية النور والسناء، ثم أنشأ بتوسطه «لا استعانة به» جواهر لها من الشرف والكمال حسب ترتيبها التكويني، ثم بواسطتها كوّن موجودات نفسانية طرفها الأعلى متعلق بالنفوس الفعالة والأدنى يرتبط بالأجرام الطبيعية وما فيها من العناصر والمركبات بواسطة تلك الكلمة المسماة تارةً بالعقل وطوراً بالقلم وأخرى بعالم الأمر. وبمفاتيح غيبه وبكلماته التامات^(٤) اخترع الله سبحانه الجوهر الأول من ذاته على غير مثال سابق، فكان منه كالظل من الشاخص فهو ظل الله، والظل يمثل الشاخص في حركاته وسكناته فهو المتحرك والشاخص المحرك. وهذا التعبير عن الاسم العظيم^(٥) بأنه ظل الله يبين لنا أنه صفات الله جميعها على تعدد أنواعها، وبهذا كان لا فرق بينه وبين ربه إلا أن هذا عبد وهذا رب، لأن صفات الله هي الفاعلة بجميع المكونات فهي صفة الله العامة، واسم الله العظيم وإرادة الله وقدره الله وعلم الله وفعل الله، وهي كل شيء أضيف إلى الله مثل الحمد لله

(١) سورة الكهف آية «١٠٩».

(٢) سورة لقمان آية «٣٧».

(٣) أورد الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء هذين البيتين في كتابه الدين والإسلام ولم يذكر من هو قائلهما ويرجح أنها له - انظر الدين والإسلام ج ١ - مصدر سابق ص ٢٢٩.

(٤) للتوسع في فهم القلم والعقل وعالم الأمر - انظر الدين والإسلام ج ١ مصدر سابق ص «١٨١».

(٥) يراد به حقيقة السيد محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ولله الملك ﴿الله ما في السماوات وما في الأرض﴾^(١). ﴿ولله المثل الأعلى﴾^(٢). ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾^(٣) وهكذا، وبالجملة هو الوجودُ بهويّة الوجود، وعندما أوجد الله سبحانه هذا الاسم العظيم أوجد فيه بالقوة جميع ما يكون إلى ما لا نهاية، وعندما أوجد عنه النفس الكلية أفاض عليها بالفعل جميع ما كان بهذا الجوهر بالقوة، وهذا الجوهر هو قلم الله الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ - وهو النفس الكلية - ثم من اللوح المحفوظ تنتشر في النفوس الجزئية القوى الجزئية المحركة الفعالة مطابقة لما يظهر في المادة الخارجية، وهي ألواح قدرته وفيها المحو والإثبات^(٤)، وعالمها عالم الخيال والمثال كالصور التي ترسم في ألواح خيالنا ثم تزول بخلاف ما باللوح المحفوظ، وهذه الكتابة باللوح المحفوظ وبألواح القضاء والقدر يصح أن تكون كتابةً تكوينية وهي نفسها معاني التكوين المجزأة فيكونان كتابين: كتاب تكويني وكتاب تدويني وكلا الكتابين واحد، كتاب مبين ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾^(٥). ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾^(٦)، ومما تقدم يُعرف أن قلم الله سبحانه ليس آلة جمادية وليس لوحة صفحة ملموسة، فكما أن ذاته سبحانه لا تشبهها الذوات... وصفاته لا تشبه

(١) سورة البقرة آية ٢٨٤.

(٢) سورة النحل آية ٦٠.

(٣) سورة الرعد آية ٣١.

(٤) المحو والإثبات من ثنائيات السلوك الصوفي كالقضاء والبقاء فعندما يذهب المحو العبد عن نفسه يشته عند ربه قال تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت و عنده أم الكتاب﴾ سورة الرعد آية ٣٩، ويقول الطوسي في اللمع ص ٤٣١: المحو ذهاب الشيء إذا لم يبق له أثر وإذا بقي له أثر يكون طمساً، وقيل المحو انسلاخ العارف عن كل وجود غير وجود الحق والإثبات تصفية السر عن كدورات الإنسانية وقيل يحو عن قلوب العارفين ذكر غيره ويثبت على السنة المريدين ذكره والمحق فوق المحو لأن المحو يبقى معه أثر بخلاف المحق - انظر المعجم الصوفي - مصدر سابق ص ١٠١٦ - ١٠١٧.

(٥) الأنعام آية ٥٩.

(٦) سورة يس آية ١٢.

الصفات، كذلك قلمه ولوحه وكتابته، ولكنها هناك كما هنا كل بما يناسبه فهذه ظل تلك، فهل الكتابة إلا تصوير المراد بحروف وكلمات؟ وهل القابل لرسم تلك المرادات إلا ألواح وهل الأقلام إلا الملائكة الكاتبون وهم - ولا بد - ظل القلم الإلهي الذي هو اسم الله الأعظم، والألواح التي تكتب بها الأقلام الملائكة ظل اللوح المحفوظ، فكل رتبة قلم تكتب بلوح المرتبة جميع المكونات التي تكون بعدها، كما في قصص الصور والظلال والعكوس والأضواء، ولهذا كل شخص بكل رتبة يعرف كل ما دونه، لأنه القلم الذي كتب به الله ما دونه، وهذه الألواح التي يكتب بها ما دونه ظلال اللوح المحفوظ الذي كتب به الله التكوين بأجمعه، والكل ظل «كن» كلمة الله التي^(١) كَوَّنَ الله بها كل شيء، وكل واحد من هذه الألواح كتاب مسطور في رقي منشور. في كتاب (صحيفة الأبرار بشرح ما أتى من الأخبار) عن الكتاب المسمى طوراً بالجفر الأحمر^(٢)، وطوراً بالجفر الأبيض^(٣) ومرة مصحف فاطمة^(٤)؛ وقد جعل الله آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم خزان تلك الكتب وحفظتها، فإذا أرادوا الإخبار عن شيء قالوا في الجفر الأحمر وفي الجامعة^(٥) وربما أظهروا بعض

(١) في ب الذي.

(٢) الجفر: من أولاد الماعز هو ما بلغ أربعة أشهر حتى انفصل عن أمه - والجفر الأحمر وعاء من آدم أحمر فيه علم النبيين والوصيين.

انظر صحيفة الأبرار المجلد الأول - مصدر سابق ص ٢٢٧ وانظر الأصول من الكافي المجلد الأول - مصدر سابق ص ٢٤٠.

(٣) الجفر الأبيض فيه زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم عليه السلام والحلال والحرام. انظر الأصول من الكافي - المجلد الأول - مصدر سابق ص «٢٤٠».

(٤) مصحف فاطمة: هو مصحف فيه مثل القرآن ثلاث مرات.

انظر صحيفة الأبرار - المجلد الأول - مصدر سابق من ص «٢٢٧ - ٢٢٩».

(٥) الجامعة: فيما يروى صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإملائته من فلق فيه وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرض في الخدش - الأرض: الدية.

الكتب الكونية بصورة الكتاب التدويني، من باب ظهور جبرائيل في صورة البشر مع عدم خروجه من صورته الأصلية، فالشيء الواحد له مراتب ومقامات يظهر في كل منها بلباس ذلك المقام والمرتبة. يوجد الواحد في عالم التعقلات بكسوة المعاني، وفي عالم النفوس بكسوة الصور النفسانية، وفي عالم القوى الباطنة بكسوة الصور الكلية، وفي عالم المظاهر بكسوة الأجسام والجسمانيات، وهو حقيقة واحدة في حد نفسه، وكذا الحال في تلك الكتب المذكورة، فإن كونها مع صورة الأعيان لا ينافي كونها في صورة الألفاظ والنقوش، وبالجملية كليات العالم كتب جامعة مملوءة علماً، والأئمة حفظتها يخبرون عنها كما شأوا^(١) وما الوجود في الحقيقة إلا حقيقة واحدة لها باطن معقول خفي، وهي سر الله الساري بها، وظاهر ملموس يتنوع بالقوة العاملة به، ظهر بقدرته وبطن بحكمته، أو ظهر بحكمته وبطن بقدرته وكلاهما البطون والظهور، وهذه القوة العاملة أسمى من أن يماثلها شيء من سائر الأشياء في سائر الموجودات، سبق وجودها كل شيء وانتهى إليها كل شيء.

الباب الحادي عشر

الأيام

وَمَّا أَوْجَبَ وجودَ الحيرة عند أكثر الناس اكتشاف كثير من الكواكب المتناثرة في هذا الفضاء اللامتناهي، وهذا لم يكن غريباً على العلم القديم، غير أنه كان غريباً وجديداً على من لم يعلم من العلم شيئاً، أو كان يرى أن مثل تعداد هذه الكواكب لها تأويل فهو لا يفهم غير التأويل، على أن كثرة الأفلاك وكثرة كواكبها مما هو متفق عليه بين العلمين، القديم والحديث، لكن العلم الحديث يتردد في إقرار وجود كواكب مأهولة، أما العلم القديم المنقول عن المعصومين فيجزم أن الكواكب المسكونة لا يبلغها العدد بالغاً ما بلغ، وكلهم يرسل الله لهم رسلاً مبشرين ومنذرين. ومنهم الأرفع والأعلى علماً وخلقاً، ومنهم الأدنى والأسفل علماً وخلقاً، ولا يخالجي ريب أن الصحو الطائرة ستحقق هذا إن لم يُبتَل العالم بمفاجآت علمية تكون بها النهاية أو كالتنهاية. فأيام كوكبنا هذا في دورته حول شمسنا هذه، تجر الليل وراءها وتسوق النهار أمامها: نمودج^(١) عن الأكوان التي^(٢) وراء كوكبنا والتي لا ترتقي إليها أساليب نظرية ولا يحصيها عد ولا تناها النهاية، فكيف التناهي وذلك لأن القوى الفاعلة بالأشياء والتي بها قيام الأشياء، مصدرها القوة المبتدعة اللانهائية، وهي علتها الأولى، ولو تناهت حاق بها الفناء. والأشياء كل الأشياء منها - من صغيرها وكبيرها - ذو بداية وكل ذي بداية فهو ذو نهاية. ولكن هذه النهايات غير متناهية بجهة من الجهات لا بالدور والتجدد، ولا بالبطون والظهور، ولا بالتحول من صورة إلى أخرى

(١) في (ا و ب) كلمة غير واضحة المعنى استبدلتها اللجنة بكلمة «نمودج».

(٢) في ا و ب الذي.

ولا ولا... ولو كانت هذه النهايات متناهية لكانت غير موجودة، وانتهى الكون والتكوين، فهذه النهايات غير متناهية، والعلّة الأولى السارية بها لا نهاية لها مع متناهٍ بنفسه متجددٍ بعلته الأولى التي هي اللا نهاية، فالموجودات لا باقية ولا فانية، لا باقية بذاتها لذاتها ولا فانية، بل باقية ببقاء مبقياها، وفي هذا المعنى يقول الأمير^(١):

فناؤنا مع ثبوتِ واهبنا يقضي بعودِ الجوّادِ في هبته
وذاك بخلٍ وجلٍ خالقنا من أن يكونَ الإكداءُ من صفته

ولأنّ الأشياءَ جميعها ذواتُ نهاياتٍ غير متناهية، والعلّة الأولى فوق اللانهاية أيضاً، نقدرُ أن نقولَ - وصحّ لنا أن نقولَ - إنّ الجوهرَ الأولَ الكائنَ عن الله هو اللانهاية، كما أنّه هو كلّ صفاتِ الله سبحانه، أي به كانت النهايات المحددة التي لا نهاية لها، والذي أوجده هو فوق اللانهاية. لقد أخذنا بهذا الموضوع ، واستطردنا قليلاً، لكن بما لا يخرجُ عن كونه مناسباً، فلننعدُ إلى ما كنّا فيه: إنّ الأيامَ غيرها من جميعِ الأشياءِ لها أصولٌ وحقائقٌ في عالمِ الغيبِ، ولها تنزلاتٌ في الإيجادِ والتكوينِ، إلى أن كانت كما هي عندنا، وربما كان لها تنزلاتٌ أبعدُ مما عندنا، فأيامنا هذه زمانيةٌ يتأقُ وجودُها من دورةِ كوننا كما تقدم. ولله سبحانه أيامٌ، قال تعالى: ﴿وذكّرهم بأيام الله﴾^(٢) وأيامه (سبحانه) محيطةٌ بالأيامِ الزمانية، ومقاديرُ الأيامِ لله متفاوتةٌ بحسبِ تفاوتِ مراتبِ فعله، فقد تقدّرُ بالالف^(٣) سنة، وبخمسِ ألف سنة وبأكثر كما ورد، فهذه الأيامُ،

(١) الأمير هو المكزون السنجاري - سبق الحديث عنه والبيان لها ثالث:

وهو محالٌ على الإله لدى كل لبیب زکا بمعرفته
«مخطوط خاص».

(٢) سورة إبراهيم الآية «٥٥».

(٣) في تقدير الأيام بالالف سنة قال تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾. سورة الحج الآية «٤٧».

والأشهرُ لها حقائقٌ متميزةٌ في مراتبِ الملكوتِ والجبروتِ، وتلك الحقائقُ لها آثارٌ وخواصٌ ورقائقٌ^(١) في هذه الأيامِ التي هي قوالبُ لها، وتلك أرواحُها. ولكلِّ مرتبةٍ من مراتبِ الآخرةِ سعتها وإحاطتها (بالنسبة لمراتبِ الدنيا) مضاعفةٌ، ومضاعفاتها عشرةٌ ومئةٌ وألفٌ وعشرةٌ آلافٌ وخمسين ألفاً، هذا بالنسبة لآيامِ الدهرِ، وآيامِ السرمِدِ لا تحدُّ بشيءٍ. ويقولُ علمُ الفلكِ الجديدُ: إنَّ من النجومِ عدداً لا يكادُ يكبرُ الأرضَ، ولكنَّ أغلبها كبيرٌ إلى حدٍّ يجعلُ أنه من الممكن أن يجمع مئاة الآلاف من الأرضين في أحدها، ثم بعد متسعٍ لغيرها، وقد يصادفنا أحياناً عملاقٌ هائلٌ من النجومِ يبلغُ من الكبرِ حداً يتسعُ معه لاحتواءِ ملايينٍ من الأرضين، ويقولُ علمُ الفلكِ: لعلَّهم يصلون إلى كواكبٍ يسكنها أناسٌ مفكرون، وإن اختلفوا عني وعنك^(٢). أليس هذا ما وردَ بكثرةٍ عن الموالي المعصومين عليهم السلام مثل قولِ الإمامِ زين العابدين عليه السلام لأبي حمزة الثمالي: ^(٣) «أَتَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقاً سِوَاكُمْ، بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ أَلْفَ أَلْفِ آدَمَ، وَأَلْفَ أَلْفِ عَالَمٍ، وَأَنْتَ فِي آخِرِ تِلْكَ الْعَوَالِمِ». وعن أبي

= - «يدير الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون» سورة السجدة آية «٥».

وفي تقدير الأيام بخمسين ألف سنة قال تعالى: «تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» سورة المعارج آية «٤».

(١) الرقائق مر تفسير لها في الفصل الأول من هذا الكتاب.

(٢) في حديث مرفوع إلى عبد الله بن عباس أنه قال: «... هذه الكعبة وإنها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً... وإن في كل أرض من السبع الأرضين خلقاً مثلنا حتى أن فيهم ابن عباس مثلي».

انظر الفتوحات المكية - مصدر سابق ج ٢ ص ٢٥٨.

(٣) أبو حمزة الثمالي: أبو حمزة ثابت بن دينار الثمالي الثقة الجليل، صاحب الدعاء المعروف في أسفار شهر رمضان، كان من زهاد الكوفة ومشايخها وكان عربياً أزدياً، قال عنه الإمام الرضا عليه السلام: حمزة الثمالي في زمانه كسلطان الفارسي في زمانه. صحب زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام توفي سنة ١٥٠ هـ له كتاب في تفسير القرآن.

عبد الله عليه السلام إِنَّ لَّه مَدِينَتَيْنِ: إحداهما بالشرق والأخرى بالمغرب، عليهما سورٌ من حديدٍ له سبعون ألف بابٍ، من البابِ إلى البابِ فرسخٌ^(١)، على كلِّ بابٍ سبعونَ مصراعاً من الذهبِ، أهلُّها يتكلمونَ بسبعين ألفَ لغةٍ، كلُّ لغةٍ خلاف الأخرى^(٢)، وأنا أعرفُ لغاتهم، وأنا الحجَّةُ عليهم». وانظر ترَ أخبارَ كلِّ واحدٍ من الأئمةِ أكثر ما تكونُ بالسبعةِ، والسبعين، والسبعين ألف^(٣)، وذلك لأنَّ السبعةَ ومضاعفاتها لا تعني انتهاء العدد، بل تعني عدمَ تحديد العدد، ومن خلال ما برواياتهم من هذا النوعِ العددي رأيتهم يضمونَ العددَ الثاني عشرَ والأربعين إلى السبعةِ بعدمِ التناهي، ويقولُ علِّمُ الفلكِ الجديد: ربما كانَ عددُ النجوم التي في الكونِ قريباً من عددِ حبيباتِ الرملِ التي تغطي شواطئَ البحارِ في العالمِ كلِّه، والبعدُ بين هذه النجومِ كبيرٌ جداً.^(٤)

محسوس الأيام ومجردها

وللإلهيين نظرٌ صالحٌ في استعراضِ الأيامِ، فما من يومٍ عندهم إلّا ويصلحُ أن يكونَ فيه كلُّ ما يتكوَّن في كلِّ أيامِ السنةِ من أولها إلى آخرها،

(١) الفرسخ: السكون. والفرسخ ثلاثة أميال أو ستة سمي بذلك لأن صاحبه إذا مشى قعد واستراح من ذلك كأنه سكن (فارسي معرب) وانتظرتك فرسخاً من الليل أو من النهار أي طويلاً - لسان العرب مادة - فرسخ.

(٢) لمزيد من الاطلاع انظر الفتوحات المكية - مصدر سابق ج ٢ فصل: (أرض الحقيقة).

(٣) في بصائر الدرجات: لمحمد بن الحسن الصفار بإسناده عن الحسن بن علي عليه السلام: «إنَّ لله مدينةً بالشرق وأخرى بالمغرب عليهما سور من حديد وفي كل مدينة منهما سبعون ألف ألف لغة يتكلم كل لغة بخلاف صاحبه». بصائر الدرجات مصدر سابق.

(٤) يؤكد العلماء في عصرنا هذا على الأبعاد اللامتناهية التي تفصل بين النجوم والتي تقاس بآلاف وملايين السنين الضوئية، ويقول بعض هؤلاء العلماء باحتمال وجود أحياء على غير كرتنا الأرضية، والواقع أن في ظاهرة الصحن الطائرة ما يثير الألباب... ويقول الدكتور محمد عزت نصر الله: «إن كواكب شمسنا مسكونة (في أجوافها) بذرية قابيل بن آدم، وهم ياجوج وماجوج (الذين سجنهم ذو القرنين) والترك، سكان المشتري». انظر كتابه (الجنة التي أُهبط منها آدم) الطبعة الثانية. «اللجنة».

فكلُّ يومٍ من أيامِ السنة فيه حكمٌ ذاك اليومِ ولا بدُّ، ولكنه ينفى من أجلِ أن ما فيه منه إلّا نهاية خاصة، فاليوم أطولُه ست وستون درجة، لأنّه يظهر فيه الفلكُ كلّهُ وتعمُّ الحركة، وهذا هو اليومُ الجسماني، واليومُ الروحاني تأخذُ فيه العقولُ معارفها، والبصائرُ مشاهدتها، والأرواحُ أسرارها، كما تأخذُ الأجسامُ في هذا اليومِ الجسماني أغذيتها ونموها وصحتها وسقمها وحياتها وموتها، فالأيامُ من جهة أحكامها الظاهرة في العالمِ المنبثّة من القوة الفعالة للنفسِ الكلية سبعة: الأحد - الاثنين - الثلاثاء - الأربعاء - الخميس - الجمعة - السبت - وهذه الأيامُ روحانية يعرفها العارفون، ولها أحكامٌ في الروحِ والعقلِ تنبعثُ عن القوةِ العلّامة للحقِّ التي قامتْ به السماواتُ والأرضُ، وهي الكلمةُ الإلهيّة. وكما أنّ اليومَ فيها من الطولِ بحيثُ يكادُ أن يكونَ بلا نهاية، كذلك فيها ما هو قصيرٌ حتى ليكادُ أن يكونَ أقلَّ من الثانية، مثلُ ما بقوله سبحانه: ﴿كل يوم هو في شأن﴾^(١) أي كلُّ شيءٍ له شأنٌ من الشؤون مع كلِّ شيءٍ من الأشياءِ على اختلافها وتناقضها، لأنَّ كلَّ شيءٍ من الأشياءِ يتغيّرُ في كلّ لحظة، وكلُّ تغيرٍ شأنٌ، واللّه سبحانه المغيّرُ والمشتتُ، ولا يتشأنُ ولا يتغيّرُ، لأنّهم يطلقونَ اليومَ على اليومِ الحاضرِ، فكلُّ شيءٍ مما يختصُّ بالزمانِ، ذو بدايةٍ ونهايةٍ حتى الثانية، فعندما تنتهي تكونُ نهايتها بدايةً ثانية أخرى، قال الأمير^(٢):

له الدهرُ أنّ والزمانُ الذي انتهى إليه بحديه^(٣) لوصلٍ به فصلٌ

ولأن ما في عالمِ الشهادة ظلٌّ لما في عالمِ الغيبِ، وعالمُ الغيبِ أصله. أو عالمُ الشهادة صورةٌ لعالمِ الغيبِ، وعالمُ الغيبِ روحه، أو ما غابَ عنا لا نعرفه إلّا بما حضّرَ لدينا، والحسياتُ معابِرٌ للعقليّاتِ. بهذه الأسبابِ التي هي واحدٌ أصلاً تكونُ هذه الأيامُ والشهورُ الزمانيّةُ التي هاهنا صورةٌ للدهرِ. والدهرُ

(١) سورة الرحمن آية «٢٩».

(٢) الأمير هو المكزون السنجاري - سبق الحديث عنه.

(٣) في ب مبدته.

صورةً للسرمد، والكلُّ ظهورُ سيرِ شمسِ الحقيقةِ في بروجها الستة النزولية،
والستة الصعودية، وغروبها في أفقِ كُرَةِ الطبعِ، وطلوعها منه، وآثارها
وخواصُّها ووقائعُها في أيامنا هذه غيرُ منكورةٍ، والاثنَا عشر شهراً القمرية
والشمسية رقائِقُ للحقائِقِ، فتلك الأيامُ بمنزلةِ الأرواحِ لأَيامِ الدنيا، ولكلُّ
مرتبةٍ من مراتبِ الآخرةِ سعتها وإحاطتها بالنسبةِ لمراتبِ الدنيا مضاعفةٌ بعشرٍ
ومئةٍ وألفٍ وعشرةِ آلافٍ إلى خمسين ألفاً، هذا بالنسبةِ لأَيامِ الدهرِ، ولكنَّ أَيامَ
السرمدِ لا تحُدُّ، ولأنَّهم مالكو اليومين: العرضيِّ والجوهريِّ أطالوا اليومَ من
أَيامنا حتى كانَ سنينَ على قومٍ، وقصروا السنينَ على قومٍ آخرين . . .

الباب الثاني عشر

الشمس والقمر

إِنَّ قِصَّةَ الْقَمَرِ وَالسَّفِينَةِ الْفَضَائِيَّةِ^(١) جَرَّتْ عَلَى الْبَسْطَاءِ مِنَ النَّاسِ بَلْبَلَةً شَدِيدَةً، وَخُصُوصاً عَلَى بَعْضِ رِجَالِ الدِّينِ الْمُعَمِّينِ^(٢) لَخَوْفِهِمْ مِنْ تَضَعُّعِ مَكَانَتِهِمْ، لَا لَشَيْءٍ آخَرَ حَتَّى صَارَ الدِّفَاعُ عَنْ قَدْسِيَةِ الْقَمَرِ بِتَكْذِيبِ الْعُلَمَاءِ: الْمَادِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ وَتَحْطِئَةِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ وَضَرْبِ الْقُرْآنِ بِبَعْضِهِ، وَالْحَدِيثِ بِأَخِيهِ، مِمَّا لَا يَصْدَقُهُ عَقْلٌ، وَتَمَجُّدِ الْأَخْلَاقِ السَّالِمَةِ بِكُلِّ جِهَاتِهِ، وَغَدَا الَّذِينَ جَرَّهَمُ لِهَذِهِ الْمَهْوَةِ عَدَمُ مَعْرِفَتِهِمْ مِنْهَا جِ التَّدِينِ، وَخُصُوصاً النُّورَ الْمُجَرَّدَ، هُمُ وَالْدُنْيَا وَتَأْلُفُهَا بِوَادٍ، وَمَعْرِفَةُ الْحَقَائِقِ الْإِلَهِيَةِ بِوَادٍ، لِكُلِّ هَذَا وَجِبَ أَنْ نَكْتُبَ عَنِ النُّورِ وَأَقْسَامِهِ . . . إِنَّ كُلَّ مَا يُرَى بِالْعَيْنِ مِنَ الْأَنْوَارِ أَنْوَارٌ عَرْضِيَّةٌ لَا تَقُومُ بِذَوَاتِهَا، وَإِنَّمَا قِيَامُهَا بِالنُّورِ الْجَوْهَرِيِّ الْمُجَرَّدِ، فَنُورُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَالنَّارِ وَالْكَهْرَبَاءِ وَمَا أَشْبَهَ نُورٌ عَرْضِيٌّ، تَرَى بِهِ سَطُوحَ الْأَشْيَاءِ فَقَطْ، إِنَّهُ يَكْشِفُ عَنِ الْأَلْوَانِ وَالْكَفَيَاتِ وَالْأَصْوَرِ الْمُحْسُوسَةِ وَلَكِنَّهُ لَا بَقَاءَ لَهُ أَنْيْنَ، وَلَا يَظْهَرُ إِلَّا عَلَى الْأَبْصَارِ دُونَ الْبَصَائِرِ، وَهَذَا الظُّهُورُ يَكُونُ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ فِي سَطْحٍ كَثِيفٍ غَلِيظٍ لَا يَقْدَرُ عَلَى النُّفُوزِ مِنْهُ لِكثَافَتِهِ، وَالنُّورُ الْجَوْهَرِيُّ، الْمَعْقُولُ الَّذِي لَا يُرَى، هُوَ عَالَمُ الْغَيْبِ الْمُسَمًّى بِالْمَلَائِكَةِ، الَّذِي بِهِ قِيَامُ جَمِيعِ مَا يُرَى مِنْ نُورٍ وَغَيْرِهِ، وَالْكُلُّ قِيَامُهُ بِالنُّورِ الْإِلَهِيِّ الذَّاتِي الظَّاهِرِ بِذَاتِهِ الْمَظْهَرِ لْغَيْرِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ جَمِيعِهَا، وَبِحُدُوثِ هَذِهِ الْأَنْوَارِ الْعَرْضِيَّةِ عَنْ بَعْضِهَا، يَعْرِفُ حَدُوثُ الْأَنْوَارِ الَّتِي لَا تُرَى. فَإِذَا دَخَلَ ضَوْءُ الشَّمْسِ^(٣) مِنْ كُوَّةٍ وَصَادَفَ مِرَاةً عَلَى حَائِطٍ انْعَكَسَ

(١) الإشارة هنا إلى نزول السفن الفضائية على سطح القمر.

(٢) الْمُعَمِّينَ: هُمُ الَّذِينَ يَرْتَدُّونَ الْعِمَامَةَ، وَهِيَ مِنْ لِبَاسِ الرَّأْسِ. وَيُقْصَدُ بِهِمْ بَعْضُ رِجَالِ الدِّينِ الَّذِينَ يَرُونَ تَنَافُراً وَتَعَادُيًّا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ. «اللَّجَنَةُ».

(٣) فِي (١): قَمَرٌ - وَكَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الضَّوْءَ لِلشَّمْسِ وَالنُّورَ لِلْقَمَرِ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ =

عنها إلى ما يقابله، وينعكس عما قابله إلى ما قابله، وهكذا. فما كان على المرأة فهو من ضوء الشمس، وما قابل الضوء الذي على المرأة هو نور المرأة، وهكذا. وكيان الأنوار المجردة بالتسلسل عن بعضها إلى النور المجرد.

الأديان القديمة والشمس والقمر

أجمع أصحاب الأديان القديمة على وجود خالقٍ قدير^(١) واعتقد أكثرهم^(٢) عبادة الأجرام السماوية باعتبارها مظاهر حركة القوى الفاعلة، وعزوها من حيث الأفعال إلى ثلاثة أقاليم: الجوهر والمادة والحياة، وأقاموا لها تماثيل^(٣) رمزاً على أسرارهم. وهي المسماة بالأصنام، ولكن وبعد التتبع، لم أر أن الأصنام عُبدت مطلقاً إلا من قبل عامة الناس، كما أخبر الله سبحانه عن مدافعة العرب عن عبادتهم الأصنام «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»^(٤) وليست الأصنام إلا تماثيل أُقيمت رمزاً للآلهة، كما نضع صور الأولياء

= ضياء والقمر نوراً ﴿سورة يونس آية ١٠﴾ فالضوء انبعاث أشعة من جسم مضيء، والنور انعكاس الأشعة عن جسم مضاء، ومن طبيعة الضوء أن يرافقه حرارة، أما النور فلا يرافقه حرارة، لذا نقول ضوء الشمس والنجم، ونور القمر والكوكب. واللجنة.

(١) في الإجماع على وجود إله قدير أورد الله سبحانه آيات بهذا المعنى: قال: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى تؤفكون﴾ سورة العنكبوت الآية ٦١. ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ سورة لقمان الآية ٢٥. ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هُنَّ كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هُنَّ محسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ سورة الزمر الآية ٣٨. ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ سورة الزخرف آية ٩.

(٢) من الأقوام الذين اعتقدوا عبادة الأجرام السماوية: الكلدان - والتدمريون، والفراعنة والفينيقيون، واليونان، وحوكم سقراط ومات بالسم نتيجة معارضته هذا الاعتقاد.

(٣) المعابد المقامة لعبادة الكواكب كثيرة كما في بعلبك وتدمر.

(٤) سورة الزمر الآية ٣١.

والقدسين في بيوتنا تبركاً بهم، فالأصنام في كل زمانٍ مشخصاتُ الشمس^(١) وأسرتها، وبعضهم كان يزعم أن الشمس والقمر والنجوم الثوابت مأهولة يسكنها عوالم تتوسط بينهم وبين الآلهة.

قصة الخليل^(٢)

وقصة خليل الله إبراهيم قصها الله سبحانه في القرآن الكريم، وشرحها الشراح، وتناولتها كتب التاريخ الدينية، قال الله سبحانه: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكباً، قال هذا ربي، فلما أفل قال: لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي، فلما أفل قال لئن لم يهتدي ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾^(٣) من قراءة هذه الآيات وتتبع شروحيها عند شراح القرآن وغيرهم من العلماء يتأكد خطأ من يزعم أن القمر إله، لأنه يكون مكذباً القرآن والمعصوم، ومن خلال دراستي... لعددٍ من شروح القرآن الكريم.

-
- (١) من أشهر مشخصات الشمس وأسرتها المعابد التي أقامها المصريون القدماء في معابدهم، وكان بعض ملوكهم يتسمون بأسماء تنسب إلى الشمس مثل (أختاتون) أي ابن الشمس واللجنة.
- (٢) هو نبي الله إبراهيم بن آزر عليه السلام أرسله الله لهداية قومه وعاش في الألف الثانية قبل الميلاد، وهو الذي بنى الكعبة بمساعدة ابنه إسماعيل عليه السلام. ويقول الدكتور محمد عزت نصرالله هو إبراهيم بن تارح (كما في التوراة) و(آزر) لقب أبيه تارح. انظر: (اليهودية والإسلام - دراسة مقارنة) حيث يقول الدكتور نصرالله: (آزر) اسم مشتق من كلمة سامية الأصل - وهي ككلمة (اوزر) السامية الأوغاريتية - بمعنى الأزرق أي القوة (صفحة ١٩ - ٢٠).
- (٣) سورة الأنعام الآيات من ٧٥ - ٧٩.

كمجمع البيان^(١) وبيان السعادة^(٢) وغيرهما، مع الاستقراء العميق والتتبع المجهد، علمت أنه لم يكن بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقريش إلا عبادة القمر والشمس، ويتضح ذلك جلياً لا غبار عليه ولا حجاب دونه من قوله سبحانه - ذاكراً دفاع قريش عن عبادة الأصنام، وكأنهم يدافعون عن شرف عقلي أبيح، أو عن صرح أخلاقي انهار، لأنهم اتهموا بعبادة تماثيل لا تضر ولا تنفع فقالوا تخلصاً من هذا العار: ﴿ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾^(٣) ونفضوا عنهم شئناً^(٤) ما اتهموا به فقالوا: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾^(٥) فسفه الله سبحانه رأيهم بهذه الشفاعة فقال: «ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين»^(٦) أي أن من أشركوهم بالله من مشخصات الأصنام الكوكبية شفعاء كما زعموا، وفي بيان السعادة يشرح قوله سبحانه في سورة فصلت: ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾^(٧) قال: «إن المشركين كانوا يعبدون الشمس والقمر»^(٨). ويذكر المؤرخون على اختلاف جنسياتهم أن بعض الشعوب القديمة قد عبدت الأجرام السماوية، كما تذكر كتب التاريخ بأن أجمل آثار تدمير بقايا معبد الإله الشمس، وهو شكل مربع أقيم على أربع عمود^(٩) وهذه الأبهة كانت دليلاً واضحاً على مدى تباهمهم في تزيين

(١) اسمه مجمع البيان في تفسير القرآن، ومؤلفه الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس الهجري، ويقع في عشرة أجزاء مجموع صفحاته مع الفهارس قرابة ثلاثة آلاف صفحة.

(٢) سبق الحديث عنه.

(٣) سورة الزمر آية ٣١هـ.

(٤) الشئ: العار أو أقيح العيب.

(٥) سورة يونس آية ١٨هـ.

(٦) الروم آية ١٣هـ.

(٧) سورة فصلت آية ٣٧هـ.

(٨) بيان السعادة. مصدر سابق ج ٤ ص ٣٧.

(٩) بقايا معبد الآلهة شمس في تدمر ما تزال قائمة حتى يومنا هذا، ويستطيع السائح أن يراها بأم عينه. «اللجنة».

الأصنام (الآلهة). وفي تاريخ العرب: «والإله ود المذكور في سورة نوح هو القمر»^(١) وقد اعتقد المستشرق «لندبرغ»^(٢) أنه رأى كلمة «الله» في رقيم معيني^(٣) قديم. وفي نقوش صنعاء^(٤) ورد هذا الاسم (هلاه)^(٥) قبل الإسلام بخمسة قرون، وهكذا فإن الله كان المعبود القبلي لقريش (كما تغلغل منذ القديم عبادة الأجرام الفلكية في نفوس حضرة الحجاز) محاطاً بمؤثرات ثقافية فكرية ومادية تسنت له بواسطة اتصالهم بالفساسنة^(٦) واللخمين^(٧) وخرج على وثنية الجزيرة فئة منهم: أمية بن أبي الصلت^(٨) وورقة بن نوفل^(٩) وما

(١) في تفسير الصافي شرح الآية «٢٣» من سورة نوح ذكر أن (ود) كان صنماً «لقليلة كلب» - انظر تفسير الصافي - تأليف الفيض الكاشاني - منشورات الأعلمي بيروت - ط ٢ ١٩٨٢م مجلد ٥ ص ٢٣٢.

(٢) كارلو لندبرغ المستشرق السويدي الذي لقب نفسه بالشيخ عمر السويدي له فهرست المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة بريل في ليدن.

(٣) الرقيم لوح من طين يُكتَب عليه، ومعين دولة حكمت اليمن قديماً.

(٤) صنعاء: مدينة في اليمن اشتهرت قبل الإسلام كمركز تجاري هام، وفيها قصور تاريخية مشهورة أشهرها قصر غمدان الذي كان يعد من عجائب الأرض، خربه الأحباش عام (٥٢٥م).

(٥) هلاه: بعض اللغات السامية يستخدم الحرف (هـ) بدلاً من آل التعريف في العربية (كالعبرية مثلاً) وبذلك يكون الاسم هذا «الله».

(٦) الفساسنة سلالة عربية يمنية الأصل استوطنت حوران وشرقي الأردن وفلسطين وذلك قبل الإسلام. من أشهر ملوكهم الحارث بن جبلة الذي حارب المنذر ملك الحيرة اللخمي وغلبه سنة ٥٢٨م.

(٧) اللخميون: أو المناذرة قبيلة عربية من أصل يمني رحل بعضهم إلى شمال العراق حيث أسسوا الدولة اللخمية في الحيرة وتحالفوا مع الفرس، وكانت لهم مع الفساسنة وقائع مشهورة، أسلموا بعد الفتح الإسلامي «اللجنة».

(٨) أمية بن أبي الصلت لا يُحدّد له تاريخ ميلاد دقيق، أما وفاته فقراءة (٦٣٠م) وهو شاعر عربي من رؤساء ثقيف وفصحائهم، كان من النسالك فنبذ الأصنام وقال بالتوحيد ووصف الكيالات الإلهية وأشاد بدين الحنيفية (دين إبراهيم) له ديوان شعر مطبوع. وكان أمية المنتصر العربي كثيراً ما يقول: إني لأجد في الكتب صفة نبي يُبعث في بلادنا.

(٩) ورقة بن نوفل هو ابن عم السيدة خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان من الأحناف. لجأت إليه خديجة تسأله عن حال الرسول بعد أن زاره جبريل في الغار وأوجس منه، فقال لها ورقة إنه الناموس وقد توفي قبل انتشار الإسلام.

تسميتهم بعبد شمس وعبد مناف وعبد العزى^(١) وعبد مناة^(٢) وعبد اللات^(٣) وعبد يغوث^(٤) إلا دليل واضح على أن هذه الأصنام التي هم عبيدها مشخصات كواكب. أليست هي آلهة عند قوم بسطاء منهم ووسائط عند ذوي العقول الراجحة؟ ولعل الذي جعل الحجاز ينصاع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويطلب هجرته إليه فيمنعه مما يمنعه منه نساءه وأبنائه وأمواله هو ما كان عليه الحجاز من الثقافة الفكرية، فعرف أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى الحقائق ولا أحد يقوى على مغالبتها. ولم يمنع زعماء قريش من إظهار تصديقه إلا العنجهية الجاهلية، لأنك ترى بمجالسهم الخاصة إكبار محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما ينزل عليه بأقصى ما يكون من بالغ الإكبار والإعجاب، وأروغ ما يروغك منهم بالغ معرفتهم بإعجاز القرآن وخوفهم الشديد منه. اجتمعوا مرة بدار الندوة^(٥) وأرسلوا واحداً منهم^(٦) إلى الرسول

(١) العزى: وهي أكبر صنم لقريش وكان هيكلها بطن نخلة، أرسل الرسول خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً لهدم هيكل العزى فتوجه إليها خالد وهدمها. انظر شرح نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - تأليف المرحوم الشيخ محمد الحضري، تقديم وتحقيق صفوة السقا - نشر وتوزيع مكتبة ربيع - حلب ط ١ سنة ١٣٨٢ هـ - ص ١٩٨.

(٢) مناة: وهي صنم لكلب وخزاعة، وهيكلها بالمثلل وهو جبل على ساحل البحر، هدمها سعد بن زيد الأشهلي ومعه عشرون فارساً وذلك بأمر من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انظر شرح نور اليقين - مصدر سابق ص ١٩٨.

(٣) اللات: صنم ثقيف بالطائف، هدمه أبو سفيان والمغيرة بن شعبة الثقفي بأمر من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انظر شرح نور اليقين - مصدر سابق ص ٢٢١.

(٤) يغوث: اسم صنم من أصنام قوم نوح، وقيل إن اسمه يغوث ويعوق أي أنه يغوث مرة ويعوق أخرى.

(٥) دار الندوة: الندوة وهي الشورى، ودار الندوة هي دار قهي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، وفيها كانوا يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين خافوه - انظر شرح نور اليقين - مصدر سابق ص ٦٥.

(٦) هو عتبة بن ربيعة العبشمي من بني عبد شمس، وهو أحد أشراف قريش وساداتها في الجاهلية قُتل في موقعة بدر وكان في مصاف القرشيين بينما كان ابنه أبو حذيفة يقاتل في مصاف المسلمين =

يطلب إليه الإعراض عن تسفيه أحلامهم وسب آلهتهم فيكون له من قريش ما يريد حتى التاج، فكان جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن قرأ من سورة فصلت: ^(١) «بسم الله الرحمن الرحيم: حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته» ^(٢)، وعتبة يسمع بكل هدوء وتبصر إلى أن وصل صلى الله عليه وآله وسلم إلى قوله سبحانه: «فإن أعرضوا فقل أنذرتكم» ^(٣) فوضع عتبة يده على فم الرسول وقال له: «ناشدتك الله والرحم» فسكت صلى الله عليه وآله وسلم فذهب عتبة وقص على القرشيين ما جرى وقال: «والت الله لو أتمها لنزلت بنا صاعقة عاد وثمود» ^(٤). وإذا نظرت في التاريخ متدبراً تعطيك نظرتك هذه أن الحكماء في كل القبائل العربية كثيرون، وخاصة في قريش ففيهم بنو هاشم وبنو مخزوم وغيرهم. وفي مرة أخرى طلب القرشيون من عمه أبي طالب أن يفوضه لتريك ما هو فيه، فكان جوابه: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» ^(٥) وكأني بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

-
- = وذلك سنة ٢ للهجرة الموافق ٦٢٤م. انظر حكايته مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في شرح نور اليقين - مصدر سابق ص ٤٠-٤١. وانظر سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد - منشورات دار القلم - بيروت - ط ١ سنة ١٩٧٤م ص ٤٢.
- (١) انظر في شرح نور اليقين - مصدر سابق ص ٤٠. وذكر غيره أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قرأ سورة: «السجدة». انظر سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد - مصدر سابق ص ٤٢.
- (٢) سورة فصلت الآيات (١ - ٣).
- (٣) انظر شرح نور اليقين - مصدر سابق ص ٣١. وانظر سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد - مصدر سابق ص ٤٢ والآية هي: الآية ١٣ من سورة فصلت.
- (٤) عاد وثمود قبيلتان عربيتان بائدتان، ورد ذكرهما في القرآن الكريم في آيات عدة وكان نبي ثمود النبي صالح قال تعالى: ﴿والى ثمود أخاهم صالحاً﴾ سورة الأعراف آية ٧٣. وكان نبي عاد (هود)، قال تعالى: ﴿والى عاد أخاهم هوداً﴾ سورة الأعراف آية ٦٥.
- (٥) انظر شرح نور اليقين - مصدر سابق ص ٣١. وانظر سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد - مصدر سابق ص ٤٢.

«لو أعطوني إلهيهم الشمس والقمر علاوةً عما عرضوه عليّ، ما تركتُ هذا الأمرَ أو يظهره الله». وفي كتاب الجوهرة^(١) قال يشرح أصول عبادة الأصنام: «اجتمع رجلان عالمان، فاستغربَ كلاهما من صاحبه - مع سعة علمه - أن يكونَ على هذا المذهب الذي هو عليه، فقال المسلم لعابد الصنم: رجلٌ عالمٌ مثلك كيف يعبدُ إلهاً هو أنشأه؟ قال عابد الصنم: إنا وجدنا آباءنا يعبدونه عن بينة لا يجوزُ أن أذكرها لك إلا بعد عهدٍ وثيقٍ بأن لا تحدثَ بها إلا من تثقُ بفضله، فأعطاه المسلم عهداً على ذلك فقال عابد الصنم: ظهرَ شخصٌ عندنا دعا الأمةَ إلى نفسه فأجابه قومٌ، ولكن بعد إظهاره القدرةَ وعلمَ الغيبِ. وأنكره آخرون رغم ثبوتِ معجزته الخارقة وتحقيقِ علمه بالغيبِ، ثم بنى بيتاً سَمَّاهُ بيتَ الحكمة ورَتَّبَ المؤمنين به رتباً، كل رتبةٍ تقرأ على من دونها، فإذا فرغوا سجدَ له الجميعُ ثم يجلسُ للناسِ مجلساً عاماً فيشفي جميعَ المرضى، وينبئُ عن السارقِ والزاني بما يثبتُ ما يقوله، فقال المشركون به: إنَّه ساحرٌ، فتواعدوا لإهلاكه في يومٍ موسمٍ فلما انفضَّ الناسُ وثبوا عليه بالسيوف والخناجر، فنفخَ عليهم نفخةً صارتُ ناراً أحرقتهم بها^(٢) ثم رجعتُ نوراً طَوَّقَتْ رقابَ أوليائه، فجمعَ الناسُ وأراهم مصارعَ القومِ فقال: هذا فعلي بمن عصاني، وأطوَّقُ بالنور من استجابَ لي» ثم غابَ هو وتلاميذه في بيوتِ الحكمة، فانقسمَ أتباعه ثلاثةَ أقسامٍ: طائفةٌ عبدتِ النارَ باعتبارها قدرةً، وطائفةٌ عبدتِ النورَ الذي طَوَّقَ رقابَ الأولياءِ تنويهاً بكرامتهم، وطائفةٌ عبدتِ الصورةَ وهو مصوِّرُ الصورِ وليس كما رأينا». وعن الشيخ^(٣) بإيجاز: «يجب على العارف أن يأخذَ علومَ الله حيث وجدَها، فإن خزائن الله عند أوليائه وعند أعدائِهِ، وإن الله عزَّ وجل لم يدعِ الباطنَ في معدنٍ واحدٍ بل جعله عند الجميع». ثم إن عابدَ الصنم سأل المسلم

(١) الجوهرة الطالقانية: أبو الطاهر سابور (مخطوط خاص)

(٢) سقطت من ب.

(٣) يريد به الحسين بن حمدان الخصيبي / سبق الحديث عنه.

مستغرباً، كما سأله المسلم، سأله عن استقبال البيت الحرام وهل لله بيت يحويه؟ فشرح له المسلم مطولاً أصول الإسلام بالإجادة البارة بعلم وأسلوب متناهيين، وبعد السؤال والتساؤل المكررين، قال عابد الصنم: أشهد أن هذا الرجل الذي تقول عنه^(١) هو الذي كان ظاهراً عندنا^(٢).

(١) سقطت من ب.

(٢) أثناء المحاوره بين المسلم وعابد الصنم ذكر المسلم صفات علي بن أبي طالب عليه السلام، وقيل بل صفات محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي كسر الأصنام ودك عرش دولة الكفر، فتذكر عابد الصنم صفات الرجل الذي تحدث عنه في بداية حديثه، والذي كان قد أنشأ بيت الحكمة الذي يقده عابد الصنم وأصحابه فقال: هذا هو الرجل الذي يحدثونا أنه كان ظاهراً عندنا.

الباب الثالث عشر

وحدة الوجود

لم يزل قليل العلم والمعرفة عدواً فاتكاً لعميق الحقيقة، منابذاً العلم الصحيح، وقد لاقى الوحدة^(١) في أدوارها من الجهل العلمي والشكل الوهمي، ومن تنزى المنابذات وجاف المنافرات الشيء المحير المقلق. إن الحقائق تجدها في كل شيء ومع كل شيء، والعلم والعلماء دائماً في كل زمان ومكان معرضون^(٢) لقوارص الجهلاء. ولا عجب، فوحدة الوجود من أهم القضايا الفلسفية الإلهية، لأنها خصيصة في بحثها عن الوجود^(٣) والموجود^(٤) والواجب^(٥) والممكن^(٦) والعلة^(٧) والمعلول^(٨)، والذين اعترضوها في كل

(١) يراد بها وحدة الوجود ومن أشهر القائلين بها الشيخ الأكبر ابن عربي، وهي عند الكزبون واضحة جلية ومثبوتة هنا وهناك في ديوانه كقوله:

لا غير من لا غيره لي إله إذ ما لوجود وجود سواه
ومن المعلوم أن هناك وحدة وجود ووحدة شهود، والفرق بينهما:

أن صاحب وحدة الشهود يقول، في حالة من حالات جذبه: ما شاهدت إلا الله أو يقول: أنا الحق، أنا هو. الخ. أما صاحب وحدة الوجود فيقول ما يقول في صحوه، كقول ابن عربي: «الوجود كله واحد» وما في الوجود إلا الله، «وما ثمة إلا الله» الخ. فالوجودات عنده كثيرة والوجود واحد، أي عنده كثرة شهود ووحدة وجود» واللجنة.

للتوسع راجع المعجم الصوفي - مصدر سابق من ص ١١٤٥ - ١١٥١.

(٢) في ب مستعرضون.

(٣) الوجود: فقدان العبد بمحاق أوصاف البشرية ووجود الحق لأنه لا بقاء للبشرية عند ظهور سلطان الحقيقة، وهذا معنى قول أبي الحسين التوري: أنامد عشرين سنة بين الوجد والفقد إذا وجدت ربي فقدت قلبي. وهذا معنى قول الجنيد: علم التوحيد مابين لوجوده، ووجود التوحيد مابين لعلمه، فالتوحيد بداية، والوجود نهاية، والوجد الوسطة بينهما - كتاب التعريفات - مصدر سابق ص ٢٧٠.

(٤) هو مبدأ الآثار ومظهر الأحكام في الخارج، وتحديد الحكماء (الموجود) بأنه الذي يمكن أن يخبر عنه، والمعلوم بتقيضه وهو لا يمكن أن يخبر عنه. كتاب التعريفات - مصدر سابق ص ٢٥٥.

(٥) الواجب: ما تقتضي ذاته وجوده اقتضاء تاماً أو ما يستغني في وجوده الفعلي عن غيره، وهو =

الأزمنة نرى على كلامهم شيئاً من صور العلم العقلي والنقلي، بخلاف مَنْ عارضها في عصرنا. إنَّ الخلاف بالغٌ حدِّه بين الفلاسفة والحكماء حول: هل المتحقَّق الأصيل في الوجود هو الماهيات المَرْتَبَةُ المحدودة^(١) والوجود مفهوم اعتباري؟ أم المتحقَّق هو الوجود، والماهية لها المفهوم الاعتباري؟

فأصالة الوجود هي المتحقَّق وجودها عند الفلاسفة، والماهية وجودها اعتباري يُتَنَزَّع وجودها من حدود الوجود المطلق، لأنَّ الوجود لا ماهية له بل ماهية ذاته. وباختلاف جهتي الوجود الذهني الداخلي، والمحسوس الخارجي، تعرفُ أصالة الوجود، فالنار مثلاً بوجودها الداخلي لا يترتب عليها شيء من الإحراق كالوجود الخارجي، وبذلك عُرِفَ أنها غير متأصلة في كلا الوجودين الداخلي والخارجي، وإلا لظهر الإحراق والضوء، ويستحيل على شيء أن يثنى^(٢) أو يتكرر ذهنياً، لا خارجاً ولا وهماً ولا فرضاً، وعلى هذا التحقيق يستحيل أن يُفرض^(٣) لواجب الوجود ثانٍ، فهو الوجود المطلق، وإطلاق

= مرادف للضروري، إلا أنه يطلق في بعض الأحيان على ما هو أخص من الضروري. المعجم الفلسفي - جميل صليبا - دار الكتاب اللبناني - ج ٢ سنة ١٩٨٢ م ص ٥٤١.
واجب الوجود: هو الذي يكون وجوده من ذاته ولا يحتاج إلى شيء أصلاً. كتاب التعريفات - مصدر سابق ص ٢٦٩.

- (٦) الممكن: هو الذي يتساوى فيه الوجود والعدم، وهو إحدى مقولات الجهة، ويقابله الممتنع والضروري. المعجم الفلسفي - مصدر سابق ج ٢ ص ٤٢٤.
(٧) العلة: هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه - كتاب التعريفات - مصدر سابق ص ١٦٠ والعلة ترادف السبب عند علماء الكلام والغزالي - للتوسع راجع المعجم الفلسفي مصدر سابق ج ٢ ص ٩٥ وما بعدها.
(٨) المعلول: كل شيء وجد بالفعل عن شيء آخر فالمعلول هو الأثر وهو ما يحدث عن علة أو سبب معين وهو أحد طرفي العلاقة السببية. للتوسع راجع المعجم الفلسفي - ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧.

(١) في المحددة.

(٢) في ب يثنياً.

(٣) في ب (يعرض).

الوجود على الموجودات من باب المشترك اللفظي وهم لا يستند على شيء، وقد أسند القول به إلى المشائين^(١) أو لأكثرهم، وهو غريب لأن لهم شأنهم، فكل حقيقة من الحقائق وماهية من الماهيات يستحيل تعددها بذاتها، ولا تتعدّد إلا إذا أضيف إليها غيرها فتكثر بأفرادها العينية، كالإنسان مثلاً فإنما كثر بأفراده وذواته الخارجية. وسبب تكثر الماهية إلى منوع النبات والأحجار هو الوجود الذي به قيام الموجودات كلها، فهو مع كل شيء بصورة ذلك الشيء ولا صورة له، ووجوده مع الأشياء وقيام الأشياء به لا يقتضي بأن يكون منوعاً أو متعدداً فيتعدّد الوجود وتكثر الأحدىّة، ولكنّ الوجود تكثر ظاهراً بالأشياء مع شدّة التوحيد، وتكثر به الأشياء منوعة، وما به امتياز هذه الماهيات عن بعضها هو ذات ما به اشتراكها، وهو الوجود المطلق. فتطلع إلى هذا الكون المادي تجده من حيث ذاته كله أعداماً إضافية كانت بالوجود الإلهي، فمن وقف عند ظاهرها حجب عن الوجود المتجلي فيها فهي آثاره ومؤثراته، وذاك أن الأحدىّة المطلقة اقتضت تكوين الروح^(٢) الأعظم «الحقيقة المحمدية» روحاً لما سيكون بأجمعه، وأودع الله بها حقائق جميع الأشياء وصورها بوجه كلي. فهو الوجود بهويّة الوجود، وخلّق الله له منه وسائط للتكوين يفيض عليها من نوره المفاض من مكوّنه، وجعلها مؤثرة بما دونها من العوالم، وحقائقها الإمكانية مرسومة

(١) الطريقة المشائية: هي النظرية التي تبناها أرسطو بكل ما أوتي من جهد، ثم تبعه تلاميذه حتى اشتهروا بالمشائين، وتبع أرسطو في هذه النظرية من العلماء الإسلاميين الفارابي وابن سينا، وخلاصة النظرية: إن المعرفة يجب أن تركز على دعائم العقل والبرهان والتجربة - انظر من السهروردي إلى الشيرازي - تأليف الدكتور موسى الموسوي - دار المسيرة - ط ١ بيروت سنة ١٩٧٩م ص ١٢٤. وسُمي المشاؤون بهذا الاسم لأن أرسطو كان يلقي دروسه على تلاميذه وهو يتمشى وهم يسرون خلفه «اللجنة» ويقابل الطريقة المشائية، الطريقة الإشراقية التي تعتمد في المعرفة على الإشراقات القلبية والفيض على الأنفس من عالم العقول، والتي هي خارجة عن نطاق التجربة والبرهان العملي من السهروردي إلى الشيرازي - مصدر سابق ص ١٢٥.

(٢) في ١ الرحم

بهذه الوسائط بأعيانها وكما لايتها، حتى أن كل ما تراه العين من هذه الكرات المتحركة، وما وصل إليه العلم الحديث من اكتشاف الفضاء، وما عجز عنه من كواكب وشموس وأقمار ونجوم تتحرك بقوى غير محسوسة من عوالم ما وراء الشهادة، وهذه القوى لا ترى لغاية الصفاء^(١) بل تكتب الصور الجزئية في ألواح النفوس كما ترسم في قوانا الخيالية صور شخصية من معلوماتنا الجزئية، والمثل الجليل الذي يعطينا معلوم هذه القوى واضحاً هو التركيب الإنساني، فهو مجموع المكونات، ومراتب أفعاله أربع:

الأولى: اختفاء قوى أفعاله في وجهه اختفاء لا يعرف، مثل اختفاء الأشياء في علم الله.

الثانية: انتقال صور أفعاله من وجهه إلى قلبه، كتزل صور الأشياء من علم الله إلى العقل الأول.

الثالثة: تزل مفاعيله إلى مخزن قلبه، كتزل الأشياء إلى عالم الملكوت.

الرابعة: ظهور أفعاله بالفعل إلى الخارج، كظهور الأشياء في عالم الشهادة.

وأحسن مثل ليطابق العالمين وارتباط المحسوس بالمعقول ما ملخصه: أن امرأ رأى صفحة ورقة بيضاء مشرقة، وبعد قليل امتلأت خطوطاً مبرقشة بسواد وبياض، فسألها معاتباً كيف شوهت؟ فأجابت: لم أشعر إلا والمداد يتناثر عليّ ويشوه وجهي فاسأله، فسأل المداد: فأجاب: كنت مجموع الشمل في الدواة فلم أشعر إلا والقلم يأخذني وينثرني على هذه الورقة البيضاء، فسأل القلم فأجاب: إنما فعلت هذا على غير إرادتي، كنت على شاطئ هذا النهر منعماً بمداعبة الهواء الرقيق، وأغاني العصفير، وانسياب الماء من حولي بعدوئيه اللذيذة، فلم أشعر إلا والسكين هوت عليّ بحدها المرهف فقطعتني وبرتني

(١) يراد لشدة صفاتها.

قلماً، فلما سأل السكين أجابت: كنتُ قطعةً حديدٍ فحماني الحدادُ حتى كنتُ كالجمرِ وهوى عليَّ بالمطرقة، وما زلتُ بين يديه من النارِ إلى المطرقة ومن المطرقة إلى النارِ حتى صُنعتي سكيناً مرهفةً الحدَّ، فاستعملتني الأصابعُ لقطعِ هذه القصبة فاسأل الأصابعُ، فأجابت لا أقدرُ على قطعٍ ولا على وصلٍ فاسألِ الرباطات، فسألها فأجابت: يأتيني أمرٌ من القلبِ غيرُ منظورٍ، وهو ما يسمي بالإرادة فاسألِ الإرادة (فسأل الإرادة)^(١) فأخذته إلى القلبِ وقالت: تطلّع هل من كتابية على القلب؟ قال: لا، قالت له: حدّق ما استطعت، فأعاد التحديقَ محملاً، فرأى شبه رسومٍ وخطوطٍ فقالت: أعدِ التحديقَ، فقال: رأيتُ بحراً وبه سفينة تتجهُ إلينا. وبعد حين قال: رستِ السفينة، فقالت: سافر بها. فسافرَ ووصلَ الشاطئ الثاني فرأى الورقة البيضاء نفسها ذاتَ الوجهِ المشرقِ، وأعيدتِ العمليةُ إلى [أن وصل إلى الإرادة]^(٢) وأراد التعمقَ فسمعَ قائلاً يقول: «لا يسأل عما يفعلُ وهم يُسألون»^(٣). لقد عبّرَ هذا المثل عن جميع ما أتى من الكلمِ لجميع معاني التكوينِ مثل: كلُّ ما في عالمِ الغيبِ، له مثال في عالمِ الشهادة، وبالعكس كلُّ ما في عالمِ الشهادة له مثال في عالمِ الغيبِ فسرّيان السر الإلهي المسمى بالقوة الإلهية، والحقيقة المحمدية، أو الفيوضاتِ، أو ما شئتَ مما أتى من الأسماء المعبرة عن مفاعيل هذا السر بالله لا بذاته، لأنَّ القوة المدبرة للكلِّ بلا حلولٍ ولا اتحادٍ، ولا ولا، فإن لم تقدر على هضمِ هذه المعاني وأضرارها فانكمش على ذاتك، لا تتعرض لها بسوءٍ فيحيق بك الوبالُ، أو فاتبع من هضمها وتمثلها من فلاسفة الدين، بل من كساها حُللاً زادتْ جمالاً وجلالاً فتظفر. وأرى أن أحسنَ من أبرزها واضحة جلية هو شرحُ الشيخ^(٤) للصفاتِ

(١) العبارة سقطت من أ وب.

(٢) العبارة في ب (إلى وصل للإرادة).

(٣) سورة الأنبياء الآية «٢٣».

(٤) هو الحسين بن حمدان الحنصلي - سبق الحديث عنه. والكلام مأخوذ من رسالته (مخطوط خاص).

الأربع والقدرات الأربع، وهي على مفهوميها المواقي غاية في العمق، ونجملُ لك كلماتها فيما يلي:

صفاتُ الله سبحانه أربع:

الأولى: صفةُ خالقةٍ لا مخلوقة، وهي علم الباري وقدرته التي كان بها الكون والحدوث من حيث لا حدٌ ولا نهاية.

الثانية: صفةُ لا خالقةٌ ولا مخلوقة، وهي ذاتُ الحقيقةِ المحمدية، فهي لا خالقةٌ لكون ذاتها ولا مخلوقةٌ كخلقِ الحدث، لأنَّ بين كلِّ فاعلٍ ومفعولٍ واسطةً هي الفعل، فالحقيقةُ المحمديةُ فعلُ الله الذي فعلَ به المكوّنات، وهو قدرةُ الله وإرادةُ الله ومشيةُ الله وهكذا - فالله لا يجوزُ أن يكونَ مُريداً وإرادةً إذ لا بدَّ من توسُّطِ شيءٍ بينَ المريدِ والمرادِ وهو الإرادة^(١).

الثالثة: صفةُ مخلوقةٍ خالقةٌ، وهي التي خلقتُ بإذنه تعالى كما في قصةِ المسيح ﴿أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾^(٢) فيصير طيراً بإذن الله، وإحياء إبراهيم الأتليار^(٣) ومعجزةِ النبي^(٤) صلى الله عليه وآله وسلم. وما أشبه.

الرابعة: صفةُ مخلوقةٍ لا خالقةٌ، وهي السماوات والأرض والجبال وما جرى مجراها. فهذه الصفاتُ الأربعُ تضم المكوّنات جميعها، وكلُّها صفاتُ الله، أي أنَّ مراتبَ الوجودِ جميعها وما بها من مفاعيلٍ وقدراتٍ وعلمٍ فهي لله سبحانه باعتبارِ لا فاعلٍ إلّا هو، ولا عالمٍ إلّا هو، ولا قادرٍ إلّا هو. وإذا ظهرت

(١) وهذا التوسط بين المريد والمراد تسميه الفلسفة (التعلق) بين العلة ومعلولها، ومنهم من يسميه (العلاقة). «اللجنة».

(٢) سورة آل عمران آية «٤٩».

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾ البقرة آية «٢٦٠».

(٤) معجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة منها: إنباعُ الخلقِ الكثيرِ من الطعامِ القليلِ ونبعُ الماءِ من بين أصابعه.

انظر شرح نور اليقين - مصدر سابق من ص - ٢٦٣ - ٢٧٤ - وانظر سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد - مصدر سابق من ص «١٤ - ٢٣».

القوى من غيره فهي له ومنه. ومن عرف القدرات الأربع، والصفات الأربع، كما شرحها الشيخ، عِلِمَ أَنَّ كُلَّ حَرَكَةٍ فِي الْكَوْنِ وَكُلَّ صِفَةٍ تُمُتُّ لِلْخَيْرِ بِصَلَةِ هِيَ لِلَّهِ وَمِنْهُ، وَمِمَّا لَا يُمُتُّ لِلْخَيْرِ بِصَلَةِ تَكُونُ حَرَكَتُهُ أُحِيلَتْ بِخَبِثِ الاستعدادِ إِلَى شَرٍّ لَا بِذَاتِ الْفِعْلِ، بَلْ بِخَبِثِ الْفَاعِلِ. مِنْ عَرَفَ هَذَا وَعَمَلَ لَهُ كَانَ طَرِيقَ عَمَلِهِ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَإِذَا اسْتَمَرَّ عَمَلُهُ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقِ، كَانَ سَيْرُهُ سَفَرًا إِلَى الْحَقِّ مِنَ الْخَلْقِ، وَإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الطَّرِيقِ وَعَمَلَ بِهَا كَانَ سَفَرُهُ مِنَ الْحَقِّ إِلَى الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَهُوَ السَّيْرُ بِالْفَيُوضَاتِ الْإِشْرَاقِيَّةِ، وَإِذَا فَنِيَ عَنْ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ كَانَ سَفَرُهُ بِالْحَقِّ فِي الْحَقِّ، فَحِينَئِذٍ يَتَغْنَى مَعَ الْمَكْزُونِ:

لَا غَيْرَ مِنْ لَا غَيْرُهُ لِي إِلَهٍ إِذْ مَا لِمَوْجُودٍ وَجُودٌ سِوَاهُ

ويصح له التكلم بلسان الحال^(١) والقول مع المكزون:

أَصْبَحْتُ فِي الْكَوْنِ بِلَا حَيِّزٍ وَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ فِي حَيِّزِي
وَخَارُجُ الْعَالَمِ فِي دَاخِلِي وَقَدْرَةُ الْقَادِرِ فِي مَعْجَزِي
وَصَرْتُ مِنْ دَائِرَةِ الْكُلِّ وَفِي جَمْعٍ مَقَامِي نَقْطَةُ الْمَرْكَزِ^(٢)

فإذا عرفت تنزل الوجود أربعا فأربعا عرفت ما تقدم، وإلا فاتهم نفسك. وجميع ما ذكرناه من تحقيق الوحدة هو تعبير عن الجملة الجامعة: «بأنَّ الوجود عبارة عن شخص واحد في الخارج به يكون الشيء هو ما هو لذاته فلا هو هو ولا هو ما هو أي النفس»^(٣) ولا بدَّ عندها من أن يتغنى المرء مع الشيرازي:

(١) لسان الحال كقول المعري:

هي الدنيا تقول بملء فيها حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
ولسان الحال الذي ذكره شيخنا العلامة هو المسمى لسان الجمع عند السادة الصوفيين.

(٢) يورد الدكتور أسعد علي مع البيتين الأولين هذا البيت:

فأين أهل الأبن في دارتي والفلك الأطلس في مركزي

المكزون ج ٢ ص ١٢٩

(٣) العبارة والبيت من كتاب التنبيه بشرح شيخنا العلامة (مخطوط خاص).

فعينُ ذاتِك عينُ اللّهِ فيك ترى أنموذجَ الأمرِ فافهم أيّها اللّاهي^(١)

والخلاصة: أرى لمطالعِ أمثالِ هذه المعاني العليا التآني والمتابعة لا أن يردّها ردّ الجاهل، بل يقول: اللّهُ ورسولُهُ أعلمُ لأنّه وردَ عن رسولِ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وآله وسلم: «الناسُ في سعةٍ ما لم يعلموا»^(٢) وقال صلى اللّهُ عليه وآله وسلم: «ليس على العباد أن يعلموا حتّى يعلمهم اللّهُ»^(٣).

(١) البيت سقط من ب.

(٢) لم نعثر على هذا الحديث وربما كان من المأثور، فقد نقل عن بعض أهل العلم: «يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد» انظر عيون الأخبار مصدر سابق - كتاب العلم والبيان ج ١ ص ١٢٥ ونقل عن أبي الدرداء قوله: «من يزدد علماً يزدد وجعاً» المصدر السابق نفسه ص ١٢٦

(٣) لم نعثر على هذا الحديث وربما كان من المأثور المتناقل شفويّاً.

الباب الرابع عشر

الباطن والظاهر

الباطن والظاهر^(١) هما ركننا كل دين من الأديان، وأكثر ما يكون أمرهما تبعاً للاستعداد والقبول، فيُعطى الطالب المستعدُّ أمراً من أمور التدين، بينما يحرم منه^(٢) الذي لا يقدر على قبوله، فيكون هذا الأمر ظاهراً عند هذا، باطناً عند ذاك. هذا من جهة الأسرار العلمية، وأما من جهة الشرع وعند الصوفيين - وهو من أعلى الكلام وأجله - فإن المفترضات الشرعية صورٌ للأسرار الباطنة وظلالٌ لها، والمحسوس مرتبط بالمعقول، والمعقول لا يُعرف إلا بواسطة المحسوس^(٣) ولذلك يتردد كثيراً على السنة الصوفيين... أقوالٌ مثل: (منتهى

(١) إن العلم ظاهر وباطن: فالظاهر هو أعمال الجوارح الظاهرة كالأحكام (البيع والشراء)، والعبادات (الصلاة والزكاة) والباطن هو أعمال القلوب (الإيمان والإخلاص والصدق...). انظر اللمع مصدر سابق ص ٤٣-٤٤. والظاهر بلا باطن كالجسد بلا روح، والدنيا بلا آخرة كالصورة بلا معنى، انظر شرح دعاء السحر. مصدر سابق ص ٧٤-٧٥.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون فتضروهم» صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد لاحظ الصحابة والتابعون أحوال طلابهم ملاحظة دقيقة فكانوا لا يتحدثونهم إلا بما يناسب مداركهم. - انظر الوجيز في علم الحديث ونصوصه - الدكتور محمد عجاج الخطيب (كتاب جامعي) منشورات جامعة دمشق سنة ١٩٧٩ م - ١٣٩٩ هـ ص ٩٩-١٠٠. وقد عمد رجال العلم الإلهي في القديم والحديث إلى توخي الحرص في إذاعة الأسرار الإلهية لغير أهلها ورسموا لذلك أساليب وطقوس يجب على المريد أن يسلكها لكي تعطى له الحقائق. قال الحميني: «إياك أيها الصديق الروحاني ثم إياك... أن تكشف هذه الأسرار لغير أهلها ولا تضنن بها على مستحقيها».

انظر مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية - مصدر سابق ص ١٥٤.

(٣) ذكر الإمام الحميني في كتاب مصباح الهداية: إن الحواس الظاهرة مرقاة للمعاني العقلية والحقائق الكلية النورية.

انظر مصباح الهداية - مصدر سابق ص ٢٥.

الكمال مبدأ الشرائع^(١) (نهاية السالكين^(٢) بداية المجذوبين)^(٣). (علامة النجج في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات)^(٤).

و(الظاهر هو الباطن)^(٥)، فما ظهر في عالم الشهادة، هو الذي بطن في عالم الغيب. وما بطن في عالم الغيب هو الذي ظهر في عالم الشهادة. وأنوار

(١) الكمال ظاهر وباطن، فالظاهر هو اجتماع محاسن صفات الأجسام الثلاثة بها، والباطن هو اجتماع الصفات الفاضلة في الإنسان على اعتدالها وتطبعه بها، واعتدالها بكونها تجري على قوانين الشرع المؤيد لقضايا العقل، فبالشرع تكمن محاسن الأخلاق قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق» ومن هنا نرى أن منتهى الكمال هو العمل بالشرعية ظاهرها وباطنها. «اللجنة» وانظر إيقاظ الهمم مصدر سابق ج ١ ص ٣٨. للتوسع انظر مشارق أنوار القلوب مصدر سابق من ص ٣٩-٤٢.

(٢) السالك. هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه، أقسام السالكين أربعة: السالك بنفسه، السالك بربه، السالك بالمجموع، السالك لا سالك وهو نهاية السالكين، وصاحب هذه المرتبة من لا يرى نفسه تستقل بالسلوك ما لم يكن الحق صفة لها ولا تستقل الصفة بالسلوك ما لم تكن نفس المكلف موجودة ويكون كالحل لها فيبدو أنه سالك في المجموع، فإذا تبين له أن بالمجموع ظهر السلوك بأن له أن المظهر لا وجود له عيناً وأن الظاهر تقيد بحكم استعداد المظهر ورأى الحق يقول: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» سورة الأنفال آية ١٧ - انظر المعجم الصوفي - مصدر سابق ص ٥٨٤-٥٨٧.

(٣) بداية المجذوبين: المجذوب هو من اصطفاه الحق لنفسه واصطفاه بحضرة أنسه وأطلقه بجناح قدسه ففاز بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب. كتاب التعريفات مصدر سابق ص ٢١٣.

وبحسب ما قدمنا يكون: «نهاية السالكين بداية المجذوبين» «اللجنة»
(٤) النجج في الشيء هو بلوغ القصد والمراد فيه، ونجحت مطالبه إذا قضيت وبلغ منها ما أحب، ونهاية الشيء تمامه وبدايته أوله.

إيقاظ الهمم في شرح الحكم - مصدر سابق ج ١ ص ٥٩.
(٥) لقد أكثر العارفون من الحديث عن الظاهر والباطن وساقوا الأدلة على أن الظاهر هو الباطن. جاء عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام: «مضى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟» وقال آية الله الخميني: هو الظاهر في عين الباطن، والباطن في عين الظهور - انظر مصباح الهداية مصدر سابق ص ٨٨٨ و ص ٢٣-٢٤. ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): ظهر فطن، وبطن فعلم. انظر خطبه في التنزيه - نهج البلاغة.

الملوك متدفقة في حياض الجبروت. ^(١) وامثالُ أمرِ الله في الظاهرِ يدلُّ على كمالِ شريعته، وتحقيقِ العبودية والاستسلام للقهْر في الباطن يدلُّ على كمالِ الطريقة ونهاية الحقيقة. والجمعُ بينها غايةُ الكمال و (الصلاة القلبية بدون معرفة مراتبها الباطنة جيفةٌ عفنة مؤذية) ^(٢). قيل للجنيد: ^(٣): «إنَّ جماعةً يزعمون أنَّهم يصلون إلى حالةٍ يسقط معها التكليف قال: «وصلوا ولكن إلى سقر». إنَّ هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيمةٌ والذي يسرق ويزني أحسنُ حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها) ^(٤). وعند الصوفيين ونعم الرأي ما يقولون: «إذا أراد الله أن يوصل عبداً إليه توجه إليه أولاً بنور حلاوة العمل الظاهر، فيعمل إلى أن يستوجب المدد بنور حلاوة العمل الباطن، فيعمل إلى أن يتوجه إليه بنور المشاهدة، فيصير حينئذ عبداً لله حراً مما سواه، ظاهره عبودية بعمل الظاهر، وباطنه حرية بسيره بالأنوار الباطنة» ^(٥). إنَّ هذا الكلام وما كان على شاكلته هو الذي رمى إليه الموالى عليهم السلام بتحريضهم على

(١) العوالم أربعة: ملك وملوك وجبروت ولاهوت - والجبروت هو مقام العزة فهو للحضرة الإلهية التي هي عين الحياة - النصوص في مصطلحات التصوف - مصدر سابق ص ٧٦ وعند أبي طالب المكي الجبروت عالم العظمة وأريد به عالم الأسماء والصفات الإلهية وعند الأكثرين العالم الأوسط: وهو البرزخ المحيط بالأمريات الجملة - كتاب التعريفات - مصدر سابق ص ٧٧ وانظر إيقاظ الهمم في شرح الحكم ج ١ ص ٤٣.

(٢) انظر بيان السعادة مجلداً مصدر سابق ص ٥١.

(٣) الجنيد هو سيد الطائفة عراقي المولد والمنشأ كان فقيهاً أفقي وهو ابن عشرين صحب خاله السري السقطي، توفي سنة ٢٩٧هـ وقبره مزار في بغداد ويعرف بالقواريري، انظر الرسالة القشيرية - مصدر سابق ص ١٨ والطبقات الكبرى تأليف أبي المواهب عبد الوهاب بن علي الأنصاري المعروف بالشعراني - منشورات دار الفكر ج ١ ص ٨٤ وما بعدها. . .

(٤) وردت هذه الحكاية في كتب عدة بالفاظ مختلفة.

انظر الرسالة القشيرية - مصدر سابق ص ١٩ وانظر التعرف لمذهب أهل التصوف مصدر سابق - حاشية الصفحة ٦٠.

(٥) ذكر النص بلفظ آخر في إيقاظ الهمم في شرح الحكم - مصدر سابق ج ١ ص ٦٣.

إقامة الظاهر ومعرفة الباطن، ذلك لأن لا غرض لهم إلا تحرير النفوس المبتسدة في هذه الحياة ولا شك، كما يشعر بذلك كل إنسان بما هو إنسان - أن حرية النفوس لا تثبت إلا بطل عبودية تلك الحرية، ولا شك أن أمثال هذه الأنوار التي وراء هذه الألفاظ مقبسة منهم وعندهم. يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إن في هذه العصابة قوماً يدخلون فيها ليسقطوا عن أنفسهم العزائم ويستخفوا بحمل الفرائض، فهؤلاء ليسوا مني ولا أنا منهم، إن أولئك هم وقود النار. فما عملناه فاعملوه، وما رفضناه فارفضوه وكونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً»^(١) ومثل هذا كثير وكثير في كتب الدين. وبالجمل، فإن من حمل القول على الظاهر المحض فهو حشوي، ومن تمسك بالباطن المحض فهو ملحد^(٢)، ومن جمع بين الباطن والظاهر أي أخذ بالتقية والتقوى والإيمان كان مؤمناً موحداً عارفاً محققاً، إذ الإيمان والتقوى باب كل خير وبركة ورزقٍ صوريٍّ ومعنويٍّ، كما قال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض﴾^(٣) وقال سبحانه: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾^(٤) أي يجعل لهم العلم الإلهي الوهبي اللدني الباطن والعلم الكوني الكسبي الظاهر جميعاً، ومهما تغذت الأنفس من كسب يدها، فإنها لا تجد حلاوة الجود، وتكون قد أكلت من تحت رجليها، أما الكامل فيأكل من فوقه، ولا يكون معلمه فقيراً^(٥) ولا

(١) انظر مشارق أنوار اليقين مصدر سابق ص ٦٩.

(٢) الملحد: العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه، والحذ في الدين ولحد أي حاد عنه. لسان العرب مادة لحد. ولما كان منتهى الكمال هو الأخذ بالشرع ظاهره وباطنه فإن الملحد بتركه الظاهر يكون قد عدل عن الحق وحاد عنه.

(٣) سورة الأعراف الآية ٩٦.

(٤) سورة المائدة الآية ٦٦.

(٥) الفقير هو المعدم في الأصل وقيل إن اشتقاق الفقر مأخوذ من فقار الظهر، والفقار هو العظيم الذي به قوام الظهر فإذا انكسر وضعف واحتاج إلى غيره مما يقيمه سمي فقيراً للضعف =

مؤثناً^(١). على أنني لم أر ظاهراً ولا باطناً في كل ما رأيت إلا بالمفاهيم الشرعية من محسوسها ومعقولها، فإن كل ظاهر منها له باطن، وكل باطن له ظاهر، والباطن منها لا يعرف إلا بظاهره، والظاهر لا يقوم إلا بباطنه، وأما الأسرار الإلهية ذات الظواهر والبواطن فلم أر لها ظاهراً إلا بالنسبة، ولا باطناً إلا بالنسبة، وتلك النسبة باختلاف الاستعداد مع المستعدين، فالمعارف الإلهية من الاستعدادات كالأطعمة من المعد، فقد تختلف الأطعمة بقبول المعد لها، فتقبل ما يضرها، وربما تجاوزت فكان هلاكها، ولذلك كان الحكماء والفلاسفة الإلهيون في كل زمان ومكان يعطون تعاليمهم بحسب استعداد الطالبين، فيعطون الخاصة ما يمنعون عنه عامة الناس رعاية لهؤلاء لا بغضاً لهم، فيسمى ما يعطونه للخاصة باطناً وما يعطونه للعامة ظاهراً، هكذا كان الحكماء في سائر العصور والأزمنة من عهد آدم إلى نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى وقتنا هذا، فإذا تدرج صاعداً من مُنِع معرفة الباطن أعطوه ما منعوه فصار ما كان باطناً عنه ظاهراً له، ولذلك رأيت أن لا باطن إلا بالنسبة، ولا ظاهر إلا بالنسبة، ولذلك كان الظاهر هو الباطن والباطن هو الظاهر، وكان باطناً وباطناً إلى سبعة أبطن، وطبعاً فإن لكل باطن ظاهراً، ولهذا كان سرّاً مستسراً. وقد رأيت من الحسن أن أختتم هذا الباب بأقوال ماثورة لبعض الحكماء الإلهيين المشهود لهم بالتقدم على أهل صنعتهم. أورد الشيرازي^(٢) قدس الله العلي سره في كتابه «التنبيه» حديثاً مطولاً عن وجوب إقامة الظاهر مع الباطن، ومما جاء

= والحاجة. والفقيه هنا هو ناقص المعرفة الذي يحتاج إلى غيره لإتمام معرفته فلا يجوز أن يكون معلماً. واللجنة.

(١) المؤنث: تُجمع كتب الدين على تفضيل مرتبة الذكورة على الأنوثة، قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾
سورة النساء آية ٣٤ والكامل لا يأكل إلا من فوقه فلا يجوز أن يكون معلمه أدنى منه مرتبة
واللجنة.

(٢) الشيرازي: هو حسن بن حمزة الشيرازي متصوف مشهور من متصوفي القرن السابع الهجري، وقد سبق الحديث عنه.

فيه: «فلا يتوهمُ الجاهلُ لنفسه، التاركُ هذه الأخبارَ المشروعة، والشرائعَ المتبوعة، أنه بتركها أصابَ الصوابَ، ودخلَ بيتَ الحكمة من الباب، لا والذي عندهُ عِلْمُ الكتاب، بل ما عرفهُ من الحقِّ حجةً عليه لا له، كما وردَ ويلٌ لمن لا يعلمُ وألفَ ويلٍ لمن يعلمُ ولا يعملُ، أما يعلمُ المغرورُ بقلقلَةِ اللسانِ المتقمصِ بثوبِ الإيمان، المنهمكُ بالشهواتِ البهيمية واللذاتِ الجسمانية أنه قد أشبهَ بفعلِهِ الحيوانَ وتركَ التشبُّهَ بملائكةِ الرحمن... ولقد عدلَ هذا الحيوانُ عن طريقِ أهلِ الإيمان، وأضاعَ الصلواتِ واتبَعَ الشهواتِ. ومن عدلَ عن سَيِّئِهِمْ ولم يعملْ بها، كان مبتدِعاً في مقالِهِ، غيرَ موفقٍ في أفعاليهِ لعدوله عن الصوابِ، ولدخولِ البيت من غيرِ الباب»^(١) وهذا مما يوجبُ قلبَ المؤمن، ويقفُ شعرَ الرأسِ عند قراءته.

وأوردَ عبد الكريم الخطيب في كتابه (قضية الألوهية) قال: «ويذكر الكتابُ المقدسُ أن هناك أسراراً لم يستطعَ السيدُ المسيحُ الكشفَ عنها إلا لنفرٍ قليلٍ. قال: «فليسمعَ من له أذانان تستطيعان السمعَ»^(٢) ولكن حين كان على انفرادٍ سأله حوارِيُّوه الاثنا عشر عن أمورٍ تتعلق بالمقابلات والمشابهات التي أوردها فقال لهم: لقد كُثِفَ لكم عن سر ملكوت الله... لكن بالنسبة لمن هم خارج هذه الحلقة، لا يعدو كلُّ شيءٍ أن يكونَ من قبيلِ التشبيهات الحسية. وليس أبلغُ من قولة المسيح هذه في أن ما في ملكوت السماء ليس من شأنِ الحس أن يتعاملَ معه، لأنَّ كلَّ ما هنالك غيرُ محسوس... والإنسانُ من حيث هو جسدٌ وروحٌ لا يمكنُ أن يدركَ تلك الحقائقَ السَّامِيَّةَ إلا إذا صُوِّرَتْ له في صُورٍ محسوسةٍ مجسدةٍ»^(٣)

(١) التبيه مخطوط خاص.

(٢) إنجيل مرقس الإصحاح الرابع.

(٣) قضية الألوهية بين الفلسفة والدين (الله ذاتاً وموضوعاً)، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ج ٢ ص ٣٧٢ - ٣٧٣

فهارس الآيات والأحاديث وشواهد الشعر



(أ) مسرد الآيات القرآنية الكريمة

نُتِبَ فيما يلي نصوص الآيات الكريمة - وأجزاءها - حسب تسلسل مجيئها في الكتاب .

صفحة

- ١ - (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) سورة الذاريات الآية ٥٦ ٢٦
- ٢ - (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) سورة فاطر الآية ٣٥ ٢٨
- ٣ - (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) سورة الروم الآية ٢٥ ٢٩
- ٤ - (الرحمن على العرش استوى) سورة طه الآية ٥ ٣٤
- ٥ - (ألا له الخلق والأمر) سورة الأعراف الآية ٥٤ هامش ٣٤
- ٦ - (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) سورة يس الآية ٨٢ ٣٦
- ٧ - (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي . . .) سورة الكهف الآية ١٠٩ هامش ٣٦
- ٨ - (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته) سورة النساء الآية ١٧١ هامش ٣٦
- ٩ - (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) سورة السجدة الآية ١١ ٣٧
- ١٠ - (الله يتوفى الأنفس حين موتها) سورة الزمر الآية ٤٢ ٣٧
- ١١ - (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) سورة مريم الآية ١٧ ٤٢
- ١٢ - (الله نور السموات والأرض) سورة النور الآية ٣٥ هامش ٤٢
- ١٣ - (وكلمته ألقاها إلى مريم) سورة النساء ، الآية ١٧١ ٥٤
- ١٤ - (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه) سورة الأعراف الآية ١٨٠ و ٥٥ و ٦٣ .
- ١٥ - (ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) سورة يوسف الآية ٤٠ ٥٥
- ١٦ - (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) سورة لقمان الآية ٢٥ ٥٦
- ١٧ - (يا حشرقُ على ما فرطت في جنب الله) سورة الزمر الآية ٥٦ ٦٠

- ١٨ - (ولتصنع على عيني) سورة طه الآية ٣٩ ٦٠
- ١٩ - (يداه مبسوطتان) سورة المائدة الآية ٦٤ ٦٠
- ٢٠ - (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية) سورة الفجر الآية ٢٨ هامش ٦٠
- ٢١ - (إن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي) سورة يوسف الآية ٥٣ هامش ٦٠
- ٢٢ - (ولا أقسم بالنفس اللوامة) سورة القيامة الآية ٢ هامش ٦٠
- ٢٣ - (ليس كمثله شيء) سورة الشورى الآية ١١ ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤
- ٢٤ - (ثم إن علينا حسابهم) سورة الغاشية الآية ٢٦ ٦٢
- ٢٥ - (جعله دكا) سورة الأعراف الآية ١٤٣ ٦٤
- ٢٦ - (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) سورة القصص الآية ١٥ ٦٤
- ٢٧ - (ن. والقلم وما يسطرون) سورة القلم الآية ١ و ٢ ٦٤
- ٢٨ - (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) سورة الأنعام الآية ٥٩ ٦٤
- ٢٩ - (الأرض الجرز) سورة السجدة الآية ٢٧ هامش ٦٥
- ٣٠ - (ولو لم تمسه نار) سورة النور الآية ٣٥ ٦٥
- ٣١ - (وهو معكم أينما كنتم) سورة الحديد الآية ٤ ٨٠
- ٣٢ - (كل شيء هالك إلا وجهه) سورة القصص الآية ٨٨ هامش ٨٠
- ٣٣ - (نحن أقرب إليه من حبل الوريد) سورة ق الآية ١٦ ٨٠
- ٣٤ - (كل يوم هو في شأن) سورة الرحمن الآية ٢٩ ٨١
- ٣٥ - (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) سورة البقرة الآية ٢٥٥ ٨٢
- ٣٦ - (قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني) سورة الأعراف الآية ١٤٣ ٨٥
- ٣٧ - (ولقد كرمنا بني آدم) سورة الإسراء الآية ٧٠ ٨٨
- ٣٨ - (آنس من جانب الطورنارا) سورة القصص الآية ٢٩ ٨٨
- ٣٩ - (فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً) سورة الأعراف الآية ١٤٣ ٨٨
- ٤٠ - (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) سورة الفجر الآية ٢٢ ٨٨
- ٤١ - (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) سورة البقرة الآية ٢١٠ ٨٨
- ٤٢ - (وللبسنا عليهم ما يلبسون) سورة الأنعام الآية ٩ ٨٩
- ٤٣ - (فأينما تولوا فثم وجه الله) سورة البقرة الآية ١١٥ ٩١
- ٤٤ - (لا مقطوعة ولا ممنوعة) سورة الواقعة الآية ٣٣ ٩٢
- ٤٥ - (علم بالقلم) سورة العلق الآية ٤ ١٠٢
- ٤٦ - (هذا الذي رزقنا من قبل) سورة البقرة الآية ٢٥ ١٠٣
- ٤٧ - (أأستبرئكم) سورة الأعراف الآية ١٧٢ ١٠٤

- ٤٨ - (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم) سورة الأنبياء الآية (٣١) ١١١
- ٤٩ - (أو لم يروا أننا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) سورة الرعد الآية ٤١ هامش ١١٢
- ٥٠ - (وكان الله بكل شيء محيطاً) سورة النساء الآية ١٢٦ ١١٤
- ٥١ - (والساعات مطويات بيمينه) سورة الزمر الآية ٦٧ ١١٥
- ٥٢ - (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) سورة الأنفال الآية ١٧ هامش ١١٦
- ٥٣ - (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) سورة البقرة الآية ٢٢٩ ١١٧
- ٥٤ - (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) سورة الأحزاب الآية ٦ ١٢٢
- ٥٥ - (يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا من البعث...) الآية سورة الحج الآية ٥ ١٢٤
- ٥٦ - (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) سورة النساء الآية ١ ١٢٥
- ٥٧ - (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) سورة التحريم الآية ١٢ ١٢٥
- ٥٨ - (إنه ليس من أهلِكَ) سورة هود الآية ٤٦ ١٢٥
- ٥٩ - (سبحان الذي خلق الأزواج كلها) سورة يس الآية ٣٦ ١٢٦
- ٦٠ - (اليوم أحل لكم الطيبات) سورة المائدة الآية ٥ ١٢٦
- ٦١ - (يتفياً ظلاله عن اليمين والشمائل) سورة النحل الآية ٤٨ ١٢٦
- ٦٢ - (انطلقوا إلى ظلٍ ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب) سورة المرسلات الآية ٣٠ - ٣١ ١٢٧
- ٦٣ - (وأرسلنا الرياح لواقح) سورة الحجر الآية ٢٢ ١٢٧
- ٦٤ - (فتبارك الله أحسن الخالقين) سورة المؤمنون الآية ٢٤ ١٢٨
- ٦٥ - (إنه بكل شيء محيط) سورة فصلت الآية ٥٤ ١٣٥
- ٦٦ - (وهو بكل شيء عليم) سورة البقرة الآية ٢٩ ١٣٥
- ٦٧ - (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر) سورة الأنعام الآية ٥٩ ١٣٥
- ٦٨ - (كل يوم هو في شأن) سورة الرحمن الآية ٢٩ ١٣٥
- ٦٩ - (ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً) سورة الإسراء الآية ٣٧ هامش ١٤٣
- ٧٠ - (يد الله فوق أيديهم) سورة الفتح الآية ١٠ هامش ١٤٣
- ٧١ - (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) سورة الكهف الآية ١٠١ هامش ١٤٧
- ٧٢ - (يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ) سورة آل عمران الآية ٧٨ ١٤٨
- ٧٣ - (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) البقرة ٧٩ ١٤٨
- ٧٣ - ﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ سورة التوبة الآية ١١١ ١٤٨

- ٧٤ - (لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) سورة الكهف الآية ١٠٩ ١٤٩
- ٧٥ - (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) سورة لقمان الآية ٢٧ ١٤٩
- ٧٦ - (لله ما في السموات وما في الأرض) سورة البقرة الآية ٢٨٤ ١٥٠
- ٧٧ - (ولله المثل الأعلى) سورة النحل الآية ٦٠ ١٥٠
- ٧٨ - (بل لله الأمر جميعاً) سورة الرعد الآية ٣١ ١٥٠
- ٧٩ - (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) سورة الأنعام الآية ٥٩ ١٥٠
- ٨٠ - (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) سورة يس الآية ١٢ ١٥٠
- ٨١ - (يحمو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) سورة الرعد الآية ٣٩ هامش ١٥٠
- ٨٢ - (وذكرهم بأيام الله) سورة إبراهيم الآية ٥ ١٥٦
- ٨٣ - (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) سورة الحج الآية ٤٧ هامش ١٥٦
- ٨٤ - (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) سورة السجدة الآية ٥ هامش ١٥٧
- ٨٥ - (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) سورة المعارج الآية ٤ هامش ١٥٧
- ٨٦ - (والذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) سورة يونس الآية ١٠ هامش ١٦٣
- ٨٧ - (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنن يؤفكون) سورة العنكبوت الآية ٦١ هامش ١٦٤
- ٨٨ - (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) سورة لقمان الآية ٢٥ هامش ١٦٤
- ٨٩ - (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله . . .) الآية، سورة الزمر الآية ٣٨ هامش ١٦٤
- ٩٠ - (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) سورة الزخرف الآية ٩ هامش ١٦٤
- ٩١ - (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) سورة الزمر الآية ٣ ١٦٦ و ١٦٤
- ٩٢ - (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدي ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء ما تشركون إني وجهت

وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) سورة الأنعام الآيات

١٦٥

من (٧٥ - ٧٩)

١٦٦

٩٣ - (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) سورة يونس الآية ١٨

٩٤ - (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) سورة الروم الآية ١٣

١٦٦

٩٥ - (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر...) الآية سورة فصلت الآية ٣٧

٩٦ - (حم) تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته... سورة فصلت الآية من ١ إلى

١٦٩

٣

١٦٩

٩٧ - (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم) سورة فصلت الآية ١٣

١٦٩ هامش

٩٨ - (وللى ثمود أخاهم صالحاً) سورة الأعراف الآية ٧٣

١٦٩ هامش

٩٩ - (وللى عاد أخاهم هوداً) سورة الأعراف الآية ٦٥

١٧٩

١٠٠ - (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) سورة الأنبياء الآية ٢٣

١٨٠

١٠١ - (أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) سورة آل عمران الآية ٤٩

١٠٢ - (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحمي الموتى...) سورة البقرة الآية ٢٦٠ هامش ١٨٠

١٠٣ - (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) سورة

١٨٨

الأعراف الآية ٩٦

١٠٤ - (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت

١٨٨

أرجلهم) سورة المائدة الآية ٦٦

١٠٥ - (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)

١٨٩ هامش

سورة النساء الآية ٣٤

(ب) مسرد الأحاديث النبوية الشريفة

نُتِبَ فيما يلي نصوص الأحاديث الشريفة - وأجزاءها - حسب تسلسل

مجيئها في الكتاب :

صفحة

- ١ - كنت كنزاً مخفياً . . حديث قدسي ١٥
- ٢ - لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله» ٢٧
- ٣ - أنا أصغر من ربي بستين ٣٠
- ٤ - ارحم السرفقد أوشك أن ينكشف السر ٣٠
- ٥ - رأيت ربي في هيئة شاب هامش ٤١
- ٦ - لا اسم أعظم مني . . ٥٦ و ٥٤
- ٧ - أنا اسم الله الأعظم ٥٤
- ٨ - خلق الله الأشياء بالمشيئة والمشيئة بنفسها هامش ٦٣
- ٩ - إن الله خلق آدم على صورته هامش ٧١
- ١٠ - نور أني أراه هامش ٧٥
- ١١ - رأيت ربي في أحسن صورة ٨٧
- ١٢ - أنا وأنت أبوا هذه الأمة فلعن الله من عقنا هامش ١٢٢
- ١٣ - سلمان منا أهل البيت ١٢٥
- ١٤ - . . . هذه الكعبة وإنها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً . . الحديث هامش ١٥٧
- ١٥ - لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون فتضروهم هامش ١٨٥
- ١٦ - إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق هامش ١٨٦

(ج) شواهد الشعر

نثبت فيما يلي أبيات الشعر التي جاءت في هذا الكتاب حسب تسلسل

مجيئها فيه :

- ١ - صهباء كانت ونون الكاف ما برزت
والشيء مندمج في علم باريه
«المتجب - صفحة ٢٨»
- ٢ - الكل فيه وعنه كان وعنده
فالخلق تحت سما علاه كخردلٍ
والكون أجمعه لديه كخاتمٍ
والملك والملكوت في تياره . . .
وتطيعه الأفلاك من فوق السما
«عبد الكريم الجيلي - صفحة ٣٢»
- ٣ - دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت فضلاً فيه واحتكم
«البوصيري - صفحة ٣٢»
- ٤ - فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم
«البوصيري - صفحة ٣٢»
- ٥ - أمن تذكر جيران بلدي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
«البوصيري - صفحة ٣٢»
- ٦ - ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
«أحمد شوقي» هامش صفحة ٣٢
- ٧ - عرفت الخلق والأمر
فجمعت بلا وصلٍ
ومعنى الكل في الكل
وفرقت بلا فصل

- فوحدت ولا توحيد
إلا لفتى مثلي
- ٨ - وما دحية وإفى الأمين نبينا
أجبريل قل لي كان دحية إذ بدا
وفي علمه عن حاضريه مزية
يرى ملكاً يوحى إليه وغيره
- ٩ - الشوق أكبر من أن
والحب أكبر من أن
- ١٠ - دواؤك فيك وما تشعر
وأنت الكتاب المبين الذي
وتزعم أنك جرم صغير
- ١١ - وتنسب الأفعال للفعل الذي عنه صدر
- ١٢ - سرخفي جليل لا يحاط به
ولا يقاس بتمثيل وتحديد
- ١٣ - لا يكتم السر إلا كل ذي ثقة
- ١٤ - وفي السر أسرار دقاق لطيفة
- ١٥ - كل يراك كعينه
- ١٦ - إليكم وإلا لا تشد الركائب
وعنكم وإلا فالحديث مشوش
- ١٧ - أحوته أرض وأرض تخلت
- «المكزون - هامش صفحة ٣٤»
بصورته في بدء وحي النبوة
لمهدي الهدى في هيئة بشرية
بماهية المرئي من غير مرية
رأى رجلاً يرعى لديه لصحبة
- «ابن الفارض - هامش صفحة ٤١»
يحويه مني كتاب
يخفيه عني حجاب
- «المكزون - هامش صفحة ٤٦»
وداؤك منك وما تبصر
بأحرفه يظهر المضر
وفيك انطوى العالم الأكبر
- «أمير المؤمنين عليه السلام - صفحة ٥٦»
- «المكزون - صفحة ٥٩»
فالسرع عند خيار الناس مكتوم
تراق دمانا جهرة لو بها بحنا
- «أبو مدين - هامش صفحة ٦١»
إذ كنت مرآة الوجود
- «المكزون - صفحة ٧٨»
ومنكم وإلا لا تنال الرغائب
وفيك وإلا فالمحدث كاذب
منه حتى مثى بها فطواها

- هو في الشرق مثل ما هو في الغرب وفي الأرض مثل ما في سماها
«محمد كاظم الأزري البغدادي - صفحة ٨٥»
- ١٨ - إن التشكل في الصور وبذاك أنزل كتبه ولقد رأيت مثاله
نعت المهيمن في الخبر فيما تلاه من السور بمطول وبمختصر
«الشلي وقيل الحلاج - صفحة ٩٠»
- ١٩ - فبالقصور اعترافي فيك معرفتي العجز عن درك الإدراك إدراك
«محي الدين بن عربي - صفحة ٩٥»
- ٢٠ - على كل عين من الخلق عين وفي نطق كل لسان له العجز عن درك الإدراك إدراك
من الحق فهي بها تبصر لسان مخاطبة تبصر
«المكزون - صفحة ٩٧»
- ٢١ - وعين ذاتك عين الله فيك ترى ونور عقلك نور الله يظهر ما
أنموذج الأمر فافهم أيها اللاهي «الشرازي - صفحة ٩٨ و ١٨٢»
حملته عجباً من قدرة الله
- ٢٢ - خمس ولكنهم بالفعل أربعة وبافتراق تراهم غير ذي جسد
«الشرازي - صفحة ٩٨» كل بصاحبه بالمزج منعقد وباجتماع تراهم كلهم جسد
- ٢٣ - ما كل ماء يروي القلب من ظمأ البحر ماء ولكن شربه نكد
«الناسخ البغدادي - صفحة ١٣٢»
- ٢٤ - الكون جسم وهي فيه روح النص عليها آدم ونوح
«المتجب - هامش صفحة ١٣٣»
- ٢٥ - فكل قبيح إن نسبت لفعله يكمل نقصان القبيح جماله ويرفع مقدار الوضيع جلاله
أنتك معاني الحسن فيه تسارع فيما ثم نقصان ولا ثم واضع إذا لاح فيه فهو للوضع رافع
«عبد الكريم الجيلي - صفحة ١٣٨»

- ٢٦ - أشرقت منك لمحة نشأ العالم
فجميع الأكوان ما هن مهما
«معد الحسين آل كاشف الغطاء - صفحة ١٤٩»
منها وكون التكوين
كن إلا كتابك المستبين
- ٢٧ - فناؤنا مع ثبوت واهبنا
وذاك بخلٌ وجل خالقنا
«المكزون - صفحة ١٥٦»
يقضي بعود الجواد في هبته
من أن يكون الإكداء من صفته
كل لبيب زكا بمعرفته
- ٢٨ - له الدهرُ أن والزمان الذي انتهى
«المكزون - هامش صفحة ١٥٦»
إليه بحديه لوصل به فصل
- ٢٩ - لا غير من لا غيره لي إله
«المكزون - صفحة ١٥٩»
إذ ما لموجود وجودٌ سواه
- ٣٠ - أصبحت في الكون بلا حيز
وخارج العالم في داخلي
«المكزون - هامش صفحة ١٧٥»
وكل ما في الكون في حيزي
وقدرة القادر في معجزتي
وفي جمع مقامي نقطة المركز
- ٣١ - هي الدنيا تقول بملء فيها
«المكزون - صفحة ١٨١»
حذار حذار من بطشي وفتكي
- ٣٢ - فأين أهل الأين في دارقي
«المكزون - هامش صفحة ١٨١»
والفلك الأطلس في مركزي

مصادر ومراجع تحقيق الكتاب

1

أ - الكتب السماوية :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والجديد) إصدار دار الكتاب المقدس في العالم العربي .

ب - المعاجم اللغوية :

- ١ - تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، إصدار وزارة الإعلام، الكويت عام ١٩٦٥م وصدر منه حتى الآن الجزء الثاني والعشرون .
 - ٢ - لسان العرب، ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري) إعداد وتصنيف: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب - بيروت المطبعة الأولى ط٢، ١٩٧٠م .
 - ٣ - مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون دار الفكر ١٩٧٩م .
 - ٤ - المنجد في اللغة والأدب والعلوم، الأب لويس المعلوف، المكتبة الشرقية بيروت الطبعة ١٩ - ١٩٦٦م .
 - ٥ - معجم متن اللغة، الشيخ أحمد رضا، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت الطبعة الأولى ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨م .
- ## ج - المصادر المطبوعة، «مرتبة بترتيب أسماء مؤلفيها» .
- ١ - ابن أبي الحديد (عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة المدائني) شرح نهج

- البلاغة بتحقيق الشيخ حسن تميم. دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤م.
- ٢ - ابن الدباغ (عبد الرحمن بن محمد الأنصاري) مشارق أنوار القلوب. تحقيق هـ. ريتز، دار صادر - دار بيروت ١٩٥٩م.
- ٣ - ابن سعد (محمّد الزهري) الطبقات الكبرى طبعة ليدن ١٩٢٨م.
- ٤ - ابن عربي (الشيخ الأكبر محيي الدين)
- تفسير القرآن، تحقيق الدكتور مصطفى غالب دار الأندلس - بيروت - طبعة ٣ - ١٩٨١م.
- الفتوحات المكية، تحقيق الدكتور عثمان يحى - الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة أولى بدأت إصداره عام ١٩٧٢م وصدر منه حتى الآن ثمانية أسفار.
- فصوص الحكم، تحقيق وتعليق أبو العلا عفيفي - دار الكتاب العربي - بيروت ط ٢ ١٩٨٠م.
- ٥ - ابن قتيبة (أبو عبد الله محمد بن مسلم الدينوري) عيون الأخبار الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٢٥م.
- ٦ - أبو البقاء (أيوب بن موسى الحسيني الكفوي) الكليات - مطبعة بولاق بمصر - ط ٢ - ١٢٨١هـ.
- ٧ - الباجوري (الشيخ إبراهيم) جوهرة التوحيد، مراجعة وتقديم عبد الكريم الرفاعي مكتبة الغزالي، حماه - ١٩٧٢م.
- ٨ - بدوي (د. عبد الرحمن).
- الأفلاطونية المحدثه عند العرب، إصدار دار النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٥م.
- الزمان الوجودي، إصدار دار النهضة المصرية القاهرة الطبعة الثانية «بدون تاريخ».

- ٩ - البرسي (الحافظ رجب) مشارق أنوار اليقين... مؤسسة الأعلمي بيروت ط١٠ «بدون تاريخ».
- ١٠ - بروكلمان (كارل) تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر ط٢ ١٩٦٩م.
- ١١ - البوطي (د. محمد سعيد رمضان) روائع القرآن، مكتبة الفارابي دمشق ط٥ ١٣٩٧هـ.
- ١٢ - بيضون (ليب وجيه) تصنيف نهج البلاغة، منشورات أسامة كرم دمشق ط١ ١٩٧٨م.
- ١٣ - التبريزي (ميرزا محمد تقي) صحيفة الأبرار، دار الصراط ط٤ ١٩٨٦م.
- ١٤ - الجرجاني (علي بن محمد) كتاب التعريفات، مكتبة لبنان ١٩٧٨م.
- ١٥ - الجنازدي (الحاج سلطان محمد) بيان السعادة...، مطبعة دانكاه طهران ط٢
- ١٦ - الجيلاني (عبد الكريم بن إبراهيم) الإنسان الكامل...، مطبعة حجازي مصر ١٩٤٩م.
- ١٧ - حسن (حامد) المكزون السنجاري، دار مجلة الثقافة دمشق بدأ إصداره عام ١٩٧٠ وصدر الجزء الثاني عام ١٩٧٢ م ولم يصدر الباقي.
- ١٨ - الحسيني (أحمد بن محمد بن عجيبة) إيقاظ الهمم... مكتبة الإيمان دمشق ١٩٨٦م.
- ١٩ - حكيم (د. سعاد) المعجم الصوفي، دار ندرة بيروت ط١ ١٩٨١م.
- ٢٠ - حيدر (العلامة الشيخ أحمد محمد) ما بعد القمر، مطابع الإدارة السياسية دمشق ١٩٨٤م.
- ٢١ - الخضري (الشيخ محمد) تحقيق صفوة السقا، مكتبة ربيع حلب ط١، ١٣٨٢هـ.
- ٢٢ - الخطيب (عبد الكريم) قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، دار الفكر

- العربي القاهرة ط٢، ١٩٧١م.
- ٢٣ - الخطيب (د. محمد عجاج) الوجيز في علم الحديث، جامعة دمشق ١٩٧٩م.
- الخميني (ساحة الإمام آية الله).
- الآداب المعنوية للصلاة، تعريب أحمد الفهري، دار طلاس دمشق ط١، ١٩٨٤م.
- شرح دعاء السحر، تعريب أحمد الفهري، مؤسسة الوفاء بيروت ط٢، ١٩٨٤م.
- ٢٤ - مصباح الهداية... تعريب وتقديم أحمد الفهري، مؤسسة الوفاء بيروت ط١، ١٩٨٣م.
- ٢٥ - الرازي (الإمام فخر الدين) والخواجه نصر الدين الطوسي شرح الإشارات، المطبعة الخيرية بمصر ط١، ١٣٢٥هـ.
- ٢٦ - الشعرائي (أبو المواهب عبد الوهاب بن علي الأنصاري) الطبقات الكبرى، دار الفكر دمشق.
- ٢٧ - شعراوي (الشيخ محمد متولي) المنتخب من تفسير القرآن، دار العودة بيروت ١٩٨١م.
- ٢٨ - الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) الملل والنحل، تحقيق محمد سعيد كيلاني ١٩٨٢م.
- ٢٩ - شيخ الأرض (تيسير) مبادئ الفلسفة «مشكلة العمل» مطابع دار البعث دمشق، ١٩٨٤م.
- ٣٠ - الصالح (د. صبحي) تحقيق نهج البلاغة، قم إيران ط١، ١٣٩٥هـ.
- ٣١ - الصدوق (الشيخ القمي) التوحيد، تصحيح وتعليق هاشم الحسيني الطهراني، دار المعرفة بيروت.

- من لا يحضره الفقيه (تحقيق حسن الموسوي) دار التعارف بيروت

١٩٨١ م.

٣٢ - صليبا (د. جميل) المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ م.

٣٣ - الطباطبائي (محمد حسين) الميزان في تفسير القرآن، الحوزة العلمية قم.

٣٤ - الطبرسي (الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن) مجمع البيان في تفسير

القرآن، دار مكتبة الحياة. بيروت.

٣٥ - الطبرسي (أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج،

تحقيق وتعليق محمد باقر الموسوي الخرساني، مؤسسة الأعلمي

بيروت ط ٢ (١٩٨٣).

٣٦ - الطوسي (أبو نصر السراج) اللمع، تحقيق د. عبد الحلیم محمود وطه عبد

الباقي سرور ١٣٨٠ هـ.

٣٧ - عبده (الشيخ محمد) شرح نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي بيروت.

٣٨ - عرابي (محمد غازي) النصوص في مصطلحات التصوف، دار قتيبة دمشق

ط ١، ١٩٨٥ م.

٣٩ - علي (د. أسعد أحمد) فن المنتجب الدين العاني وعرفانه، دار الرائد

العربي ط ٢، ١٩٨٠ م.

- معرفة الله والمكزون السنجاري، دار الرائد العربي بيروت ط ٢،

١٩٨٠ م.

٤٠ - العقاد (عباس محمود) الله - نشأة العقيدة الإلهية.

٤١ - الفيض الكاشاني (محمد حسن)

- تفسير الصافي، منشورات الأعلمي بيروت ط ٢، ١٩٨٢ م.

- الحقائق «قرة العيون» دار الكاتب العربي بيروت ط ٢، ١٩٧٩ م.

٤٢ - القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن) الرسالة القشيرية، دار

الكتاب العربي بيروت ١٩٥٧ م.

- ٤٣ - القمي (الشيخ ابن بابويه) التوحيد، دار المعرفة بيروت ط٤، ١٣٧٨ هـ.
- ٤٤ - كاشف الغطاء (محمد الحسين) الدين والإسلام، دار المعرفة بيروت.
- ٤٥ - كرم (يوسف) العقل والوجود، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.
- ٤٦ - الكرمانى (الداعي أحمد حميد الدين) راحة العقل، تحقيق وتقديم: د. محمد كامل حسين ود. محمد مصطفى حلمي، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٥٢م.
- ٤٧ - الكلاباذي (أبو بكر محمد) التعرف لمذهب أهل التصوف.
- ٤٨ - الكليني (أبو جعفر محمد يعقوب بن اسحق) الأصول من الكافي، تعليق علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية طهران ط٣، ١٣٨٨ هـ.
- ٤٩ - المجريطي (الحكيم) تحقيق د. جميل صليبا طبع مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٤٩م.
- ٥٠ - مرعشلي (نديم) ويوسف خياط، المصطلحات العلمية والفنية في لسان العرب، دار لسان العرب بيروت.
- ٥١ - مروة (يوسف) العلوم الطبيعية في القرآن، منشورات مروة العلمية بيروت ط١، ١٩٦٨م.
- ٥٢ - الموسوي (الأمام آية الله عبد الحسين شرف الدين) كلمة حول الرؤيا ١٣٧١ هـ.
- المراجعات، دار إحياء العلوم ط٤، ١٩٥٨م.
- ٥٣ - الموسوي (د. موسى) من السهروردي إلى الشيرازي، دار المسيرة ط١، بيروت ١٩٧٩م.
- ٥٤ - نصر الله (د. محمد عزت)
- اليهودية والإسلام دراسة مقارنة، المركز الفلسطيني الإسلامي للتربية والثقافة والإعلام - بيروت، الطبعة الأولى (بدون تاريخ).

- اللجنة التي أُهَيِّطَ مِنْهَا آدَم، دار فلسطين للتأليف والترجمة - بيروت
الطبعة الثانية.

٥٥ - نصر (د. عاطف جودة) شعر ابن الفارض، دراسة في فن الشعر
الصوفي، دار الأندلس ط١، ١٩٨٢م.

٥٦ - اليازجي (ندرة) المدخل إلى المبدأ الكلي، دار الغربال دمشق ط١،
١٩٨٤م.

د - الكتب المخطوطة الخاصة: «إضافة إلى آثار الشيخ الخصيبي»

- ١ - الأحمد (الشيخ سليمان) شرح ديوان المكزون.
- ٢ - الحراني (محمد ابن شعبة) الحقائق.
- ٣ - الحكيم (النبي سليمان) الأسس.
- ٤ - سابور (أبو الطاهر) الجوهرة الطالقانية.
- ٥ - الشيرازي (حسن بن حمزة) التنبيه.
- ٦ - الصوفي (جلال الدين بن معمار) تقويم الأسماء.
- ٧ - العماد الغساني (أحمد بن جابر) مسائل الخرقى الجبلاوي.
- ٨ - المفضل (ابن عمر) الصراط.

محتويات الكتاب

٣	عنوان الكتاب
٥	الإهداء
٧	تقديم المحققين - العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر
١٣	مؤلفاته
١٥	كتاب التكوين والتجلي
١٩	تحقيق الكتاب ونشره
[٢٣ - ٤٢]	الباب الأول: بدء التكوين
٢٩	- الصفات الإبداعية
٣٠	- الحقيقة المحمدية واللوح والقلم
٣٤	- العرش والكرسي
٤٢	- تنزيه النبي عن الصورة
[٤٣ - ٤٩]	الباب الثاني: الحركة والسكون
[٥١ - ٦٧]	الباب الثالث: الاسم
٥٦	- الاسم الجامع «الله»
٥٧	- الاسم الأحد
٥٨	- الاسم الفعل
٦١	- السر المستتر
٦٢	- الصفة
٦٥	- الذات والصفات

الباب الرابع : الوجود والصورة [٦٩ - ٩٨]

- معاني الصورة ٧٢
- الرؤية والنور ٧٤
- التجلي ٧٧
- التشبيه والتحول ٨٠
- إمكان الرؤية ٨١
- نظرة في الصورة من جهة الجميع ٨٣
- الصورة والإنسان ٨٥
- تحقيق التجلي في الصورة ٨٧
- التنزيه ٩٠
- التنزيه حصر الصفة والذات ٩٥
- التنزيه والتوسط ٩٨

الباب الخامس : عالم الغيب [٩٩ - ١٠٥]

- نداء إبراهيم ١٠٤

الباب السادس : التشخيص [١٠٧ - ١١٨]

- السحر والقدرة ١١٥

الباب السابع : أسرار الرحم [١١٩ - ١٢٨]

- الأوامد ١٢١
- الولادة أو النسبة الجسمانية والنسبة الروحية ١٢٢
- النطفة ١٢٣
- الأرحام الثلاثة ١٢٤
- الرحم الروحانية الإلهية ١٢٥
- الرحم الروحانية الإبلسية ١٢٦
- الرحم الطبيعية الإنسانية ١٢٦
- التذكير والتأنيث ١٢٧

١٢٨	- الكذب وتناسله
[١٣٨ - ١٢٩]	الباب الثامن: القاذورات
١٣٣	- القوانين الطبيعية والنور الإلهي
١٣٥	- الخلاصة
[١٤٣ - ١٣٩]	الباب التاسع: الصدق والكذب
[١٥٢ - ١٤٥]	الباب العاشر: كتاب الله
[١٦٠ - ١٥٣]	الباب الحادي عشر: الأيام
١٥٨	- محسوس الأيام ومجردها
[١٧١ - ١٦١]	الباب الثاني عشر: الشمس والقمر
١٦٤	- الأديان القديمة والشمس والقمر
١٦٥	- قصة الخليل
[١٨٢ - ١٧٣]	الباب الثالث عشر: وحدة الوجود
[١٩٠ - ١٨٣]	الباب الرابع عشر: الباطن والظاهر
[٢٠٢ - ١٩١]	فهارس الآيات والأحاديث وشواهد الشعر :
١٩٣	أ - مسرد الآيات القرآنية الكريمة
١٩٨	ب - مسرد الأحاديث النبوية الشريفة
١٩٩	ج - شواهد الشعر
[٢١١ - ٢٠٣]	مصادر الكتاب :
٢٠٥	أ - الكتب السماوية
٢٠٥	ب - المعاجم اللغوية
٢٠٥	ج - الكتب المطبوعة
٢١١	د - الكتب المخطوطة
[٢١٤ - ٢١٢]	محتويات الكتاب

الساحل السوري - تشرين الأول ١٩٨٦م.

فلسطين

دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع

طرابلس لبنان : ص ٧٢ - تلفون ٦٢١٩٥٢



فلسطين